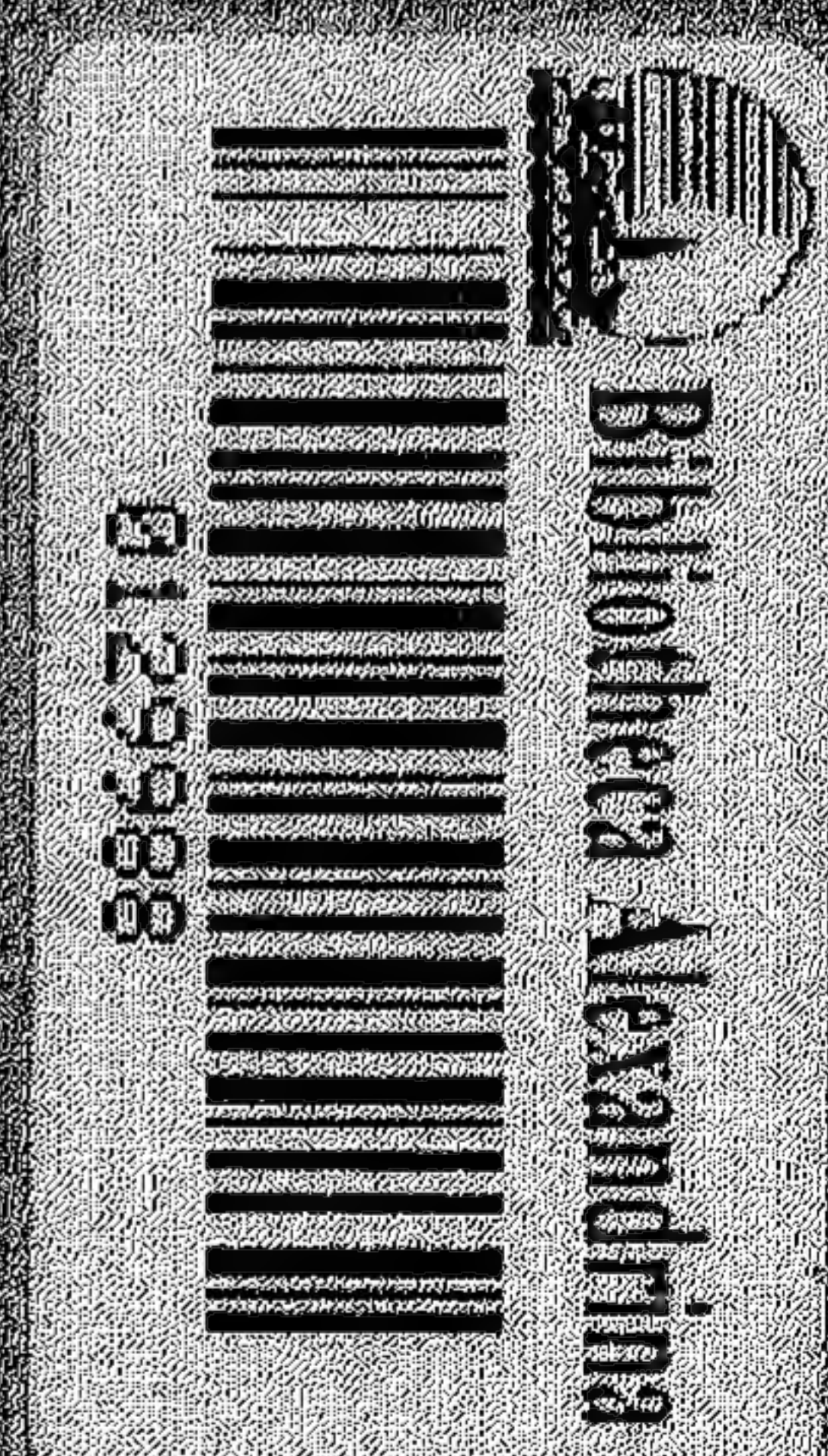
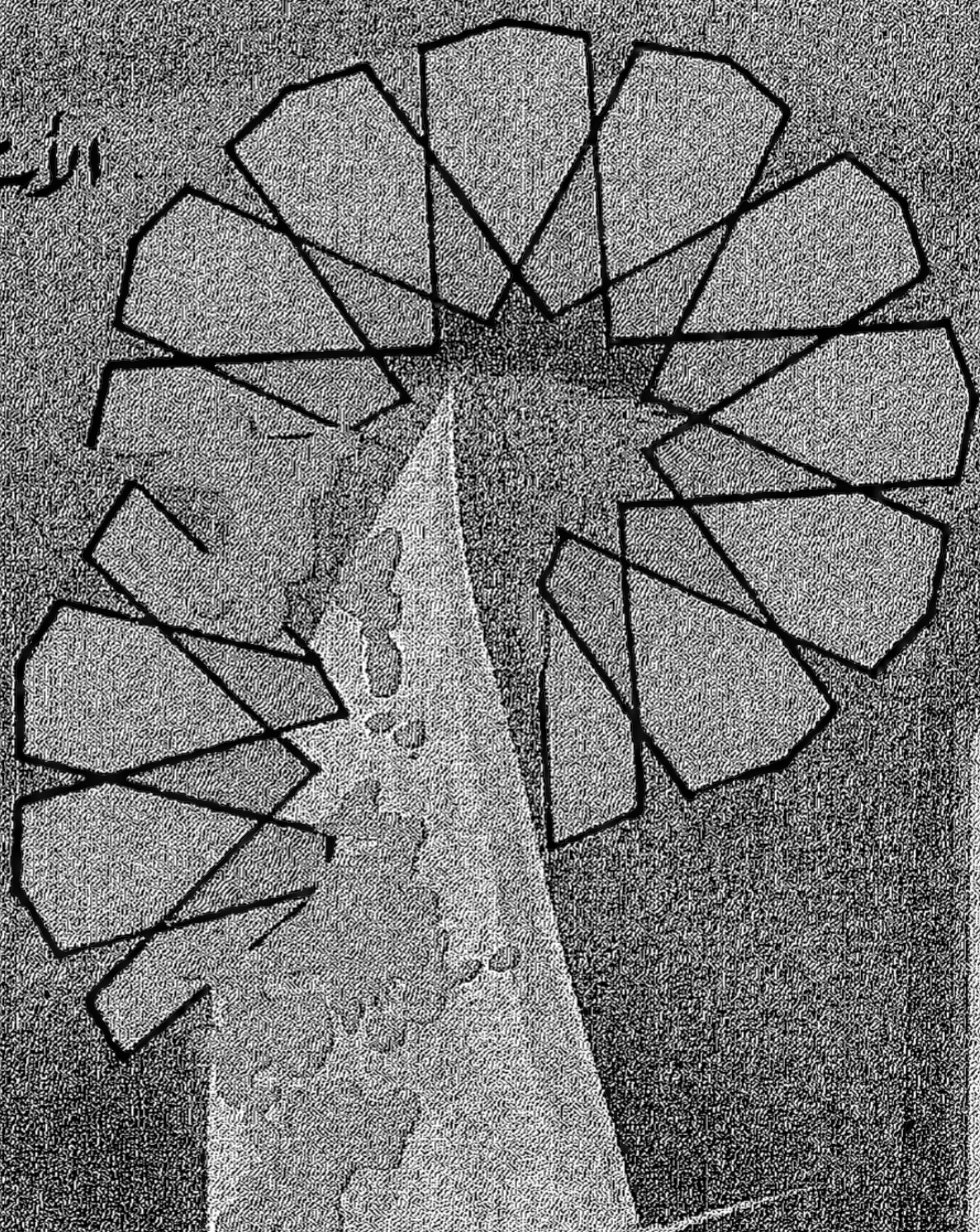


الأغنية واثباتها على المقدسات الإسلامية

تأليف
الأستاذ الدكتور كامل سلامة الدين



هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

الاعتمادات الباطنية
على المفردات الإسلامية

الاعتمادات الباطنية على المفردات الإسلامية

تأليف
الأستاذ الدكتور كامل سلامة الدقس
الأمين العام المساعد لشئون الجامعات
والدراسات والبحوث
رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة
وأستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز - بجدة -

هجر

للطبعة والنشر والتوزيع والإعلان

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء - ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذى جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمنا ، وعمره بالبركات والخيرات ، وأحاطه بالأنوار الإلهية ، والأسرار القدسية ، والصلاة والسلام على النبى الأمين ، سيد الأولين والآخرين ، وخاتم المعصومين ، والمبعوث رحمة للعالمين ، الذى جعل الله مكة مولده ، ومرباه ، ومبعثه ، ومسراه ، والمدينة المنورة مهجره ، ومقامه ، ومثواه . وبعد .

فقد جعل الحق سبحانه وتعالى الأمن سمة من سمات الحرمين الشريفين ، وصفة من صفاتهما ، وخاصية من خصائصهما التى اختصهما وميزهما بها على بقية البقاع والأماكن .

فليس فى الوجود كله مكان حظى بالشرف ، والطهر والقداسة فى ضمير الإنسانية عبر أجيالها وعصورها المتعاقبة كما حظى الحرمين الشريفان .

وإن المستقرى لتاريخ الإنسانية فى القديم والحديث لا يجد ، وسوف لن يجد ، وإلى أن تقوم الساعة ، ما هو أعز على نفوسهم وأقدس فى حياتهم منهما ، الأمر الذى يمكن أن يقال معه : إن الحرمين الشريفين كانا قد احتلا فى نفوس المؤمنين بالله ، موضع الروح من الجسد ، فأجمع المسلمون على تعظيم الحرمين وتقديسهما والعناية بهما ، وتعلقوا بهما ، وأحبوهما ، وربوا أبناءهم على ذلك . وظلت هذه الأمة مصونة مكرمة ما عظمت وقدسست الحرمين ، كما وعدّها بذلك سيد الخلق عليه السلام : « لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها فإن ضيعوا ذلك هلكوا » رواه ابن ماجة .

وعلى هذا أصبح تعظيم وتقديس الحرمين علامة على صحة الإيمان وقوته ، والاستهانة بهما والاعتداء عليهما علامة على النفاق والفسوق والعصيان ؛ ولذا فقد كان عصر النبوة ، هو أكثر العصور تعظيما للحرمين ، وبلى ذلك عصر الخلافة الراشدة ، ثم جاءت عصور مختلفة تفاوتت فيها حرمة الحرمين وقداستهما عند

المنتسبين للإسلام ، فالذين استقامت عقيدتهم ، وعمر الإيمان والتقوى قلوبهم التزموا التعظيم وترجموه إلى واقع عملي مشهود . والذين انحرفت عقيدتهم ، وزاغت قلوبهم ، وخبثت نفوسهم ، لم يعرفوا لهذه القدسية قيمتها ، وترجمت أفعالهم وأقوالهم على مكنونات ضمائرهم وتنن قلوبهم .

وعلى هذا بقيت للحرمين الشريفين مكانتهما وقدسيتهما في نفوس المؤمنين ؛ لأنهم عرفوا أن من أحدث فيهما حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله ورسوله والناس أجمعين ؛ ذلك لأن أى إحداث أو قول أو فعل منكر أو همّ بالاعتداء فيهما يعد جريمة وظلما يتنافى مع حرمتهم وقداستهما ويستحق المحدث أو الذى يهم بالاعتداء كل أنواع التهديد والإنذار والوعيد الشديد ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

لقد جعل الله تعالى كل شيء فى هذه البقاع الطاهرة المقدسة فى أمان عميم ، وسلام عظيم ؛ الإنسان والحيوان والطير والشجر والحجر . كل شيء آمن بأمان الله لا يخشى اعتداء ، ولا يخاف أحدا إلا الله رب العالمين . وكيف يخاف ويخشى وهو فى حرم الله وفى ضيافة الله ، وفى حماية الله وكفالته كما قال ﷺ : « الحاج فى ضمان الله مقبلا ومدبرا » . كيف يخاف ويخشى وهو فى البلد الحرام وحول البيت الحرام ، وفى الشهر الحرام ، حيث قطع الله تعالى كل بواعث الاعتداء ، أو الانتقام أو الإجمام ؟ ؟ ؟

فقد جعل الله تعالى قدسية الحرمين عقيدة يقينية توفيقية بنص الكتاب العزيز الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ .

ونص عليها الرسول ﷺ بقوله : « إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة » . وهذه الحرمة أزلية أبدية منذ أن خلق الله السموات والأرض وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وكما جعل المكان مقدسا فقد جعل الزمان مقدسا أيضا فقال عز من قائل : ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات

والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴿١﴾ .
فهذه القدسية ناموس كوني ثابت لا يتغير ولا يتبدل أبدا ﴿٢﴾ لا تبديل لخلق
الله ﴿٣﴾ وهى شرعة دينية ماضية ما دامت السموات والأرض ﴿٤﴾ لا تبديل لكلمات
الله ﴿٥﴾ .

وكما جعل المكان والزمان مقدسا فقد جعل الإنسان مقدسا ، فلا تقل قدسية
الإنسان عن قدسية الزمان والمكان ، فما قدس الزمان والمكان إلا لأجل هذا
الإنسان ، وعلى هذا المعنى نبه نبي الإنسانية ، ولفت الأذهان إلى قدسية
الإنسان ، وجعل بين القدسيتين وشيجة وآصرة دينية ، فقال حين كان يطوف
بالكعبة المشرفة وينظر إليها نظرة الإجلال والتقديس : « ما أعظمك وما أعظم
حرمتك وما أطيبك وما أطيب ربحك والمسلم أعظم حرمة عند الله منك » .

ولذا فقد اعتبر المسلمون قديما وحديثا الاعتداء على حرمة الله ومقدسات
المسلمين أو التعرض للآمنين والقاصدين بيت الله ومسجد رسول الله إنما هو
اعتداء على ذات الله ، واستهانة بحرمة الله ، وخروجاً من دين الله ، وإعلاناً
للحرب على الله ، فرسول الله يقول : « الحاج في ضمان الله مقبلاً ومدبراً » .
فكيف يتجرأ من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان على الاعتداء على ضيف من
ضيوف الله ، وهو في ضمان الله مقبلاً ومدبراً ؟ وكيف تكون بشاعة هذا الاعتداء
في الشهر الحرام والبلد الحرام وعلى الدم الحرام ؟ !

وعلى الرغم من كل هذا التقديس والإجلال والإعظام الذى أحاط الله تعالى به
الحرمين الشريفين ، إلا أن هاتين المدينتين المقدستين ظلتا مسرحاً للصراع الدموى
الرهيب بين المؤمنين المدافعين عن قداسة وحرمة الحرمين وبين الباطنيين الحاقدين
الذين لم يراعوا لهذين الحرمين ولا للدم المؤمن - دم الطائفين والعاكفين والركع
السجود - أية حرمة .

لقد ظلت هذه المقدسات والدماء الإسلامية الزكية هدفاً للمتربصين من أعداء
هذا الدين من الباطنيين والمجوسيين ؛ تلاميذ عبد الله بن سبأ اليهودى الذى بذر
الفتنة ، وأنشأ هذه الفرق الباطنية ، التى تظاهرت بالحب والولاء لآل البيت ،

وأبطنت مجوسيتها وحقدتها على الإسلام والمسلمين والمقدسات الإسلامية ﴿ لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ﴾ ولا يراعون للحرمين حرمة .

لقد تعرض الحرمان الشريفان والحجاج والعمار لأحداث أليمة ، ووقائع جسيمة ، حيث كانت أول الاعتداءات وأبشع المؤامرات على المقدسات تلك التي دنست حرمة الحرم المدني الشريف ، حيث امتدت اليد الآثمة الخبيثة إلى الفاروق عمر رضي الله عنه ، وهو قائم يصلي في محراب رسول الله ﷺ فلم تعبأ بقدسية المكان ، ولا الدم الطاهر المصون . واشترك في هذه المؤامرة الخبيثة أبو لؤلؤة المجوسي الفارسي ، ومعه الهرمزان رأس الكفر المجوسي ، وجفينة النصراني . ثم جاء الاعتداء الأثيم الثاني على ثالث الخلفاء الراشدين « ذى النورين » عثمان بن عفان رضي الله عنه ، في الحرم المدني ، على يد نفس تلك الطغمة الباطنية الحاكمة .

وتوالى المؤامرات والمكائد والدسائس على الدولة الإسلامية ومقدساتها وأعظم رجالاتها طوال التاريخ ، وظلت المدينتان المقدستان (مكة والمدينة) مسرحا للاعتداءات الباطنية الرهيبة التي أهلكت الحرث والنسل ، وملأت الأرض ظلما وجورا ، وسامت المسلمين الخسف والهوان . وذلك من سنة ٣٥ هجرية منذ وقع الخلاف المشهور بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، فانتهر المجوس واليهود هذه الفرصة لتفريق كلمة المسلمين وإثارة الفتن والعداوة بينهم إذا التحمت المؤامرة اليهودية والمجوسية في الكيد للإسلام والمسلمين حيث استغل هؤلاء الشياطين حب المسلمين لآل البيت ، وأحيوا عقائدهم اليهودية والمجوسية ، وبثوا سمومهم وأحقادهم في الأمة الإسلامية . واستطاعت هذه الحركات الباطنية التي ظلت تعمل في سرية وذكاء ودهاء أن تنشر عقائدها الباطلة في صفوف السذج من أبناء الأمة ، وتمكنت بذلك من إقامة دويلات باطنية على أنقاض الأمة الإسلامية بدأت منذ سنة ١٢٩ في (مرو) بزعامة أبي مسلم الخراساني حيث ظهر المجوس على حقيقتهم عام ١٣٢ وأشفوا غيظ قلوبهم من العرب والمسلمين وأشبعوهم قتلا وتنكيلا وبطشا . ومنذ ظهور الدولة العباسية سيطر الفرس على خلفاء بني العباس وظهرت الحركات الباطنية الفارسية مثل (الرواندية التي تؤمن بتناسخ الأرواح) وحركة الزنادقة التي كانت امتدادا لحركة

(ماني) وعاد الفرس إلى عاداتهم ومعتقداتهم المجوسية الكافرة ، ومضوا في مؤامراتهم وكيدهم للقضاء على قوة المسلمين وتمزيق وحدتهم واستئصال شأفتهم . فقامت دويلات فارسية مجوسية منذ القرن الثالث الهجري حيث قامت الدولة الطاهرية سنة ٢٥٩ هـ ثم ظهرت دولة القرامطة سنة ٢٧٨ هـ . ومؤسسها هو : الحسن بن حمد سعيد الجنابي القرمطي من أهل جنابة بفارس وهو مجوسى الأصل - وجميع القرامطة من الفرس - وكانت الدعوة القرمطية صورة لدعوة مزدك الشيعوية الإباحية ، والجميع يعرف ما حل بالمسلمين والمقدسات على أيديهم . وفي سنة ٣٣٤ هـ قامت الدولة البويهية وهى أسرة فارسية من سلالة سابور ذى الأكتاف ونشروا معتقداتهم المجوسية بالقوة .

ثم جاء دور العبيديين سنة ٢٩٦ هـ فى المغرب ثم فتحوا مصر سنة ٣٥٨ هـ ثم فتحوا بلاد الشام ، وينتسبون إلى عبد الله بن ميمون القداح وهو مجوسى من أشهر الدعاة السريين الباطنيين ومن دعوته صيغت الدعوة القرمطية .

ومن أشهر حكام العبيديين الحاكم بأمر الله الذى ادعى الألوهية والذى بعث دعائه فى كل مكان يبشرون بمعتقدات المجوس بالتناسخ والحلول ويزعمون أن روح القدس انتقلت إلى على بن أبى طالب ثم انتقلت روح على بن أبى طالب إلى الحاكم بأمر الله ، وهو ما اعتقده (الحمينى) وبنى عليه فكرته فى (ولاية الفقيه) أو النائب عن الإمام المنتظر .

ثم جاءت الدولة الصفوية التى قامت فى تبريز سنة ٩٠٦ هـ - ١٥٠٠ م ، وكانت لا تقل شراسة وخطورة وحبا للاعتداء عن القرامطة والعبيديين - كما سترى فى هذا الكتاب - فقد لاقى المسلمون السنة فى إيران فى عهد الدولة الصفوية من الاضطهاد والتعذيب والتقتيل والتهجير ما يتجاوز الوصف . وتحفظ كتب التاريخ والوثائق الصفوية نفسها بصور من الاضطهاد والتعذيب الذى مارسه الشاه إسماعيل الصفوى وخلفه الشاه عباس الكبير مما يقشع لهوله الأبدان .

ولقد كرسست الدولة الصفوية جهودها منذ تأسيسها على الاستيلاء على العراق ووضع يدها على العتبات المقدسة ، ودخلت فى حروب طاحنة مع الدولة العثمانية من أجل ذلك ، مما سبب منع وصول الإسلام إلى كل بيت فى أوربا كما شهد

بذلك علماء التاريخ .

وقد سجلت المصادر التاريخية والأدبية نماذج من الأعمال المخزية والأفعال القبيحة لهذه الدولة واستهانتها بدماء المسلمين ومقدساتهم وعلمائهم ؛ من ذلك نبش قبر الإمام أبي حنيفة (رحمه الله) وإخراج عظامه وحرقها ودفن كلب أسود مكانها ، وجعل مكان القبر مرحاضا عاما لأهل سوق بغداد^(١) .

وقد دأب الصفويون على الاستهانة بالحج والحجاج والاعتداء على قوافل الحج السنية القادمة من آسيا عبر إيران والعراق . وقرر علماء الصفويين أن من شروط الحج إعلان البراءة من المشركين ، وأن هذه البراءة ينبغي أن تعلن من خلال مسيرات وهتافات ، وقد حرصوا على إعطاء الحج مفهوما سياسيا وبعدا باطنيا جديدا يحقق لهم أغراضهم في الاعتداء على الحرمين والاستيلاء عليهما وقتل المسلمين فيهما .

وهو الشيء ذاته الذي فعله الخميني في حربه مع العراق ، واعتدائه على الحرمين الشريفين . فقد أعلن أنه (سيحرر الكعبة والقدس وفلسطين من أيدي الكفار) وأن تحرير الأقصى يبدأ بتحرير الحرمين .

وبعد ؛ فهل من المصادفة أن يظهر هؤلاء الباطنيون في أزمنة متقاربة ؛ العبيديون سنة ٢٩٦ هـ والبويهيون سنة ٣٣٤ هـ والقرامطة سنة ٢٧٨ هـ ، وهل من المصادفة أن يتقاسموا العالم الإسلامي على هذا النحو ؛ البويهيون في العراق والقرامطة في شبه الجزيرة العربية والعبيديون في مصر والشام ؟

وهل من المصادفة أن يلج الجميع من باب حب آل البيت والتشيع لهم ؟ أم هو كما قال الأستاذ أحمد أمين (إن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام بعداوة أو حقد ، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية ، كل هؤلاء كانوا يتخذون من حب آل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم) .

(١) الأنوار النعمانية ، ٣٢٤/٢ .

وهل من قبيل المصادفة أن يرجع البويهيون والقرامطة والعبيديون إلى أصول فارسية ؟ وهل من المصادفات أن تتشابه عقائدهم وأن تكون هي نفسها عقائد مزدك وماني وزرادشت ؟

ومن هنا تدرك - أخى القارئ - جليا أن إيران الفرس مجوسية منذ أعماق التاريخ وحتى محمد رضا بهلوى قد صرح بذلك ضاربا عرض الحائط بالإسلام والمسلمين ، فقد قال : مبادئ الدين المجوسى كافية لإيران ولل بشرية ولا حاجة إلى الإسلام) .

وأخيرا جاء دور الخمينى الأكثر مجوسية وفارسية لبعث العقائد المجوسية من جديد ، وإثارة الأحقاد الباطنية والشعوبية للقضاء على الأمة الإسلامية وإقامة الإمبراطورية الفارسية المجوسية .

إن هذه الحركة الخمينية حركة مريضة تحمل معها كل أمراض التاريخ الباطنى وأحقاده الدفينة .

إنها الشعوبية الباطنية القرمطية العبيدية الصفوية الجديدة تطل برأسها مستترة بالإسلام لتضرب العرب بالمسلمين والمسلمين بالعرب ، وتقضى فى النهاية على العرب والمسلمين .

فعلى علماء الإسلام ودعاته تنبيه الأمة إلى خطر هذه النحلة الخمينية الضالة وتوضيح أبعادها العقائدية والفكرية والسياسية والكشف عن جذورها التاريخية وأهدافها التوسعية ونواياها العدوانية وإرادتها إلحاق الشر بالإسلام والمسلمين والمقدسات الإسلامية . والله يقول الحق وهو يهذى السبيل .

المؤلف

الأستاذ الدكتور / كامل سلامة الدقس

الأمين العام المساعد لشئون

الجامعات والدراسات والبحوث

قدسية الحرمين الشريفين

إن الأمم الراقية تحتفظ بآثار أسلافها ، وتصون تراث أجدادها ، وتخلد ذكرى أبطالها ، ورسـل الإصلاح فيها . وقد حث الإسلام على ذلك فأمر بشد الرحال إلى الأماكن المقدسة ، والمواطن الطاهرة ، مهاجر الأنبياء ، ومنار العبادة الحق ، ومهد الإيمان الصحيح .

فقال ﷺ : « لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد ؛ المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا » . رواه الشيخان .

فهذه المساجد الثلاثة أقدس مقدسات المسلمين ، لما اختص الله تعالى به كل واحد منها بالمزايا والفضائل .

فكما فضل الله تعالى بعض النبيين على بعض ، فقد فضل بعض الأماكن والأزمان على بعضها ، واختص كل واحد منها بفضل ، وشرفه بميزة جعلته يفضل جميع البقاع ويسمو على جميع الأمكنة .

ففى هذه المساجد الثلاثة ذكريات للتاريخ مجيدة ، وآيات لله عجيبة ، فهى بقاع تحمل من التاريخ سطوراً رائعة ، ومن الآثار عبراً خالدة ، فزيارتها ترجع بالنفس إلى عهود سحيقة ، وعصور بعيدة ، تذكر فيها النفس المعارك الطاحنة بين الحق والباطل ، والكفاح المضنى بين النور والظلمة ، وتذكر جهاد رسل الحق وانتصارهم ، ومهاجمة جنود الله لجنود الشيطان واندحارهم ، فتشتد العزائم ، وتستيقظ الهمم ، فتجد الروح برد اليقين ، وتذوق النفس حلاوة الإيمان ، وتتيه بمجد أسلافها ، وتعتر بسالف مجدها ، فتنهض للاقتداء بهم ، واقتفاء أثرهم ، والسير على سننهم .

والمسجد الحرام أعظم المساجد الثلاثة وأفضلها ، ويليه فى الفضل المسجد النبوى ، ثم يليه المسجد الأقصى .

ففى المسجد الحرام أول بيت وضع للناس لعبادة الله وحده ، فى حين أن بقية

الشعوب والقبائل في سائر أنحاء الأرض كانوا يبنون البيوت لعبادة الأصنام والتمثيل : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ﴾ .
والمساجد في جميع بقاع الأرض بيوت الله ، وفيها نتقرب إليه بالجماعة والاجتماع والذكر والاعتكاف . وهذه البيوت تكون عادة باختيار عباد الله الذين يتقربون إليه بأحب الأعمال إليه . فكيف يكون التقرب إليه في أول بيت اختاره الله سبحانه بنفسه ، وجعله مثابة للناس وأمناً ؟ وكيف تكون البقعة لأول بيت وضعه الله للناس أجمعين إلى يوم الدين ؟ فقال عز من قائل : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ﴾ .

فهو بيت الله تعالى باختياره ، وتلك علة قداسته وسر حرمة ، وبيت الله مكان ، وبناء الكعبة مكين ، وقد رفع رمزا لمركز القداسة ووحدة التوجه .

وفي المسجد الحرام من الآيات الباقية ؛ مقام إبراهيم عليه السلام ، وفيه الحجر الأسود ، والركن اليماني ، وغير ذلك مما سيأتى ذكره ، إن شاء الله .

وقد يطلق المسجد الحرام ، ويراد مكة كلها ، كما في قوله تعالى : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ .

ولقد جمعت مكة بين فضيلتين لم يتح لبلد سواها أن تجمع بين واحدة منها : أولاهما : أن بها بيت الله المحرم الذي جعله الله سبحانه وتعالى قبلة المسلمين ومكان استجابة دعاء اللائذين والتوايين .

وثانيهما : أنه ولد بها أفضل الخلق وأكرمهم عليه محمد عليه الصلاة والسلام ، وفيها نشأ وترعرع ، وجاهد في الله حق جهاده ، وأوذى وطورد حتى هجرها مرغماً ، وعاد إليها فاتحاً منتصراً .

وأما الحرم النبوي فيكفي في فضله أنه موضع منبره صلوات الله وسلامه عليه ومقام مصلاه ، ودار آخرته وأولاه ، وأنه بجانب حجرته المعظمة التي ضمت أعظمه .

أما بيت المقدس ، فهو معهد الأنبياء ، ومعهد الأولياء ، وثاني البيت الحرام

فى البناء ، وأول القبلتين حال الابتداء ، ومن صخرته المقدسة المعراج حيث عرج
بختام الأنبياء ، من حضرة القدس إلى حضرة القدس ، وبسط له بساط الأنس ،
ودنا من ربه مقاما لم يبلغه الخليل ولا الكليم ، ولا وصل إليه ملك مقرب ، ولا نبى
كريم ، وقد أم فى ذلك المسجد النبىين وصعد منه إلى أعلى عليين .

فقد اختص الله تعالى هذه الأماكن المقدسة بخصائص وفضلها على سائر
الأمكنة ، بمقتضى حكمته فى تفضيل بعض الأمكنة على بعض ﴿ فاخلع نعليك
إنك بالواد المقدس طوى ﴾ كما فضل بعض الأزمنة ﴿ ليلة القدر خير من ألف
شهر ﴾ وفضل الرسل بعضهم على بعض ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض ﴾ .

فالحمد لله الذى يخلق ما يشاء ويختار ، ويصطفى مما يخلق ما يشاء أمكنه
وأزمته وأشخاصا ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ .

ومن الآثار النبوية : « أن لله خواصا فى الأزمنة والأمكنة والأشخاص » وإذا
كانت الخواص فى أشخاص أشاد القرآن الكريم بذكرها كالأنبياء والأخيار ، أو فى
أزمنة رفع الله من شأنها ، حتى أقسم بها ؛ كالفجر ، والضحى ، والليل فإننا
ننهض فى تقديس وإكبار إلى الكتابة فى الحرمين الشريفين وقدسيتهما ونرجى
الحديث عن المسجد الأقصى^(١) لنفرده بالتأليف والشرح والتوضيح وإزالة كل
الملاسات والشبهات التى أطلقها اليهود عن حقهم المزعوم فيه ، وتقنيد هذه
المزاعم بالأدلة الموضوعية ، والوثائق التاريخية والنصوص الصريحة الصحيحة بإذن
الله .

ولذا سنقصر الحديث فى كتابنا هذا على المسجد الحرام والمسجد النبوى ؛
ليبان حرمتهم وقداستهم وعناية المسلمين بهما ، والمؤامرات الدولية عليهما .

(١) لقد أفردنا المسجد الأقصى وفلسطين بكتاب تحت الطبع أسميناه (الجهاد طريقنا لتحرير الأقصى
وفلسطين) .

مفهوم المسجد الحرام في القرآن الكريم

إن المتدبر في آيات القرآن الكريم ، يراها قد اهتمت بالحديث عن المساجد بصفة عامة ، وعن المسجد الحرام بصفة خاصة . ومن مظاهر هذا الاهتمام ، أن الله تعالى قد نوه بعلو شأنها بقوله :

﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ .

كذلك من مظاهر هذا الاهتمام ، أن الله تعالى قد بين أن هذه المساجد التي تقام فيها العبادات ، يجب أن تنسب إليه وحده ، وأن تنزه عن أن يوجد فيها ما يتنافى مع دينه وشريعته فقال : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ . وقد مدح الله تعالى الذين يعمرون مساجد الله ، بأي نوع من أنواع العمارة ، فقال عز من قائل : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ . فعمارة المساجد ؛ بالبناء ، والتنظيف ، والصلاة ، والاعتكاف ، والعبادة . ولذا فقد توعدهم الله تعالى الذين يسعون في خراب بيوت الله بأشد أنواع العذاب ، فقال عز من قائل : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ .

قال القرطبي : (وخراب المساجد قد يكون حقيقيا ، كتخريب بختنصر والرومان لبيت المقدس ، حيث قذفوا فيه بالقاذورات وهدموه ، ويكون مجازا كمنع المشركين للمسلمين ، حيث صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن المسجد الحرام .

وقال القرطبي :

(وعلى الجملة فتعطيل المساجد عن الصلاة ، وعن إظهار شعائر الإسلام فيها خراب لها) .

والمعنى : لا أحد أظلم ممن حال بين المساجد وبين أن يعبد فيها الله تعالى ، وعمل على خرابها بطريق هدمها ، أو بطريق تعطيلها عن إقامة العبادة فيها .
وقد بين سبحانه مصير هؤلاء الظالمين في الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ .

فالهوان والذلة والخزي والخوف مصيرهم في دنياهم وأخراهم .

وقد بلغ من عناية الله تعالى بالبيت العتيق ، أن يتعرض له القرآن الكريم صراحة وضمنا ، تسعا وخمسين مرة ، نراها منشورة من سورة البقرة إلى سورة النصر ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ... ﴾ الآية .

وقد وردت الإشارة إلى المسجد الحرام بلفظ (بيت) ٢٥ مرة ، ووردت الإشارة إليه باسم مقام إبراهيم ومصلى مرة واحدة ، وقد ورد اسم المسجد الحرام في سورة البقرة وحدها في ستة مواضع :

الأول : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ .

الثاني : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ .

الثالث : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ .

الرابع : ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ﴾ .

الخامس : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ .

السادس : ﴿ والمسجد الحرام وإخراج أهله منه ﴾ .

وفي سورة المائدة موضع : ﴿ إن صدوكم عن المسجد الحرام ﴾ .

وفي سورة الأنفال : ﴿ وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾ .

وفي سورة التوبة ثلاثة مواضع : ﴿ إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴾ .

وقوله : ﴿ وعمارة المسجد الحرام ﴾ ، وقوله : ﴿ فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾ .
وفي سورة الإسراء ورد ذكر المسجد الحرام في موضع واحد : ﴿ سبحان
الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام ﴾ .

وفي الحج : ﴿ والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس ﴾ .
وفي الفتح موضعان ﴿ وصدوكم عن المسجد الحرام ﴾ ، وقوله : ﴿ لتدخلن
المسجد الحرام ﴾ .

وذكر الماوردي في « الحاوي » في كتاب « الجزية » أن كل موضع ذكر الله
فيه المسجد الحرام ، فالمراد به : « الحرم » إلا في قوله تعالى ﴿ فول وجهك شطر
المسجد الحرام ﴾ فإنه أراد به الكعبة .

وأما ابن أبي الصيف اليمنى فقال بعد ذكر المواضع الخمسة عشر : منها ما أراد
به الكعبة كقوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ ، ومنها ما أراد به
مكة كقوله تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ﴾ . وقد روى أنه أسرى به
من بيت أم هانئ بنت أبي طالب .

ومنها ما أراد به الحرم كقوله تعالى : ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد
الحرام ﴾ .

وقد روى النسائي في سننه من حديث ميمونة رضى الله عنهما قالت : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما
سواه إلا المسجد الكعبة » .

وفي رواية ابن ماجه : « صلاته بمكة بمائة ألف » ، مع ذكر المساجد يظهر
أنه أراد مسجد مكة والمصلى فيه مصل بمكة .

قال : والإنصاف إنما ينصرف إلى المسجد الذى قدر به الطواف ولهذا ورد :
كنا بالمسجد الحرام وخرجنا من المسجد الحرام واعتكفنا في المسجد الحرام وبتنا فيه .

ولا شك أن مساجد الحرم متعددة . واختص هو من بينها بالمسجد الحرام في
الغرف .

فإذا قلنا (المسجد الحرام) صرف إلى المسجد المعروف الذى ثبتت مسجديته
ويحرم على الحائض والنفساء الدخول فيه .

واختص من بين مساجد الحرم المتعددة بمزية حلول الكعبة فيه والطواف .
وأما خصائص المسجد الحرام ومزاياه فإنها ثابتة للمسجد الحرام بالمعنى العام
الذى يشمل الحرم كله ، وهى كثيرة تزرع بها كتب السنة المشرفة وفقه المناسك
وغيرها .

ومن هنا يتبين كثرة حديث القرآن الكريم عن المسجد الحرام وتنوعه ؛ فمرة
يذكره باسم (البيت) ، ومرة باسم (البيت الحرام) ، أو (بيتى) بالإضافة إلى
الله عز وجل ، أو بغير ذلك من الألفاظ التى فيها من الشرف والإجلال لهذا
المكان المطهر .

والمتدبر فى هذه الآيات الكثيرة التى وردت فى القرآن عن المسجد الحرام يرى
منها ما يتعلق بالأمر بالتوجه إليه عند الصلاة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ قد نرى
تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد
الحرام .. ﴾ الآية . ومنها ما يتعلق بوجوب تطهيره وصيانته من كل رجس كما فى
قوله تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين
والركع السجود ﴾ . ومنها ما يتعلق بحكم القتال أو العهود عنده ، كما فى قوله
سبحانه : ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم
فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ﴾ .

ومنها ما يتعلق ببعض أحكام الحج الملازمة له كما فى قوله تعالى : ﴿ ثم ليقضوا
تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ .

ومنها ما يتعلق بسمو مكانته ، وعلو قدره ، وكثرة منافعه ، كما في قوله عز وجل : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ أى به قوامهم في إصلاح أمورهم دينا ودنيا وأولى وأخرى .

من هذا العرض نرى أن القرآن الكريم ، قد تحدث حديثا مفصلا عن البيت الحرام ؛ حديثا يدل على علو شأنه وعلى سمو مكانته ، وعلى وجوب تطهيره من كل رجس سواء أكان حسيا أو معنويا ﴿ وطهر بيتي للطائفين والقائمين .. ﴾ الآية ، حديثا يهدد فيه تهديدا شديدا من يسيئون إليه بأى لون من ألوان الإساءة ، ويمنعهم من دخوله أو الاقتراب منه ، حتى ثبت إصرارهم على باطلهم وعلى ضلالهم : ﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم * وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ .

والمعنى : أن الذين أصروا على كفرهم بما أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ واستمروا على منع أهل الحق من أداء شعائر الله تعالى ومن الطواف بالمسجد الحرام . إن هؤلاء الذين يفعلون ذلك ، سوف تنزل بهم الخزي في الدنيا ، والعذاب الشديد في الآخرة .

قال الإمام القرطبي : وقوله سبحانه ﴿ والمسجد الحرام ﴾ المقصود به المسجد نفسه ، وهو الظاهر لأنه لم يذكر غيره .

وقيل المراد به : الحرم كله ؛ لأن المشركين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عام الحديبية ، فنزل خارجا عنه .

وهذا صحيح ، لكنه - سبحانه - قصد هنا بالذكر الأهم وهو المسجد الحرام^(١) .

وقوله سبحانه : ﴿ والذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ﴾ تشریف

(١) تفسير القرطبي ، ٢٣/١١ .

لهذا المكان ، حيث جعل الناس - سبحانه - تحت سقفه سواء ، وتشنيع على الكافرين الذين صدوا عنه .

أى جعلنا هذا المسجد الحرام للناس على العموم يصلون فيه ، ويطوفون به ويحترمونه ، ويستوى تحت سقفه من كان مقيما في جواره ، وملازما للتردد عليه ، ومن كان زائرا له ، وطائرا عليه من أهل البوادي ، أو من أهل البلاد الأخرى سوى مكة . قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « كان الرجل يلقي قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يتعرض له »^(١) .

وقوله سبحانه : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ تهديد شديد لكل من يحاول ارتكاب شيء يخل بأمن الحرم مما نهى الله ورسوله عنه . والمعنى : ومن يرد في هذا المسجد الحرام إلحادا (أى ميلا في دين الله) وحيدة عن أحكام الشريعة وآدابها ، نذقه من عذاب أليم لا يقادر قدره ، ولا يعلمه إلا الله . ويدخل تحت هذا التهديد الشديد ، كل ميل عن الحق إلى الباطل كالنطق بالأقوال الباطلة ، وكترويج المذاهب الفاسدة ، والدعاية لشخص أو حزب أو طائفة - كما سيأتى ذكره إن شاء الله .

وفي المقابل فقد مدح الله تعالى الذين يحرصون على تعمير المساجد عن طريق بنائها وتنظيفها ، والتردد عليها للعبادة ، ويدافعون عن حرمتها ، فقد وعدهم المولى الكريم بأن ينزلهم المنزلة اللائقة بهم من التشريف والتكريم ، ولهم جزيل الثواب ، وأعلى الدرجات في الجنة . فقال عز من قائل : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ .

أول بيت وضع للناس :

لقد ورد في معنى قوله تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس « حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .

(١) تفسير ابن كثير ، ١/١٦٨ .

جملة روايات ذكرها المفسرون والمحدثون من أهل العلم في مصنفاتهم كونه هو أول بيت وُضع في الأرض قبل أن يبنى أى بيت ، وضع في الأرض ليكون قبلة للناس ويعبد الله تعالى فيه .

وأما كونه أول بيت وضع للناس بمكة ، المراد منه الكعبة المعظمة ، فهذا لا اختلاف فيه بين أهل العلم مطلقا . فالبيت العتيق بقعة اختصها الله فسمها المسجد الحرام ، وهو الكعبة التي جمع الله لها وصف المسجدية والحرمة ، والبيتية ، وقد وصفه بالعتاقة إيذانا بأصالته في الشرف ، وتأكيذا على أنه أول بيت وضع في الأرض للعبادة .

قال تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ . وقال : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾ وقال : ﴿ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ . وقوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِيَكَةِ مَبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ قيل : بكة اسم لموضع المسجد ، ومكة : اسم للبلد بكاملها وأصل كلمة بكة من البك وهو التزاحم . يقال : تباك القوم إذا تزاحموا ، وكأنها سميت بذلك لازدحام الحجيج فيها . والبك أيضا ذك العنق ، وكأنها سميت بذلك لأن الجبابرة تندق أعناقهم إذا أرادوها بسوء . والمعنى : إن أول بيت وضعه الله تعالى للناس في الأرض ، ليكون متعبدا لهم هو البيت الحرام الذي بمكة ، حيث يزدهم الناس أثناء طوافهم من حوله ، وقد أتوا إليه ماشين على أقدامهم ، أو راكبين على رواحلهم ، من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم .

وقد مدح الله تعالى بيته بكونه « مباركا » أى كثير الخير دائمه ، من البركة وهى الثناء والزيادة والدوام .

أى : أن هذا البيت كثير الخير والنفع لمن حجه أو اعتمره أو اعتكف فيه أو طاف حوله ، بسبب مضاعفة الأجر ، وإجابة الدعاء، وتكفير الذنوب لمن قصده بإيمان وإخلاص وطاعة الله رب العالمين . وإن هذا البيت في الوقت ذاته وفير البركات المادية والمعنوية .

فمن بركاته المادية : قدوم الناس إليه من مشارق الأرض ومن مغاربها ومعهم خيرات الأرض ، يقدمونها على سبيل تبادل المنفعة تارة ، وعلى سبيل الصدقة تارة أخرى . ومن بركاته المعنوية : أنه أكبر مكان لأكبر عبادة جامعة للمسلمين ، وهى

فريضة الحج ، وإليه يتجه المسلمون في صلاتهم ، على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأماكنهم .

ثم مدحه - ثانيا - بأنه « هدى للعالمين » أى : هو بذاته مصدر هداية للعالمين ، لأنه قبلتهم ومتعبدتهم وفي استقباله توجيه للقلوب والعقول إلى الخير ، وإلى ما يوصلهم إلى رضا الله وجنته .

ثم مدحه - ثالثا - بقوله : ﴿ فيه آيات بينات ﴾ أى : فيه علامات ظاهرات ودلائل واضحات تدل على شرف منزلته ، وعلو مكانته ، ثم بين سبحانه بعض هذه الآيات الدالة على عظمته وشرفه فقال به مقام إبراهيم ، ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ .

فالعلامة الأولى الدالة على عظم وشرف المسجد الحرام « مقام إبراهيم » وهو المقام المعروف بهذا الاسم ، وهو الموضع الذى كان يقوم عليه إبراهيم تجاه الكعبة لعبادة الله وإتمام بناء الكعبة .

والعلامة الثانية التى تدل على فضل هذا البيت وشرفه بينها الله سبحانه بقوله : ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ أى : ومن التجأ إليه أمن من التعرض له بالأذى أو القتل ، ولا شك أن فى أمن من دخل البيت ، أكبر آية على تعظيمه ، وعلى علو مكانته عند الله .

قال رسول الله ﷺ : « إن أول بيت وضع للناس مباركا يصلى فيه : الكعبة . ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم كان بينهما ؟ قال : « أربعون عاما »^(١) أخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

(١) قد أشكل فهم هذا الحديث على من لم يعرف المراد منه فقال : معلوم أن سليمان ابن داود عليه السلام هو الذى سى المسجد الأقصى ، والذى بنى المسجد الحرام هو إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام . وبهما وبين سليمان أكثر من ألف سنة ، فكيف قال ﷺ أن بين المسجدين أربعين سنة ؟ .
والجواب : أن الوضع غير البناء ، فالذى أسس المسجد الأقصى ووضعه فى الأرض بأمر من الله تعالى هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام وبين إبراهيم ويعقوب هذه المدة التى جاءت فى الحديث . أما سليمان فلم يكن مؤسساً للمسجد الأقصى أو واضعاً إنما كان مجدداً له ، فلا إشكال فى الحديث .

فقد كان لهذا البيت أسبقية في التاريخ على كل مكان ، وله أفضلية في رعاية الله تعالى له ، وقد صار هذا البيت في مدى الزمن الطويل مزاراً للأنبياء وقبلة للجميع ، وهو يسامت البيت المعمور في السماء الذي تطوف به الملائكة فليس في الوجود كله مكان حظى بالشرف والطهر ، والمكانة كما حظى المسجد الحرام . قال الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز ، ١٨/٤ ، ١٩ ، العتيق : المتقدم في الزمان والمكان والرتبة .

وما دمننا بصدد الحديث عن بيت الله فلا بد أن نتعرض لمن بناه . إذ إن الشائع عند كثير من المفسرين أن سيدنا إبراهيم عليه السلام هو باني البيت وحجتهم في ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ... ﴾ ، وهذا فهم خاطيء - والله تعالى أعلم - إذ إن النص يصرح بأن إبراهيم هو الذي رفع قواعد البيت ، والرفع لغة هو الارتفاع ، والقواعد موجودة والله تعالى أمر إبراهيم برفعها ، بعد أن أطلعه على مكان البيت : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَلَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا ﴾ .

وعلى هذا الفهم لا يكون إبراهيم هو الباني للبيت ، لأن البناء مكين ولكن البيت مكان ، فليس ميلاد البيت على يد إبراهيم ، لأنه كما سبق ثابت قبل الرفع وقد يساعد على فهم النص كلمتان هما : (وضع) المبنى لما لم يسم فاعله ، و (الناس) الموضوع أصلاً لشمول أفراد الجنس ، ومادام البيت وضع للناس فواضعه غير الناس ، فمن وضعه إذن ؟

ويؤيد هذا عدة أقوال منها :

قول ابن عباس : وضع البيت على أركان رآها قبل أن تخلق الدنيا بألف عام ثم دحيت الأرض من تحته .

- وقال ابن الزبير : هذه القواعد التي رفعها إبراهيم عليه السلام .

- وقيل : إن القواعد كانت قد اندرست فأطلع الله إبراهيم عليها . وقال الكسائي : هي الجُدُر ، والمعروف أنها الأساس .

وفي الحديث : « إن البيت لما هدم أخرجت منه حجارة وعظام » .

وقد روى المفسرون روايات كثيرة تقول إن الملائكة هي التي بنت البيت أولاً وأسسته .

وقال مجاهد : خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بألفى سنة ، وأن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى^(١) .

وقال علي بن أبي طالب : أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت في الأرض ، وأن يطوفوا به ، وكان هذا قبل خلق آدم ، ثم إن آدم بنى منه ما بنى وطاف به ، ثم الأنبياء بعده ، ثم استتم بناءه إبراهيم عليه السلام .

وجاء في تاريخ الأزرقى : اشتد بكاء آدم وحزنه لما كان فيه من عظم المصيبة حتى كانت الملائكة تبكى لبكائه فعزاه الله تعالى بخيمة من خيام الجنة ووضعها له بمكة في وضع الكعبة ، قبل أن تكون الكعبة وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة فيها ثلاثة قناديل من ذهب من تبر الجنة فيها نور يلهب من نور الجنة ونزل معها الركن « أى الحجر الأسود » وهو يومئذ ياقوته بيضاء من ريض الجنة وكان كرسي آدم عليه السلام يجلس عليه .

فلما صار آدم عليه السلام بمكة ، وحرس تلك الخيمة الملائكة كانوا يحرسونها ويذودون عنها^(٢) .

والحجر الأسود حجر من أحجار الجنة ، وهذا ثابت بطرق صحيحة وأسانيد جيدة لا يمكن أن تدفع أو ترد . من ذلك قوله ﷺ : « نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن ، وإنما سودته خطايا بني آدم » أخرجه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح ، وعند النسائى :

أن النبي ﷺ قال : « الحجر الأسود من الجنة » وإسناده حسن .

وقال رسول الله ﷺ في الحجر : « والله ليبعثه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد على من استلمه بحق » أخرجه الترمذى . وقال

(١) القرطبي ، ١٢٠/٢ و ١٣٧/٤ .

(٢) تاريخ الحرمين الشريفين / ٤٧ .

حديث حسن ، ورواه الحاكم ٤٥٧/١ ، وصححه ووافقه الذهبي . وقال الحافظ في « الفتح » وله شاهد عند الحاكم أيضا من حديث أنس .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب » . أخرجه الترمذی .

ويبدأ الطواف بالحجر الأسود ، وهو المنظم الوحيد للطواف الذي لا يتم بدونه الحج أو العمرة .

ولم يقدس الحجر الأسود لذاته مطلقا ، بل قدس وحرّم لوجوده منذ وجد هذا البيت الحرام في أساس بنيانه وأصله ، ويدل على ذلك قول عمر رضي الله عنه وهو يقبله : « إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك » .

فقدسية الحجر - كما ذكرت - مكانية لكونه من البناء ، وقداسته لأنه علامة الابتداء .

وإذا كان المرجفون في دين الله والمحجوبون عن فقه التكاليف فضلا عن أسرارها ، يتشدقون بأن الإسلام قد أبقى على مظاهر الوثنية حين أمر بتعظيم البيت طوافا ، وحين كلف بتعظيم الحجر استلاما له ، ولم يقنعهم فعل رسول الله ﷺ فإننا لا نطمع أن يكفوا عن هذا الهذر بقول الفاروق عمر رضي الله عنه . ويقول الشيخ الشعراوي :

ما دام للحجر مهمة يؤدي بها خدمة للإنسان فهو مقدر ، لأنه نافع ، فإذا كان نفعه لي فإنه يصير محبوبا معتنى به ، وإذا عرض له ما يجعله ضارا بي فقد انقلب حبي له كرها ، وعنايتي به امتهانا ، فالأحجار في حصن عدوى عدو ، أقذفها لأصدعها ، وحين أستولى على ذلك الحصن ، أعمد إلى رم ما أفسدت ، ودعم ما وهبت ، ورأب ما صدعت ، ويصبح كرهى لها حبا ، وامتهانى لها عناية ، وكذلك كان الإسلام : فحين عرض لبعض الأحجار أن تكون معبود مشركين وآلهة وثنيين قال الإسلام : حطموها ودوسوها ، وحين جعل الإسلام بعض

الأحجار رمز نسك ومعلم شعبية ، قال الإسلام : عظموها وقدموها ، فلا دخل إذن لذاتية الحجر ولا اعتبار ، وإنما الدخل كله لما عرض له من معتقد ألوهية أو مجرد شعار ولا أدل على ذلك من أن مناسك الحجر تجمع بين النقيضين^(١) .

فحجر الكعبة يقبل ويعظم ، وحجر منى يقابل ويرجم ، فلا نظر للذاتية ، ولكن للعرضية . فالحجر في الكعبة شعار ، والحجر في منى رمز شيطان .

وأخرج الدولابي في « الدرة الطاهرة » عن الحسين بن علي قال : قال رسول ﷺ : « لما أخذ الله ميثاق الكتاب ، جعله في الحجر ، فمن الوفاء بالبيعة استلام الحجر » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن » . أخرجه ابن ماجه .

وقوله فاوض : أى لابس وخالط من مفاوضة الشريكين ، وتفويض كل واحد منهما إلى صاحبه .

وعن ابن عباس قال : الركن يمين الله في الأرض يضاف بها عباده كما يضاف أحدهم أخاه .

وزاده في رواية : والذي نفس ابن عباس بيده ما من امرئ مسلم يسأل الله عنده شيئاً إلا أعطاه إياه . أخرجه الأزرقى .

وعنه قال : الحجر الأسود يد الله في الأرض من مسه فإنما يبايع الله عز وجل أخرجه سعيد بن منصور .

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام إلى النبي ﷺ قال : « الحجر الأسود يمين الله في الأرض » .

ويروى أن عبيد بن عمير قال لابن عمر : إني أراك تزاحم على هذين الركنين (يعنى الأسود واليماني) فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن استلامها يحط الخطايا حطاً » .

(١) ليك اللهم ليك ، ص ٤٧ . بتصرف للشيخ محمد متولى الشعراوى .

ومن رواية عن حميد بن نافع أنه سأل ابن عمر عن استلامه لهذين الركنين الشرقيين وحدهما ، وأنه لا يستلم غيرهما فأجابه : إن رسول الله ﷺ لم يستلم غيرهما حتى مات .

ومن خصائص هذا الحجر ومزاياه : أنه يشرع تقبيله واستلامه ، وقد ثبت هذا بأحاديث كثيرة لها طرق صحيحة معلومة عند المسلمين وهي موجودة في الصحيحين وغيرهما .

ومنها أنه في أشرف مكان في بيت الله المعظم (الركن الشرقى) وهو المكان الذى يقع على نفس القواعد الأولى الأصلية التى رفعها إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ .

ومنها أن من استلمه كان كمن فاوض يد الرحمن ، وكمن بايع الله ورسوله ، كما سبق ذكره .

ومنها أنه كان نورا عظيما مضيئا ولكن خطايا بنى آدم طمسته ، كما ثبت في كثير من الأحاديث الصحيحة .

ومنها أنه يشهد يوم القيامة لمن استلمه بحق ، كما ثبت في الحديث الذى رواه الترمذى فى سننه ، والطبرانى فى الأوسط . ومنها أنه شافع مشفع يوم القيامة كما جاء فى الحديث الذى رواه الطبرانى ، ولكن سند الحديث فيه كلام .

ومن فضائل الركن اليمانى أنه على القواعد الأولى للبيت التى رفعها إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ . وقد ثبت عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال عن الركنين الآخرين اللذين لا يستلمان : إني لا أظن أن رسول الله ﷺ لم يترك استلامهما إلا لأنهما ليسا على قواعد البيت . أخرجه أبو داود والنسائى . وهو عند الشيخين من قول عمر (كذا فى تخرىج السنن ٣٧٤/٢) .

ومن فضائل الركن اليمانى ما رواه ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال : « مسح الحجر والركن اليمانى يحط الخطايا حطاً » .

قال ابن القيم « تهذيب السنن » رواه ابن حبان فى صحيحه ٣٧٤/٢ ، وكذا

أحمد ٢٣/١٢ .

وقال عبيد بن عمير لابن عمر : إنك تزاحم على الركنين زحاما ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ يزاحمه فقال : إن أفعل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن مسحهما كفارة للخطايا » . قال في جمع الفوائد رواه الترمذى بلفظه (٤٧٨/١) قلت : وقد رواه الترمذى في أواخر كتاب الحج وقال : هذا حديث حسن . ورواه أحمد في المسند بلفظ : أن استلامهما يحط الخطايا (٢٤/١٢) .

وقال المنذرى رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد . وكذا ابن خزيمة في صحيحه بلفظ مسحهما يحط الخطايا .

ومن فضائل الركن اليماني ما جاء عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « وكل به سبعون ملكا (يعنى الركن اليماني) فمن قال : اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة . اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . قالوا : آمين » .

(رواه ابن ماجة في السنن ٩٨٥/٢) .

وقال مجاهد : ملك موكل بالركن اليماني منذ خلق الله السموات والأرض يقول : آمين ، فيقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (رواه الأزرقى ٣٤١) .

وقد وردت أحاديث كثيرة كهذه وهى ما بين صحيح وضعيف وليس بها موضوع أو مكذوب . وهى تدل على فضل الركن اليماني وشرفه . ولذلك يرى جمهور العلماء أن السنة استلام أو تقبيل الركنين اليمانيين فقط^(١) .

أما الأول : فله فضيلتان كون الحجر الأسود فيه ، وكونه على قواعد إبراهيم . وأما الثانى : فله فضيلة واحدة كونه على قواعد إبراهيم وليس للآخرين شيء منه . وقد ثبت فى أحاديث كثيرة فضل (الملتزم) وهو ما بين الحجر الأسود وباب

(١) فى رحاب البيت الحرام / ٤٧ .

الكعبة . وسمى بالملتزم لأن الناس يلتزمون به ويدعون عنده . فهو من المواطن التي تسكب فيها العبرات وتستجاب الدعوات .

وقد ثبت في أحاديث كثيرة أن النبي ﷺ قد وضع وجهه وصدره وذراعيه وكفيه بالملتزم . من ذلك ما رواه أحمد : رأيت رسول الله ﷺ ملتزما الباب ما بين الحجر والباب ورأيت الناس ملتزمين معه ﷺ (كذا في بذل الجهود ١٦٥/٩) . وهذه الرواية عن عبد الرحمن بن صفوان وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وقد التزم البيت بين الباب والحجر : هذا والله المكان الذي رأيت رسول الله ﷺ التزمه (رواه ابن ماجه) .

وفي رواية أبي داود : أن عبد الله طاف ثم استلم الحجر وأقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه هكذا وبسطهما بسطا ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعله (كذا في السنن لأبي داود) .

وقد ثبت في كثير من الأحاديث أن الملتزم من المواضع التي يستجاب فيه الدعاء . فما دعا الله فيه عبد دعوة إلا استجابها .

ومما جاء في فضل الملتزم ما رواه الأزرق بسنده أن آدم عليه السلام طاف سبعا بالبيت حين نزل ثم صلى أمام باب الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال : اللهم إنك تعلم سريري وعلايتي فاقبل معذرتي ، وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنوبي ، وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي ، اللهم إني أسألك إيمانا يياشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي والرضا بما قضيت علي . فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم قد دعوتني بدعوات واستجبت لك ولن يدعوني بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه وغمومه وكففت عنه ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدتها . (وهذا الخبر سنده جيد إلا أنه موقوف على عبد الله بن أبي سليمان مولى بني مخزوم . ولكن رواه الأزرق من طريق آخر مرفوعا إلى رسول الله ﷺ وفيه حفص بن سليمان وهو متروك . وبقية رجاله ثقات »^(١) .

(١) في رحاب البيت الحرام / ٥٤ .

وجاء في فضل النظر إلى البيت واستحابة أحاديث كثيرة كلها تجعل من النظر إليه عبادة يثاب فاعلها أعظم مثوبة من رب هذا البيت سبحانه وتعالى .
فقد روت عائشة مرفوعا : « النظر إلى الكعبة عبادة »^(١) .

وقال رسول الله ﷺ : « ينزل على هذا البيت كل يوم ليلة عشرون ومائة رحمة ، ستون منها للطائفين بالبيت وأربعون للعاكفين حول البيت وعشرون للناظرين إلى البيت .

وفي رواية أربعون للمصلين ، وفيها ينزل الله على أهل المسجد - مسجد مكة - عشرين ومائة رحمة . (أخرجهما أبوذر والأزرق) .

قال السخاوي في المقاصد الحسنة ، رواه الطبراني في معاجمه ، والأزرق وآخرون كالبيهقي والحاثر في سنده ولفظ بعضهم مائة رحمة ، فستون للطائفين لأهل مكة ومثلها لسائر الناس . وذكر المنذرى حديث ابن عباس هذا وقال رواه البيهقي بإسناد حسن (الترغيب ٣١٥/٢) .

وقد تعددت الأقوال في النظر إلى البيت وأنها عبادة يتقرب بها العباد إلى الله تعالى ويرجون ثوابها .

فقد روى عن مجاهد أنه قال : النظر إلى الكعبة عبادة .

وعن سعيد بن المسيب قال : من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا خرج من الخطايا كيوم ولدته أمه .

وعن عطاء قال : النظر إلى البيت يعدل عبادة سنة ، قيامها وركوعها وسجودها . وعن السائب المدني قال : من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا تحات عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر) أخرجهما صاحب مشير الغرام . وعنه قال : النظر إلى البيت عبادة والناظر إليه بمنزلة الصائم القائم الدائم

(١) وأخرج صاحب مشير الغرام كذا في القرى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ « النظر إلى البيت الحرام عبادة » .

المخبت المجاهد في سبيل الله^(١) (أخرجها كلها الأزرق) .

ولذا فقد استحسّن بعض الصحابة والتابعين كثرة الدخول والتردد على الكعبة والنظر والتأمل في البيت .

وقد دخل النبي ﷺ البيت . وروى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفورا له » .

قال المحب الطبري ، أخرجهم تمام الرازي . وهو حديث حسن غريب من حديث عطاء بن أبي رباح .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة هو وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال بن رباح : (الحديث أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي) .

ويستحب دخول البيت على هذا اقتداء برسول الله ﷺ وصحابته الكرام . وقد كان دخول النبي ﷺ البيت يوم فتح مكة كما ورد في الصحيحين . ولذا ، فقد اتفق الأئمة على استحباب دخول البيت . واستحسن مالك كثرته .

وقد ذكر الفاسي بسنده عن الحسن البصري في رسالته المشهورة قال : قال رسول الله ﷺ : « من دخل الكعبة دخل في رحمة الله عز وجل وفي حمى الله تعالى وفي أمن الله عز وجل ومن خرج خرج مغفورا له » .

وروى الفاكهي عن مجاهد عن ابن عمر في دخول البيت : دخول في حسنة وخروج من سيئة وخرج مغفورا له .

(١) المخبت : الخاضع الخاشع المتواضع .

خصائص البيت الحرام

لقد اختص الله تعالى مكة المكرمة بخصائص وميزها بمزايا لم تحظ بها بقعة من الأرض سواها . فهي أقدس بقاع الأرض قاطبة منذ أقدم التاريخ وإلى قيام الساعة .

فالله تعالى فضل مكة وزادها تشريفا وتكريما على سائر البلاد فأورد ذكرها في كتابه العزيز في مواضع متعددة كلها تدل على شرفها وعظمتها وحرمتها وقداستها . من ذلك قوله تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ وقال : ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها ﴾ وقال : ﴿ أو لم يروا أننا جعلنا حرما آمنا ﴾ وقال : ﴿ أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ﴾ وقال : ﴿ بلدة طيبة ورب غفور ﴾ وقال : ﴿ والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس ﴾ وقال : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

وقال : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾ وقال : ﴿ بيطن مكة ﴾ وقال : ﴿ لتنذر أم القرى ومن حولها ﴾ وقال : ﴿ بهذا البلد ﴾ وقال : ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ .

فهذه الآيات العظيمة الكريمة التي أنزلها الله تعالى في مكة المكرمة المشرفة خاصة لم ينزلها في بلد سواها ، لإظهارها منه تعالى لعباده بتمام كمالها وشرفها وقداستها وتعلينا وتفهيما لهم بالتأدب عند دخولها ، والتقرب إلى الله بتقديسها وتعظيمها ، بسائر الطاعات واجتناب المنكرات من الأقوال والأفعال . فإذا كانت لها هذه المنزلة عند خالقها ، فكيف لا تكون لها عند المخلوقين الراجين لرحمة رب العالمين .

وقد سَمَّى الله تعالى بلده الأمين بأسماء كثيرة شريفة ، وأن كثرة الأسماء لتدل على شرف المسمى ، كما قيل في أسماء الله تعالى ورسوله .

قال النووي : ولا يعلم بلد أكثر أسماء من مكة والمدينة لكونهما أفضل بقاع الأرض . وذلك لكثرة الصفات المقتضية لها .

ومن هذه الأسماء التي تدل على شرف المسمى وعظمته :
مكة - وبكة - والبلد - والقرية - وأم القرى - والبلدة - والبلد الأمين - وأم رحم - وصلاح (مبنى الكسر) - والباسة (بالموحدة) - والناسة (بالنون) - والنساسة - والحاطمة - والرأس - والعرش (بالفتح) - والعرش (بالضم) - والعريش - والقادس - والقادسية - والحرام - والمسجد الحرام - والبلد الحرام - وأم الرحمة والأمانة - وأم الصفا - وأم المشاعر - والبلدة المرزوقة - والحجاز - وبلدة طيبة .

وكما كثرت أسماؤها فقد كثرت ألقابها وحدودها ، فمنها :
(المشرفة - المكرمة - والمهابة - والوالدة - والنادرة - والجامعة - والمباركة) .. إلخ
أما حدودها فقد قال السروجي :

حد الحرم من جهة طريق المدينة دون التنعيم على ثلاثة أميال من مكة ، ومن طريق اليمن على سبعة أميال من مكة ، ومن طريق الطائف للمار من عرفات من بطن نمرة على ثلاثة أميال من مكة ، ومن طريق العراق للمار من ثنيه جبل بالمقطع سبعة أميال من مكة ، ومن طريق الجعرانة ومن شعب آل عبد الله بن خالد على تسعة أميال ، ومن طريق جدة على عشرة أميال ، وهذا قول الجمهور وهو أصح الأقوال .

وهنا يحسن التنبيه إلى هذه الحقيقة وهي أن مكة وما حولها كلها حرم آمن مقدس ، مشرف عند الله . لأن البيت الحرام مهوى الأفتدة ﴿ وجعل أفتدة من الناس تهوى إليهم ﴾ كان المحور الذي تدور حوله مناسك الحج كلها ، وتحيط به أماكن الشعائر .

ولهذا أحاطت به أربع دوائر - كما يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى - لكل

دائرة حدها وخواصها ومطلوباتها .

وأول هذه الدوائر : المسجد الحرام ويحدد مكانه تخصصه بالمسجدية مهما امتد واتسع ، وخاصيته كما قال الله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمناً ﴾ ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

وتحدد الدائرة الثانية حول المسجد حدود حماه بعلامات تفصله عن الحل ، وهى منطقة حرام حتى على المقيم لا يعضد شجرها ولا يحل صيدها . ولا يحرم من كان داخلها بعمره إلا أن يخرج إلى الحل بعدها .

وحول هذه الدائرة دائرة رابعة أوسع وتحدها المواقيت التى لا يتجاوزها قاصد البيت إلا محرماً ، وهذا تبدأ أعمال الحج من القلب نية ، وعلى الجسد تجرد مما اعتاد من ثياب تشخص جاهه وتنم عن تميزه ، فيها عمل الصنعة ، وتكلف الأناقة ، مستبدلاً بكل ذلك غير مخيط ، أبيض كالفطرة ، حتى يكون الحاج عبداً فى ركب عبيد ، مندجماً فى سوائية الخلق حين يقبلون على الحق .

ومن هنا يدخل الحاج فى سلام مع الوجود كله ، سلام مع نفسه التى سالمته فرضيت أن تمتنع عن كثير مما أحل الله لغير المحرم فلا شهوة له فى زينة ولا فى طيب فضلاً عن رفث أو فسوق ، وهو فى سلام مع الناس فلا جدال . وفى سلام مع النبات فلا يقطع نباتاً ولا يعضد شجراً ، وفى سلام مع الحيوان فلا يرمى صيداً ولا يذبحه وإن صاده غيره ويظل هكذا حتى يتحلل .

وفى الإحرام من المواقيت إشعار النفس بأنها دخلت حمى الله وأقبلت على مكان غير عادى ، فلا بد أن تخرج عن كثير مما اعتادت ، تربية للمهابة واستحضاراً للقداسة .

وبعد المواقيت تأتى الدائرة الرابعة وهى أوسع الدوائر لأنها تشمل سائر الأرض كلها ، ولهذا الدائرة مطلوب واحد هو أن يجعل العبد البيت قبله مصلاه ، حاضراً القلب مع جلال الرب سبحانه وتعالى^(١) .

(١) ليك اللهم ليك ، ص ٥٧ .

تقديس العرب للكعبة قبل الإسلام :

كانت قبائل العرب تحج إلى الكعبة وتقدها ، ولكل قبيلة منها صنمها وفيها صور إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، والحجر الأسود وتمثال هبل ؛ صنم قريش ، وهو من العقيق ، وكان أكثر احتراماً وتقديساً من الأصنام الأخرى . ومن مظاهر تقديس العرب للكعبة أنهم جعلوا أشهر الحج أشهراً حراماً يقيمون فيها أسواقهم حول الحرم . ولم يجرؤ أحد على الإخلال بحرمة البيت حتى إنه لما قامت الحرب بين قريش وكنانة ، واضطرت قريش إليها ، سمتها العرب حرب الفجار ، لما كان فيها من انتقاص حرمة البيت .

وبلغ من أهمية الكعبة في نفوس العرب أن أبرهة الحبشي عامل النجاشي على بلاد اليمن ، لما أراد أن يصرف حجاج العرب عن مكة ويحول تجارة قريش عنها ، بنى كنيسة بصنعاء وأثار ذلك حفيظة العرب . فخرج رجل من بني مالك من كنانة حتى قدم اليمن ، ودخل الكنيسة وعبث بأثاثها ، وانتهك حرمتها . فغضب أبرهة وأقسم ليهدم الكعبة ، وجرّد جيشاً عظيماً من الأحباش ، سير أمامه الفيلة ويم شطر الكعبة ، وعسكر بقرب مكة . فأرسل الله تعالى عليهم : ﴿ طيراً أبابيل ﴾ ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴿ . وهُزم أبرهة وجيشه ، وخرجوا هاربين يتدرون الطريق الذي جاءوا منه . ولما ذاع خبر أصحاب الفيل بين العرب زاد احترامهم للحرم وقالوا : أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم .

وبلغ من أهمية هذه الحادثة أن أصبح العرب يؤرخون حوادثهم بعام الفيل كما يقال : ولد محمد ﷺ عام الفيل .

تقديس الكعبة بعد ظهور الإسلام .

ولما ظهر الإسلام احتفظت الكعبة بمكانتها في نفوس المسلمين ، فقد كان الرسول ﷺ يعمل على نشر الدعوة خارج المدينة ، وكان يفكر في أمر القبلة ويقلب وجهه في السماء ينتظر الوحي من عند الله ، لأنه كان في مكة يجعل الكعبة بينه وبين المقدس في صلاته .

. وظل الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بيت المقدس إلى شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة حين أمره الله تعالى بالتحويل إلى الكعبة بدلا من بيت المقدس فأنزل الله تعالى عليه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ .

وكان رسول الله ﷺ وهو في المدينة يتوق إلى زيارة الكعبة فقد خرج في السنة السادسة للهجرة للعمرة وهي زيارة البيت في ألف وأربعمائة من المسلمين ، فوقف القرشيون في طريقه على مقربة من مكة يمنعون من دخولها ، فلما عقد معهم صلح الحديبية شرط عليهم أن يأتي في العام التالي فيدخل مكة مع أصحابه بعد أن تخرج منها قريش ، ويقيم بها ثلاثة أيام وليس معهم من السلاح إلا السيوف في القرب .

ثم فتحت مكة في السنة الثامنة من الهجرة ، وسار الرسول عليه السلام إلى الكعبة ، وطاف بها سبع مرات ، ثم أمر بإزالة التماثيل والصور وحطم أصحابه الأصنام وهو يقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ .

وكان فتح مكة واستيلاء المسلمين على البيت الحرام من أكبر العوامل التي ساعدت على التأكيد على قدسية مكة وما جاورها وإعادة حرمتها وهيبتها بعد منع المشركين من الاقتراب منها ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا لأنهم أنجاس ، ﴿ إنما المشركون نجس ﴾ كما سيأتي ذكره .

ولا أدل من قداسة الكعبة عند العرب قبل الإسلام من إعادة قريش تشييد الكعبة حرصا على ما لهذا البناء من حرمة وقداسة خالدة . وقد كان احترامهم وتعظيمهم للكعبة بقية مما ظل محفوظا من شرعة إبراهيم عليه السلام بين العرب . ولقد شارك الرسول ﷺ قبل البعثة في بناء الكعبة وإعادة تشييدها مشاركة فعالة ، فلقد كان ينقل الحجارة على كتفه ما بينها وبين إزاره وكان له من العمر إذ ذاك خمس وثلاثون سنة فقد روى البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ والعباس ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي ﷺ : اجعل إزارك على رقبتك فخر إلى الأرض وطمحت

عيناه إلى السماء فقال : أرني إزارى فشده عليه .

ولقد كان له ﷺ أثر كبير في حل المشكلة التي تسببت عن اختلاف القبائل حول من يستحق أن ينال شرف وضع الحجر الأسود في مكانه فقد خضعوا جميعا لحكمه لحل هذه المشكلة ، وكان رأيا سديدا وفكرة مدهشة فرح بها الجميع وارتاحت لها نفوسهم واطمأنت بها قلوبهم .

وكل هذا يدل على قداسة الكعبة منذ الأزل وأن الذي أعاد تأسيسها وبناءها هو الخليل إبراهيم عليه السلام ، بأمر من الله تعالى لتكون أول بيت لعبادة الله وحده ومثابة للناس وأمنا ، فكانت أول بناء وضعه الله لعباده ليكون شعارا للتوحيد الخالص وعبادة الله تعالى وحده . وليظل أبد الدهر رمزا للدين الصحيح والعبادة الحقة .

ولقد آن للبشرية أن تثوب إلى رشدتها ، وتعرف الطريق إلى ربها ، وأن تدرك بطلان عبادة الأصنام التي أمر الله تعالى إبراهيم بتكسيها وهدم بيوتها والقضاء على معالمها ونسخ عبادتها . آن للبشرية بعد أن كسر محمد عليه السلام الأصنام أن تستعيز عن تلك المعابد هذا الرمز الجديد ، هذا المعبد الذي أقيم لعبادة الله وحده لا شريك له يدخله الإنسان ليقف بين يدي ربه عزيزا لا يذل ولا يخضع إلا لخالقه .

وإذا كان لابد للمؤمنين من رابطة يتعارفون بها ، ومثابة يأوون إليها فليس أجدر من البيت العتيق رمز التوحيد ، فهو شعار التوحيد والوحدة والمحبة والألفة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ . فالله تعالى جعل هذا البيت واحة أمن وسلام وبركة للمؤمنين ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ حيث يستشعر الطائف والعاكف والحاج والمعتمر كل هذا فيملا قلبه عبودية لله ونفسه خشوعا وروحه صفاء ، وقلبه وفاء بالتكاليف الشرعية . ومن هنا جاءت قداسة البيت عند الله تعالى . ومن هنا عظم مكانه وشرف عند المؤمنين أجمعين ولا يزداد مع الأيام إلا تشريفا ورفعة ومهابة .

فهذا البيت (مبارك) وقد بين الله تعالى هذه البركة في قوله سبحانه ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكعبةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾ أي قواما لصالحهم دنيا وآخره ، أما

صالحهم ديناً فحسبهم عنده أن يستشعروا الأخوة الإسلامية والمساواة المثالية ، وأن يدركوا حلاوة الوحدة وروحانية التجمع وأن تنفض عنهم كل فوارق الجنس واللون والطبقات وكلهم عبيد في رحاب مولاهم ، وأكرمهم عند الله أتقاهم .

وأما صالح آخرتهم فلأنهم يزورون ربه في بيته وحق على المزور أن يكرم زائره ولا أكرم من الله ، وهم في نزل فضله ، وأكرم تحاياهم المغفرة لأنهم تابوا كما أراد فأمهم كما يحبون ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً ﴾ .

وفي قوله سبحانه ﴿ هدى للعالمين ﴾ ما يوحى بشمول هدايته لكل عالم ، وفي الغيب أسرار ولكن أين للناس ما يجليها من أنوار ؟

وفي قوله سبحانه ﴿ آيات بينات مقام إبراهيم ﴾ ما يدل على ما لهذا المقام من خصوصية أظهرته وحده دون سائر الآيات فمقام إبراهيم حجر كان يقوم عليه ليرفع البيت فجعله الله تعالى من الآيات البينات أو جعله يمثل كل هذه الآيات فإبراهيم حيث أمر برفع البيت كان يكفيه في أداء التكليف أن يرفعه على قدر ما تطول يده ، ولكن إبراهيم كان أمة ، يحرص على أداء التكليف بأقصى الوسع ويحتال على إتمامه بما فوق الوسع فاستحق أن يقول الحق سبحانه ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً ﴾ .

فمقام إبراهيم يدل على أن إبراهيم لحرصه على إتمام التكليف فكر في وسيلة تزيد في رفع البيت عما تطول يده فأخذ حجراً على قدر ما يحمله هو وإسماعيل وقام عليه فزاد في رفع البيت بقدر ارتفاع ذلك الحجر ، وذلك يرمز إلى بذل الجهد في أداء التكليف ولو بالحيلة الفكرية التي تنمي الطاقة وتزيد في الإتقان وبذلك يؤدي التكليف شكلاً وموضوعاً بما يدل على عشق المكلف لكل تكليف وإتقانه لكل عمل^(١) .

خصائص البيت ومزاياه :

ولكل ما تقدم وغيره فقد اختص الله تعالى البيت الحرام بخصائص ، وميزه بمزايا منها :

(١) ليك اللهم ليك ، ٥٧ .

١ - احترام الكعبة وتعظيمها وتقديسها بكل أنواع التقديس والتعظيم . من ذلك تحريم استقبال الكعبة واستدبارها بالبول والغائط في الصحراء وفي البنيان عند كثير من العلماء . وعند الشافعي في الصحراء لا في البنيان وهو الأرجح والله تعالى أعلم .

روى في حديث سراقه مرفوعا : « إذا أتى أحدكم البراز فليكرم قبله الله ولا يستقبل القبلة » .

٢ - ويستحب تزيين الكعبة وسترها بالحرير ، وتطيبها بالطيب . فقد نقل الثقي الفاسي في كتابه (شفاء الغرام) عن الأزرق . روى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (طيبوا البيت فإن ذلك تطهيره) . وروى عنها أيضا أنها قالت : (لأن أطيب الكعبة أحب إليّ من أن أهدي لها ذهبا وفضة) . أخرجه الأزرق .

وروى أن الزبير لما فرغ من بناء الكعبة خلق باطنها وظاهرها بالعنبر والمسك من أعلاها وأسفلها ثم كساها وكان يجمرها في كل يوم برطل من الطيب وفي يوم الجمعة برطلين .

٣ - ومن تقديسها تحليتها . فقد أخرج الأزرق رحمه الله أن أول من حلّى الكعبة في الجاهلية عبد المطلب جد النبي ﷺ بالغزالين من الذهب اللذين وجدتهما في زمزم حين حفرها . ومن مظاهر تعظيمها وتقديسها تزيينها بالذهب . وكان أول من فعل ذلك في الإسلام الوليد بن عبد الملك حيث بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار فضرب على باب الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التي في باطنها وعلى الأركان في جوفها .

٤ - وكان الرسول ﷺ يعلم ما للبيت الحرام من القداسة والتعظيم عند الله . ذلك أنه لما فرضت عليه الصلاة ليلة الإسراء والمعراج كان مخيرا في الاتجاه إلى أي جهة فكان يتجه إلى الكعبة واستمر الحال على ذلك إلى أن هاجر إلى المدينة فصلى نحو بيت المقدس نحو ستة عشر شهرا ، وكان ﷺ يحن إلى الكعبة ويود

أن يصرفه الله إليها في صلاته فكان يقلب وجهه في السماء رجاء تحقيق ما أراد وأحب فحقق الله له ذلك وأمره بتحويل وجهه نحو الكعبة حيث قال : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾ الآية .

٥ - لقد خص الله تعالى بيته الحرام بالمهابة والتعظيم والإجلال والتكريم وأحاطه بالأسرار القدسية والأنوار الإلهية . يقف عنده الزائر خاشعا خاضعا ويطوف به الجبار ذليلا متواضعا ويقوم لديه المذنب منكسرا باكيا وبتهل المضطر إلى الله أمامه راجيا داعيا ، فعنده تستجاب الدعوات وتقال العثرات وتسكب العبرات . وكان رسول الله ﷺ إذا رأى البيت يقول : « اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة .. وزد من شرفه وكرمه ومن حجه واعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا » .

وكان عمر بن الخطاب يقول إذا رأى البيت : اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام .

٦ - هذا البيت دعامة الإسلام :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ : « إن هذا البيت دعامة الإسلام » أخرجه الأزرقي .

وعن جعفر بن محمد قال : سئل أبي وأنا حاضر عن بدء خلق البيوت ؟ قال الله عز وجل لما قال : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ قالت الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ فغضب عليهم فعادوا بعرشه . فطافوا حوله سبعة أشواط يسترضون ربهم حتى رضي عنهم .

وقال : ابنوا لي بيتا في الأرض يتعوذ به من سخطت عليه من بنى آدم ويطوف حوله كما طفتم حول عرشي فأرضى عنهم كما رضيت عنكم ، فبنوا هذا البيت . أخرجه أبو الفرج في مثير الغرام .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أهبط الله تعالى آدم من الجنة قال يا آدم إني مهبطك ومنزل معك بيتا يطاف حوله . كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى عند عرشي . فلما كان زمن الطوفان فكانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون

مكانه حتى بوأه الله إبراهيم . وأعلمه مكانه . فبناه من خمسة أجبل . من حراء وبشير ولبنان ، وجبل الطور والجبل الأحمر قال : فتمتعوا بالطواف به ما استطعتم . أخرجه أبو ذر .

وعن محمد بن سوقة قال : كنا جلوسا مع سعيد بن جبير في ظل الكعبة فقال : أنتم في أكرم ظل على وجه الأرض . أخرجه أبو سعيد بن منصور .
٧ - إن الشيطان لا يتمثل بالرسول عليه السلام ولا بالكعبة لعظمها ورهبتها وحرمتها عند الله .

وقد جاء في الحديث أن من رأى الكعبة في المنام فهي رؤيا حق كما روى الطبراني في معجمه عن أبي سعيد الخدري قال . قال رسول الله ﷺ : من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي ولا بالكعبة .

٨ - ومن خصائص البيت المعظم عند الله ما ذكره ابن هشام في سيرته وهو أن الماء لم يصل إلى البيت المعظم حين الطوفان ، ولكنه قام حوله وبقيت الكعبة في هواء السماء ، وقال نوح لأهل السفينة « وكانوا ثمانين رجلا » وهي تطوف بالبيت أربعين يوما : إنكم في حرم الله وحول بيته فأحرموا لله ولا يمس أحد امرأة . وعن عروة بن الزبير قال : بلغني أن البيت وضع لآدم عليه السلام يطوف به وإن نوحا حجه وجاءه وعظمه قبل الغرق . أخرجه أبو الفرج في مشير الغرام الساكن .

٩ - ومن خصائص الكعبة المشرفة أنها تحشر يوم القيامة كالعروس المزفوفة ومن حجها وتعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة .

وقد ذكر الغزالي في الإحياء : أن الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا أكملهم الله عز وجل من الملائكة ، وأن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها .

١٠ - ومن مزايا البيت أن الله تعالى اختصه بالطواف حوله وأجزل المثوبة للطائفين وروى في ذلك الكثير من الأحاديث التي تغني كثرتها عن الاستشهاد بها .

من ذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض في الرحمة ، فإذا دخله غمرته ثم لا يرفع قدما ولا يضع قدما إلا كتب الله عز وجل له بكل قدم خمسمائة حسنة وحط عنه خمسمائة سيئة أو قال خطيئة ورفعت له خمسمائة درجة ، فإذا فرغ من طوافه فصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وكتب له أجر عتق عشر رقاب من ولد إسماعيل واستقبله ملك على الركن فقال له استأنف العمل فيما بقى فقد كفيت ما مضى » .

ومن ذلك ما رواه الترمذى أن رسول الله قال : « من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

١١ - لقد اختص الله تعالى مكة المكرمة بالكثير من الآيات البينات - سبق الحديث عن بعضها - وهذه طائفة أخرى منها :

بقاء بنيانها الموجود الآن ، ولا يبقى هذه المدة غير بنائها على ما يذكره المهندسون ولا تزال الكعبة باقية إلى أن يأتي أمر الله .

ومنها : أنه لا يرى البيت الحرام أحد ممن لم يكن رآه إلا ضحك أو بكى .
ومنها : هيبتها في القلوب .

ومنها : كف الجبابرة عنها مدى الدهر .

ومنها : إذعان النفوس لتوقيعها دون ناه ولا زاجر .

ومنها : كونها بواحد غير ذى زرع ، والأرزاق من كل قطر تجبى إليها من قرب ومن بعد .

ومنها : أمن الحيوان فيه وسلامة الشجر .

ومنها : حجر المقام .

قال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ﴾ هو أثر قدمه الشريف في الصخرة الصماء وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام ، وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين ألوف السنين .

ومنها : أن الحمام وغيرها تقبل حتى إذا كادت أن تبلغ الكعبة . انفرقت فرقتين فلم

يعلُّ ظهرها شيء .

ومنها : عدم تنافر الصيد في الحرم حتى الظبي يجتمع مع الكلب ، فإذا خرجا تنافرا ، ويتبع الجارح الصيد في الحل ، فإذا دخل الحرم تركه . ذكره القرطبي وابن عطية وغيرهما .

ومنها : حفظ الله الحجر الأسود من الضياع منذ أن هبط إلى الأرض مع ما وقع من الأمور المقتضية لذهابه . وغير ذلك كثير وكثير^(١) .

١٥ - ومن مظاهر تكريم الله تعالى أن أجزل المثوبة لمن أقام بمكة وصبر على حرها وإموائها .

عن الحسن البصري أنه قال : (من صبر على حر مكة ولو ساعة من نهار تباعدت منه النار مسيرة عام ، وفي لفظ خمسمائة عام) . وقال عليه السلام : « من استطاع منكم أن يموت في أحد الحرمين فليمت فيه ، فإن أول من أشفع له » .

١٦ - ومن مظاهر تكريمها وتوقيرها غسلها وتطهيرها . وقد جرت العادة بغسل داخل الكعبة من عهد بعيد . وكان أول من ابتداء غسل الكعبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم فتح مكة ، فبعد أن كسر الأصنام وأزال عنها معالم الشرك أمر بغسلها . وقد روى البخاري : (أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بغسل الكعبة بعد ما كسر الأصنام وطمس التصاوير ، فتجرد المسلمون من الأزر وأخذوا الدلاء وارتجزوا على زمزم وغسلوا الكعبة ظاهرها وباطنها فلم يدعوا أثرا من آثار المشركين إلا غسلوه ومحوه) . ثم صار غسل الكعبة بعد ذلك عادة تجرى سنة متبعة من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا .

١٧ - وإذا تأملت وتفكرت - أخي المسلم - وجدت أن هذه الكعبة المشرفة أعظم دليل على وجود الله ووحدانيته ، وقدرته وعظمته ، وقهره وسلطانه حيث إنها منذ آلاف السنين والأعوام قائمة محاطة بالتعظيم والإجلال من جميع

(١) راجع إن شئت الزيادة كتاب (رحلة الصديق إلى البيت العتيق) ص ٢٣ - ٢٤ .

أجناس البشر ، وستبقى كذلك حتى قيام الساعة كما أخبرنا الصادق المصدوق .
فقد روى الشيخان والنسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : (يخرب
الكعبة ذو السويقتين من الحبشة) .

وأخرج أحمد عن ابن عمرو نحوه وزاد : (ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها
فلكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله) .

وروى الأزرقي عن أبي هريرة يحدث أبا قتادة (أن رسول الله ﷺ قال :
« يبالغ للرجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت إلا أهله ، فإذا استحلوه
فلا تسأل عن هلكة العرب ، تأتي الحبش فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا وهم
الذين يستخرجون كنزه » .

١٨ - ومن أعظم الأسرار الإلهية أنه لم يرد في التاريخ قط ولم يسمع أبدا منذ
بدء الخليقة أن أحدا من الجبابرة أو الملوك ادعى أن الكعبة الشريفة وما حولها من
المطاف ملكه أو ملك أجداده ، بل إن المشركين مع ما نصبوا حولها من الأصنام
كانوا يقرون بأنها بيت الله الحرام ويطوفون بها ويعظمونها .

١٩ - ومن عظمة وقداسة وكرامة هذا البيت العتيق أنه ليس في قدرة أحد أن
يبنى بيتا مثله إلى الأبد ويبقى أساسه من أول الدنيا إلى آخرها . ولقد بنى بعضهم
مثله فكان مآله سرعة الخراب والزوال ، وكان جزاؤه الهلاك والوبال ، فإن أبرهة بنى
بيتا في صنعاء اليمن لم يبن مثله سماه (القليس) طوله في السماء ستون ذراعا
وأنفق عليه من الأموال مالا يقدر ، يريد بذلك صرف حاج العرب عن بيت الله
الحرام إلى القليس ، فجاءه رجлан من العرب فتغوطا فيه ، فغضب أبرهة من
ذلك وقال : لا أنتهى حتى أهدم بيتهم في مكة . فساق الفيل إلى بيت الله الحرام
وقصته مشهورة .

ثم إن العباس بن الربيع الحارثي الذي ولاه أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور هدم
القليس فأصاب منه مالا كثيرا وكنزا عظيما .

ويروى الشيخ عبد الله بن محمد الغازي الهندي ١٣٦٥ هـ في تاريخه المخطوط
المسمى (إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام) : أن أحد أجداد خالد بن

برمك ، بنى بيتا عارض به الكعبة ، وجعل حول أروقته ثلاثمائة وستين مقصورة يسكنها خدمه وقواده ، وكان من يليه يسمى (برمكا) يعنى (والى مكة) فكان أهل مملكته يحجونه ويطوفون به .

وذكر أيضا أن ظالم بن أسعد بنى لغطفان بيتا على قدر الكعبة فكانوا يحجون إليه ، فأغار عليهم زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالما وهدم بناءه .

٢٠ - الكعبة هى مركز الأرض وسرتها :

وقد أثبت ذلك الجغرافيون والفلكيون والمسلمون قديما وحديثا فالكعبة أيضا بالنسبة للمسلمين هى قبلتهم فى صلاتهم ودعواتهم وما أشبه قلوب المسلمين فى توجهها إلى الكعبة بالإبر المغناطيسية التى تتجه إلى قطبها ليل نهار ، على بعد الأقطار ، واختلاف الأمصار ، فإن كل مغناطيس على الأرض يتجه إلى القطب أبدا . إن أدركته عنه دار إليه وإن صرفته جهده طاقتك لم ينصرف عنه وإن أحبطته بآلاف الحجب فهو موصول به ونازع إليه . ولكن شتان بين القلوب النابضة الداعية والإبر الجامدة الهامدة .

وتؤمن وفود المسلمين هذا البيت الذى اتجهوا إليه على بعد الديار فيرون قبلتهم عيانا ، ويبتهم جهرة ، يصلون حوله فى كل جهة ، قد أمحت المسافات والجهات ، فهم عند هذا البيت كإبر المغناطيس إذا بلغت قطبها تدور فى كل جهة ، لاشمال ولا جنوب ولا شرق ولا غرب . ومن دخل البيت صلى فى مكة إلى كل الجهات ، قد بلغ المركز الذى تتجه إليه وجوه المسلمين وقلوبهم فى الأقطار كلها ، مركز الدائرة التى تجمع المسلمين على العقائد الحققة ، والعمل الصالح ، والخلق البر ، والجهاد لخير الدنيا والآخرة والأخوة والمودة ، إنها الوحدة المحبة والأخوة المجسمة ، والمحبة المثلثة ، لا يعرف لها حاضر البشر قبلا ، ولا يذكر لها ماضيهم نظيرا ما أبصرت هذه الكعبة الكريمة إلا تخيلت بناء العقيدة المحكمة والتوحيد الخالص ، وإلا تمثلت أدعية الداعين فى المشرق والمغرب ، وآهات الضارعين بالليل والنهار ، تهوى عليها ، وتطوف بها فى الغدو والآصال والبكر والأسحار مع أنفاس الطائفين . وما طفت حولها إلا تمثلت هذه الدائرة الإسلامية الجامعة تدور حول هذا المركز الحق الذى لا يتغير ولا يتبدل .

وماذا يمكن أن نقول ، وأن نعدد ونذكر من خصائص البيت العظيم هذه البنية المكرمة ، هذه الكعبة المشرفة التي لا يعرف تاريخ البشر لها مثيلاً .

بيت فيه أمانة التوحيد الخالص ، ويسر الحنفية السمحة ، خلا من الأوثان والأصنام والصور والزخارف والنقوش ، وقام رمزا بتوحيد الله سبحانه ، ولاتحاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، تهفو إليه أفئدة المؤمنين حيثما كانوا ، وتحقق له قلوبهم أينما حلوا ، وتتوجه إليه قلوبهم أنى توجهوا ، فلو أن بيتاً صور من سواد العيون أو سويدات القلوب لكان هذا البيت الكريم . لا تمر ساعة من ليل أو نهار إلا وآلاف الآلاف من الوجوه والقلوب متجهة إلى هذا البيت ، متوجهة إلى ربه . فهل يعرف بيت على هذه الأرض وعلى طول التاريخ تطمح إليه الأبصار وتتوجه إليه الأفئدة بضراعتها ، ودعائها ، واستغفارها ، وبرجائها وأملها في كل زمان وفي كل مكان ؟^(١) .

فسبحان الذى جعل بيته الحرام فى بلده الأمين وغمره بالبركات والخيرات ، وأحاطه بالأنوار والأسرار . والحمد لله الذى جعلنا من أهله وجيرانه ، وحفنا بلطفه وعفوه وغفرانه .

(١) تاريخ الحرمين الشريفين ، ص ١٢٩ وما بعدها .

حفظ الله تعالى لبيته وحمائته لأهله ومحاربه لمن أرادهم بسوء

إن من أخص خصائص الكعبة المشرفة أن الله تعالى تولى حفظها من كيد الكائدين وتخريب المخربين وإفساد المفسدين ، وهو سبحانه الذى كاد هؤلاء أجمعين فأهلكهم ودمر عليهم فذاقوا وبال أمرهم وأصبحوا عبرة لمن يعتبر .
وقد تواعد فى الكثير من آياته القرآنية من أراد مكة وأهلها بسوء ، وأنذره أشد النذير .

فلنتدبر بعض هذه الآيات والنذر ، ومن ذلك قوله تعالى :
﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .
لقد اقتضت حكمة البارى سبحانه وتعالى إيجاد منطقة حرام ، وواحة أمن وسلام ، يلقى فيها السلاح ، ويأمن فيها الخائف ، وتحقن فيها الدماء ويجد كل إمريء مأواه ، لا تفضلا من أحد ، بل حقا يتساوى فيه كل أحد من الواحد الأحد الفرد الصمد سبحانه . وهكذا سبق الإسلام سبقا بعيدا بإنشاء واحة السلام ، ومنطقة الأمان ، دار الإسلام المفتوحة لكل إنسان مسلم .

ولذا فقد هدد القرآن الكريم تهديدا يقطع نياط القلوب من يريد تعكير صفو السلام فى البلد الحرام فى البيت الحرام ، فى مكة دار السلام فقال : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ فما بال من يريد ويفعل ؟

إن التعبير يهدد ويتواعد على مجرد « الإرادة » زيادة فى التهيب والتحذير ومبالغة فى الإنذار والوعيد الشديد .

ولا أدل على ذلك من حذف خبر إن فى الآية ﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ﴾ ولم يذكر مآلهم ؟ ولم يحدث عن شأنهم ؟ ولم يلمح

عن مصيرهم . وهنا تذهب النفس حشرات في البحث عن هذا العذاب المجهول ، الذى لا يدرك كنهه إلا الله تعالى الذى أنذر وتوعد .

ثم يمضى السياق فيتحدث عن نشأة هذا البيت الحرام ، وعن القاعدة التى أقيم عليها ، وعن الغرض من إقامته ، وهو عبادة الله وحده :

﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ .

فللتوحيد أقيم هذا البيت ، فهو بيت الله وحده دون سواه ، بيت عباد الله الذى طهرهم هذا البيت من الرجز والأوثان ، بيت الطائفين والعاكفين والركع السجود .

ويقف السياق عند بعض معالم الحج وغاياته :

﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ﴾ والمنافع أكثر من أن يحصيها عد فهى معجزة المعجزات الباقية إلى قيام الساعة فالحج موسم عبادة تصفو فيه الأرواح ، وتستشعر قربها من ربها فى بيته المحرم ، وهو مؤتمر جامع للمسلمين أجمعين ، مؤتمر دعا إليه خالق البشر فى أقدس بقعة ، فى أقدس شهر . مؤتمر يصل الماضى بالحاضر بالمستقبل ، حيث يجد الحجاج أصلهم العريق الضارب فى أعماق التاريخ منذ الخليل عليه السلام ﴿ ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ .

مؤتمر للتعارف والتشاور ، وتبادل الآراء والمنافع والمعارف والتجارب مؤتمر القوة والتوحد والتجمع حيث تذوب فيه اللغات والجنسيات وتتوارى خلفه الأوطان والألوان . مؤتمر التوحيد والوحدة ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة . وأنا ربكم فاعبدون ﴾ . مؤتمر السلم والسلام والأمن والأمان فى بيت الله الحرام حيث الحرمات كلها مصونه . حرمة العقيدة والعرض والدم والمال ، والعهد والميثاق ، والهدنة والسلام : ﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ﴾ .

فتعظيم حرمات الله يقتضى عدم المساس بها أو الاقتراب منها أو الهتم بالاعتداء عليها . وفى ذلك الخير كل الخير عند الله ، خير فى عالم الضمير والمشاعر ، وفى

عالم الحياة والواقع . فالضمير النقي الحيى من الله يتخرج من البغى والعدوان ومن الفسق ومن الجدل والرفث والخصومة والمراء . لأنه يحس أنه تحت رقابة من يعلم السر وأخفى ، من لا تخفى عليه خافية .

ثم يؤكد القرآن الكريم على تعظيم حرمان الله باتقائها والتخرج من المساس بها : ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ إذ إن التقوى هي الغاية من شعائر الحج كلها . فما المناسك والمشاعر إلا رمز للتوجه إلى الله بالطاعة والإنابة ، ومراقبته فى السر والعلن فلا يخطو الحاج خطوة ولا يهجمس بهاجسة إلا هو يعلم أن عين الله تراه ، وأنه مطلع على سره ونجواه ، ويجيش قلبه دائما بتقواه ، ويتطلع دائما إلى الفوز برضاه .

فهذه الذبائح التى تنحر يجب أن تنحر باسم الله وكما أمر الله لأن اللحوم والدماء لا تصل إلى الله ، إنما تصل إليه تقوى القلوب .

﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ الآية . ثم تأمل هذا الربط الدقيق بين أداء الشعائر والعبادات وبين الجهاد والاستعداد لحمايتها ممن يعتدون على حرمتها ، ويسيئون إلى قداسة المعابد وحرمة الشعائر ، فقال عز من قائل بعد هذه الآيات مباشرة فى سياق متصل : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور * أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير .. ﴾ الآية . إلى قوله : ﴿ والله عاقبة الأمور ﴾ .

١ - فمن خصائص هذا الدين وطبيعته أنه دين واقعى حركى ، لا مثالى خيالى ، فما دام الصراع بين الحق والباطل مستمرا فلا بد للحق من قوة تحميه وتقيه من الفتنة والبطش والاعتداء . فالقوة المادية التى يملكها الباطل يجب أن تقابل بقوة مادية أقوى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ . وقد طمأن الله تعالى عباده المؤمنين الذائدين عن الحرمات والمقدسات بأن الله معهم وأنهم فى حمايته وسيجعلهم ستارا لقوته ، فيضرب بهم رقاب أعدائهم ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ وأنه القادر على نصرهم على أعدائهم ﴿ وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ .

ويؤكد سبحانه على قانون حتمى هو قانون الصراع والتدافع بين الخير والشر ،
فالعقيدة فى حاجة إلى دفع : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ فالشر يقصد إلى
هدم كل أماكن العبادة ، وسائر المقدسات ولا يشفع لها عند الأشرار ذكر اسم
الله فيها ، ولا يحميها إلا حماة العقيدة والرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .
ولقد بين الله تعالى أن سنة الصراع قائمة إلى قيام الساعة ولا يقف العدوان إلا
بقوة الحق وأصحابه .

تلك سنة الله التى لا تتبدل ولا تتغير ، لا بد للحق من قوة تحميه وتضحي من
أجله ، بالنفس والنفيس ، وتسترخص الصعاب فى سبيله . وقد شاء الله أن يجعل
دفاعه عن الذين آمنوا عن طريقهم هم أنفسهم ، ولم يجعله هبة تهبط عليهم من
السماء بلا عناء ، وللنصر أسبابه ومقوماته وتكاليفه ، ولابد من استيفاء أسبابه
وأداء ثمنه ، وتهيئة الجو لاستقباله واستبقائه :

﴿ ولينصرن الله من ينصروه إن الله لقرى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض
أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴾ .
٢ - إن الإسلام منهج واقعى جدى حركى متوازن لا يقوم على مثاليات خيالية
جامدة فى قوالب نظرية . إنه يواجه الحياة بمنهج ربانى يكافئ واقعيتها . فالإسلام
أعظم الأديان رعاية للحرمان وصيانة للمقدسات ولكنه فى الوقت نفسه لا
يسمح أن تتخذ الحرمان شعارات لمن ينتهكون الحرمان ، ويؤذون الطيبين ،
ويقتلون المصلين والطائفين والعاكفين ، ويفتنون المؤمنين ، ويعيثون فى الأرض فسادا
باسم الدين . فهذا كتاب الله يصرح فى حسم قاطع أن لا حرمة لمن يتترس
بالحرمان ليضرب من ورائها الحرمان ، فيقرر حرمة الشهر الحرام ، ويقرر أن
القتال فيه كبيرة ، فيقول :

﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ﴾ لمن كفر بحرمة
المسجد الحرام وانتهكوا قدسيته ، وآذوا المسلمين فيه وفتنوه عن دينهم ، وروعوا
الآمنين ، وعكروا صفو الحجاج والمعتمرين . فقال سبحانه : ﴿ وصد عن سبيل
الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ﴾ .

الزبير ، فقالت : قال رسول الله ﷺ : « يعوذ عائذ بالبيت ، فيبعث إليه بعث ، فإذا كانوا ببیداء من الأرض خسف بهم ، فقلت : يا رسول الله ، فكيف بمن كان كارها ؟ قال : يخسف به معهم ، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته » أخرجه مسلم .

وفي رواية عبد الله بن صفوان عن أم المؤمنين : أن رسول الله ﷺ قال : « سيعوذ هذا البيت - يعنى الكعبة - قوم ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة ، يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببیداء من الأرض خسف بهم » أخرجه مسلم والنسائي .

ومن هذه الآثار ما روى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما زلنا نسمع أن أسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين . ومنها أن امرأة في الجاهلية أتت الكعبة تتعوذ من زوجها فمد رجل يده إليها بسوء فيست .

ويقرب من خبر أبرهة خبر تبع ملك اليمن واسمه (أسعد) وقد كان في بلاد الشرق ثم عاد إلى بلاده وكان في طريقه على المدينة المنورة ومكة فوصل المدينة المنورة ودخلها ثم سار منها بجيشه الجرار إلى مكة فلما كان بين المدينة ومكة لقيه جماعة من هذيل فحسنوا له تخريب الكعبة وأن يبنى بدلها كعبة عنده في اليمن تحج الناس إليها فيكثر موره وتعلو كلمته ويعظم قدره وتعمر بلاده ، فعزم على ذلك ، فلما صمم على تنفيذ نيته غشيته وجيشه ظلمة شديدة وريح عاصف فابتلى بأمراض وأوجاع فسالت عيناه على خده ورمى بداء في رأسه صار يجرى منه القيح والصدید كثيرا وأنتن حتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه وكأنه جيفة حمار من شدة نتنه ورائحته الكريهة . فلما سأل أحبار وأطباءه عن سبب أمراضه قالوا له : لعلك هممت بهذا البيت بسوء ، قال : نعم ، وأخبرهم بما قاله له الهذليون من تخريب الكعبة وأنه أراد تخريبها ونقلها لبلاده فقالوا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جيشك ومن معك . هذا بيت الله لم يرد أحد بسوء إلا أهلكه الله .^(١) ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

(١) هذه القصة من كتاب « في رحاب البيت الحرام » ، ص ٦٩ وبعدها .

٤ - نهى الشارع الحكيم عن الخصومة والجدال والرفث في الحج وحسب الخصومة والجدال أن الله تعالى تولى النهى عنهما في الحج بنفسه في كتابه العزيز بقوله : ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ . والجدال المنهى عنه قد تنوعت الأقوال في تفسيره وأحراها بالقبول ما نقل عن ابن عباس وغيره أنه بمعنى المراء والملاحاة والخصومات . ولا مراء في أن الفسوق والجدال بالباطل من المحرمات في الإسلام ولكن حرمتها في الحج أشد .

ذلك أن مناسك الحج تلبس الحجاج شعار الأخوة والمساواة ، وتشعرهم بأنهم كلهم لله ، وتربطهم برابطة الكعبة والتوحيد والتوجه إلى الله فلا ينبغي أن يكدر صفو هذه الأخوة بالجدال الذي يؤدي إلى تنافر القلوب وخلق الأحقاد والأضغان .

فالواجب على المسلمين أن يتقوا أسباب الخصومات ، وأن يجتنبوا كل مايؤدي إليها . وقد أمر الله تعالى رسوله أن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكلمة الحكمة كلمة جامعة تشمل الرفق والأناة وتخير الملائم من العبارات والأزمة والأمكنة . وقد روى البخارى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم » . والألد : الشديد العسف في خصومته . والخصم : المولع بالخصومة الحريص على استمرارها وفتح أبواب لها . وروى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « كفى بالمرء إثماً أن لا يزال مخاصماً » .

وكل ما جاء في القرآن وما روى في صحيح السنن من الأمر بإصلاح ذات البين والنهي عن الخلاف والشقاق وأمر القاضى أن يعرض الصلح على الخصوم قبل القضاء ، المقصود به الوقاية من الخصومات وقطع أسبابها .

ويؤدي الفجور في الخصومة واللد فيها إلى الشدة والعنف والخروج بها عن سبيلها المستقيم ، وهذا يؤدي في الغالب إلى الافتراء وإلى الإصرار على الباطل مع وضوح الحق . ومن أحق الناس بأن يرفقوا في خصومتهم ويتجنبوا الرفث والفسوق

والجدال هم الحجاج والعمار الذين جاءوا يرجون ثواب الله ورضاه ويخافون عقابه وسخطه .

هـ - إن المسلم الحريص على دينه عليه أن يتجنب ما يخل باحترام الأماكن المقدسة ، ويحافظ على توقيرها واحترامها ، وأداء حقوقها .

فإذا كان يكره في المسجد عامة أشياء حددها العلماء والفقهاء على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ، فإن هذا أولى بالاجتناب في أعظم المساجد وقبلتها جميعا .

فمن المكروهات رفع الصوت بالكلام أو بالذكر في المسجد إن ترتب عليه تهويز على المصلين أو إيقاظ للنائمين ، كما قال الأحناف . وقال الأحناف : أما رفع الصوت بالكلام فإن كان لا يخل فإنه يكره تحريما ، وإن كان يخل فإنه يترتب عليه تهويز على المصلي أو نحوه كره ، وإلا فلا كراهة ومحل عدم الكراهة إذا دخل المسجد للعبادة ، أما إذا دخله لخصوص الحديث فيه فإنه يكره مطلقا . وقال المالكية : يكره رفع الصوت في المسجد ولو بالذكر والعلم واستثنوا من ذلك أمورا أربعة :

الأول : إذا احتاج المدرس إليه لإسماع المتعلمين ، فلا يكره .

الثاني : أما إذا أدى الرفع إلى التهويز على مصلي ، فيحرم .

الثالث : إذا رفع الصوت بالتلبية في مكة أو منى ، فلا يكره .

الرابع : رفع صوت المرباط بالتكبير ونحوه ، فلا يكره .

وقال الشافعية : يكره رفع الصوت بالذكر في المسجد إن هوش على مصل أو مدرس أو قارئ أو مطالع أو نائم لا يسن إيقاظه ، وإلا فلا كراهة .

وأما رفع الصوت بالكلام فإن كان بما لا يخل كمطالعة الأحاديث الموضوعة ونحوها فإنه يحرم مطلقا ، وإن كان بما يخل لم يكره إلا إذا ترتب عليه تهويز ونحوه .

وقال الحنابلة : إن رفع الصوت بالذكر في المسجد مباح إلا إذا ترتب عليه تهويز على المصلين وإلا كره ما يباح من غير الذكر ، أما ما لا يباح فمكروه مطلقا .

وإن أبى الله ورسوله على المسلمين أن يتجادلوا أو يرفثوا أو يفسقوا في الحج ، فكيف بمن يدعى الإسلام من الخمينيين كيف يسوقون مظاهراتهم وهتافاتهم في رحاب الحرمين الشريفين وفي جميع المشاعر المقدسة وهم يهتفون لصنمهم ويرفعون صورته ، ويهتفون ضد أمريكا وإسرائيل مع أنهم يأتمرون بأمرهما وينفذون مخططاتهما ؟ ! فهذا البلد الحرام طاهر لا يدخله إلا الأطهار الأخيار ، الذى تطهر في ظاهره وباطنه . ولذا شرع الغسل قبل دخول مكة ، فقد ذكر العلماء أن من آداب دخولها الاغتسال .

ففى الصحيحين : عن ابن عمر أنه كان لا يقدم مكة إلا بات بذي طوى حتى يصبح ويغتسل ثم يدخل مكة نهارا . ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان يفعل ذلك ، ولا فرق بين أن يكون الداخل محرما أو وحللا . وقد صرح بهذه المسألة الشافعى فى « الأم » .

فما بالكم بمن يدعى الإسلام اليوم ، والذى يأمر أتباعه بخلع ملابس الإحرام ، وأن يتوضأوا بدم المسلمين السنة ؟ !

٦ - إن الصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، لما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة فى مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » .

وبدل على ذلك حديث ابن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف فى غيره من المساجد إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة ألف صلاة » . وإسناد هذا الحديث على شرط الصحيح . رواه أحمد والبخاري وابن حبان وصححه ابن عبد البر فى التمهيد .

وحديث جابر عن رسول الله ﷺ قال : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف فيما سواه » .

قال أبو بكر : فحسب ذلك على هذه الرواية التى هى صلاة فى المسجد

الحرام أفضل من مائة ألف صلاة ، فبلغت صلاة واحدة في المسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة ، وصلاة يوم وليلة في المسجد الحرام ، وهي خمس صلوات ، عمر مائتي سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليالي ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ وإن هذا التضعيف لا يختص بالصلاة ، بل سائر أنواع الطاعات قياسا على ما ثبت في الصلاة والنظر إلى الكعبة فألحق به ما في معناه من أعمال البر .

قال الحسن البصري : صوم يوم بمكة بمائة ألف ، وصدقة درهم بمائة ألف ، وكل حسنة بمائة ألف . وفي سنن ابن ماجه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه وقام منه ما تيسر ، كتب له مائة ألف شهر رمضان فيما سواه وكتب له بكل يوم وليلة عتق رقبة وفي كل يوم حملان فرسين في سبيل الله وفي كل ليلة حسنة » .

وروى البزار في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا : رمضان بمكة أفضل من ألف رمضان بغير مكة . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه عاصم بن عمر ، ضعفه الأئمة أحمد وغيره وثقه ابن حبان .

وفي حديث ابن عباس مرفوعا قال وفيه حسنات الحرم الحسنة بمائة ألف حسنة . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، رواه البيهقي . وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن مقامه بغير مكة فقال : مالي ولبلد تضاعف فيه السيئات كما تضاعف الحسنات ؟ فحمل ذلك منه على مضاعفة السيئات بالحرم .

وذهب جماعة من العلماء أيضا إلى مضاعفة السيئات كما تضاعفت الحسنات ومن قال بذلك مجاهد وابن مسعود ، ومن أخذ بعموم الأدلة لم يقل بالمضاعفة لقوله تعالى : ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ﴾ ولقوله عليه السلام : « من هم بسيئة وعملها كتب له سيئة واحدة » .

وحرر بعض المتأخرين النزاع فحمل المضاعفة على الكيفية لا على الكمية وقال معناه أن السيئات تتفاوت ، فمن عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في موضع بعيد عنه .

وعلى كل فهذا يدل على تعظيم للحرم وخوفهم من الله عز وجل في مواضع الأجر أن يرتكبوا شيئاً من الفجور . فقالوا : إنه يعاقب على مجرد الهم بالسيئة وإن لم يفعلها .

قال الإمام أحمد : لو أن رجلاً همّ أن يقتل في الحرم أذاقه الله من العذاب الأليم . ثم قرأ : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

وقال ابن مسعود : ما من بلد يؤخذ العبد فيه بالهم قبل الفعل إلا مكة وتلى هذه الآية : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ وعلى هذا فيستثنى ذلك من قاعدة الهم بالسيئة مع عدم فعلها .

وقال مجاهد : من يعمل فيه عملاً سيئاً ، وهذا من خصوصية الحرم ، إنه يعاقب البادئ فيه بالشر إذا كان عازماً عليه وإن لم يوقعه وحاصله إن فعل الإنسان سيئة فيه بشكل عام يجازى على قدرها زيادة على ما لو فعله بغير الحرم لحرمته عند الله ، وذلك من أصغر ذنب إلى أعظمه ، كل ذلك داخل بقوله تعالى ﴿ بظلم ﴾ فلو شتم خادماً فما فوقه كاحتكار الطعام - إلى القتل والشرك والارتداد ، فهو ظلم . فعمل شيء في الحرم ليس كعمله في أى مكان دونه والله تعالى يعاقب عليه بما يناسب حرمة الحرم^(١) .

وعلى هذا فإن هذه من خصوصيات الحرم التى تتناسب مع قدسيته وحرمة فقد اتفق أهل العلم على : أن من هم أن يعمل سيئة في مكة أذاقه الله تعالى العذاب الأليم بسبب همه بذلك ، وإن لم يفعلها بخلاف غير الحرم المكي من البقاع فلا يعاقب فيه بالهم .

وقال عبد الله بن مسعود : لو أن رجلاً أراد بإلحاد بظلم وهو بعدن أبين لأذاقه الله من العذاب الأليم . وهذا ثابت عن ابن مسعود ، والذين قالوا هذا القول استدلوا به بظاهر قوله تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ لأنه تعالى رتب إذاقه العذاب الأليم على إرادة الإلحاد بالظلم فيه .

(١) تيسير العلى القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، ٢٠٣/٣ .

ومما ذكره الزركشى من خصائص مكة :

تغليظ الدية على من قتل في حرم مكة ، وهو الذى لا يجوز دخوله بغير إحرام لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾ ولأنه لما تغلظ تحريم الصيد كان أولى أن تغلظ فيه نفوس الآدميين لأن للحرم تأثيرا فى أثبات الأمن . وتغلظ وإن كان القتل خطأ سواء كان القاتل والمقتول معا فى الحرم ، أو أحدهما فيه دون الآخر .

وذهب الحسن البصرى إلى أنه لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة ، لأن القتل منهى عنه فلا يحل بسببه ، ولقوله ﷺ : « لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ السِّلَاحَ بِمَكَّةَ » رواه مسلم من حديث جابر .

قال القاضى عياض : وهو محمول عند أهل العلم على حمل السلاح لغير ضرورة ولا حاجة ، فإن كان حاجة جاز ، قال : وهذا مذهب مالك والشافعى وعطاء .

وقال أصحابنا : لا يُمكن الكافر من دخول حرم مكة ، سواء مساجدها أو غيرها ، حتى لو جاء فى رسالة لا يدخل بل يخرج إليه من يقضى الأمر المتعلق به هذا هو المشهور .

قال الشافعى فى الأم هناك : ليس للإمام أن يدع مشركا يطأ الحرم بحال من الحالات .. طبيبيا كان أو صانعا بنيانا أو غيره . وابن كج يحمل النص على غير حالة الضرورة .

انعقد الإجماع - كما قال القاضى عياض وغيره - على أن أفضل بقع الأرض على الإطلاق المكان الذى ضم جسده ﷺ وعلى أن مكة أفضل بقاع الأرض بعده .

إن الحرم لا يدخله أحد إلا متواضعا خاشعا متذللا مكشوف الرأس متجردا من لباس الدنيا بخلاف غيره من البقاع .

إنه سبحانه أقسم به فى موضعين من كتابه فقال : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ ﴾ وقال : ﴿ لَا أَقْسَمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ أى أقسم ، لأن « لا » فى هذا الموضع عند النحويين صلة .

إنه سبحانه وتعالى أضافه إلى نفسه في قوله تعالى : ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ ﴾
وناهيك بهذه الإضافة المنوّهة بذكره المعظمة لشأنه ، الرافعة لقدره . وهى السر في
إقبال قلوب العالمين عليه وعكوفهم لديه .

روى ابن حبان في صحيحه في حديث طويل مرفوعا : « إن الحاج إذا قضى
آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وفى سنن سعيد بن منصور عن عمر أنه قال : « من أتى هذا البيت لا ينتهزه
غير صلاة فيه ، رجع كيوم ولدته أمه » .

لو نذر إتيان المسجد الحرام ، لزمه ، لحديث : « لا تشد الرحال إلّا إلى
ثلاثة مساجد » كما في الصحيحين . وأصح الطريقين ، أنه ينعقد نذره بحج أو
عمرة ونص عليه الشافعى .

كما قاله القاضى الحسين لحديث أخت عقبة أنها نذرت أن تمشى إلى بيت الله
فأمرها رسول الله ﷺ أن تمشى بحج أو عمرة ، لأن مطلق كلام الناذرين محمول
على ما ثبت له أصل في الشرع كمن نذر أن يصلى : يلزمه الصلاة المعهودة شرعا
والمعهودة في الشرع والعرف قصد المسجد الحرام بالحج والعمرة فيحمل نذره
عليه . لو قال لله على أن أستر الكعبة ، أو أطيبها لزمه ، لأنه قد عهد في الصدر
الأول على أنه مطلوب ، واندرج تحت قوله ﷺ : « من نذر أن يطيع الله
فليطعه » أخرجه ابن ماجة في النذر ٦٨٧/١ .

إن من أنكر مكة أو البيت ، أو المسجد الحرام ، أو صفة الحج ، أو أنه ليس
على هذه الهيئة المعروفة ، أو قال : لا أدري : أن هذه المسماة بمكة هى مكة أو غيرها ، لا
شك في تكفير قائله . قاله النووى في زوائد الروضة ناقلا له عن القاضى وغيره .

إن الدجال لا يدخلها لما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن النبى
ﷺ قال : « ليس من بلد إلّا سيطؤه الدجال إلّا مكة والمدينة ليس نقب من
أنقابها إلّا عليه الملائكة حافين يحرسونها » .

وقد أبلغ الزركشى بخصائص مكة إلى مائة وأربع وعشرين خصيصة ، وأبلغ
بخصائص المدينة إلى أربعين خصيصة .

لقد تحدث عن خصائص البيت الحرام وخصائص مكة ، فقال : هي أجل أن الدعوة في تلك البلدة مستجابة .

إن الثواب يترتب على مجرد النظر إلى الكعبة .

إنه يستحب الغسل لدخول الكعبة .

ويستحب الغسل لدخول الحرم .

ويستحب الغسل لدخول مكة . ففي الصحيحين عن ابن عمر : أنه كان لا يقدم مكة إلا بات بذي طوى حتى يصبح ويغتسل ثم يدخل مكة نهارا . ويذكر عن النبي ﷺ أنه يفعل ذلك ولا فرق بين أن يكون الداخل محرما أو حلالا .

إن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام » . وما رواه أحمد وغيره بسنده قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في غيره ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة » .

إن حرم مكة كالمسجد الحرام في المضاعفة المذكورة جزم به الماوردي وتبعه النووي في مناسكه ، ونقله صاحب البيان عن الشريف العثماني ، وهو بناء على أن المسجد الحرام في الخبر ، المراد به جميع الحرم .

قال النووي : المراد به جميع الحرم وعرفة ، وقال : سألت الشريف العثماني ما المراد بالمسجد الحرام في هذا الخبر ؟ فقال : « المراد به الكعبة والمسجد حولها وسائر بقاع الحرم » .

هذا وإن خصائص مكة المكرمة أكثر من أن تحصى وأعظم من أن تستقصى ، وذكر منها ما يلي :

— أنه أول بيت وضع للناس على الأرض .

— أن إحياء الكعبة بالحج في كل سنة من فروض الكفايات .

ونقل عن الرافعي قوله : (وينبغي أن تكون العمرة بالحج ، بل الاعتكاف

والصلاة في المسجد الحرام ، فإن التعظيم وإحياء البقعة يحصل بجميع ذلك) .
- أن الصلاة يحرم فعلها في الأوقات الخمسة ، عند طلوع الشمس حتى ترتفع قيد رمح ، وعند الاستواء حتى تزول ، وعند الاصفرار حتى تغرب ، وبعد صلاة الصبح إلى الطلوع ، وبعد صلاة العصر إلى الغروب ، لما في الصحيح من النهي عن ذلك ، ويستثنى حرم مكة .

ففى السنن الأربعة من حديث جبير بن مطعم : أن رسول الله ﷺ قال : « يا بنى عبد مناف ؛ لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت ، وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار » . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . وفى رواية « لا صلاة بعد صلاة الصبح بمكة » ، والمراد جميع الحرم - والمعنى زيادة الفضل فى تلك الأماكن .
إن الطواف تحية البيت يجوز فعله فى هذه الأوقات أيضا للحديث السابق وهو قول الشافعى وأحمد وإسحق وداود وجمهور العلماء . وبه قالت الصحابة كما سبق ، وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم ، ومنعه أبو حنيفة .

والتحيات خمس :

تحية المسجد بالصلاة .

تحية البيت بالطواف .

تحية الحرم بالإحرام والحج والعمرة .

تحية منى بالرمى .

تحية المسجد بالنسبة إلى الخطيب يوم الجمعة بالخطبة .

قاله النووى فى نكت التنبيه :

- إن الدعاء عند رؤية الكعبة مستجاب .

- وإن الدعاء فى حرم مكة مستجاب .

وقال السيوطى اختص حرم مكة بأحكام :

الأول : لا يدخله أحد إلا بحج أو عمرة وجوبا أو استحبابا .

الثانى : لا تقاتل فيه البغاة على رأى .

- الثالث : يحرم صيده .
- الرابع : يحرم قطع شجره ويشاركه فيها حرم المدينة .
- الخامس : يمنع كل كافر من دخوله مقيماً كان أو مسافراً .
- السادس : لا تحل لقطته للتملك .
- السابع : يحرم إخراج أحجاره ، وترايه إلى غيره .
- الثامن : يكره إدخال أحجار غيره وترايه إليه .
- التاسع : يختص نحر الهدايا ، والغداء به .
- العاشر : يجب قصده بالنذر ، بخلاف ما سواه .
- الحادى عشر : لو نذر الذبح فيه يقين ، بخلاف ماله نذره بغيره ، فيذبح حيث شاء .
- الثانى عشر : لا يؤذن فيه لمشارك ، ولا يدفن فيه ، فإن دفن ، نبش وأخرج .
- الثالث عشر : لادم على أهله فى تمتع ولا قران .
- الرابع عشر : تغلظ الدية على قاتل الخطأ فيه .
- الخامس عشر : لا يجوز إحرام المقيم به بحج خارجه .
- السادس عشر : لا يكره فيه نافلة بوقت .
- السابع عشر : يسن الغسل لدخوله ، ويشاركه فى ذلك حرم المدينة ، كما صرح به النووى فى مناسكه .
- الثامن عشر : مضاعفة الصلاة فيه .
- التاسع عشر : مضاعفة السيئات فيهما كما تضاعف الحسنات .
- العشرون : الهم بالسيئة فيه مؤاخذ به ، ولا يؤاخذ به فى غيره .
- ترتيب الجزاء على شرطه :
- ويؤيد هذا قول بعض أهل العلم : إن الباء فى قوله : بإلحاد ، لأجل أن الإرادة مضمنة معنى الهم . أى ومن يهم فيه بإلحاد . وعلى هذا قاله ابن مسعود وغيره .

فهذه الآية الكريمة مخصصة لعموم قوله ﷺ : « ومن هم بسيئة فلم يعملها كتب له حسنة » الحديث .

وعلى هذا كله تكون الآية الكريمة ﴿ ومن يرد .. ﴾ وحديث ابن مسعود مخصصان لعموم حديث الصحيحين (رواه البخارى عن ابن عباس باب من هم بحسنة أو سيئة ٣٢٣/١١ بشرح ابن حجر رواه مسلم عنه وعن أبى هريرة كتاب الإيمان ١١٧/١ ، ١١٨) ولفظ رواية أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل : « إذا هم عبدى بحسنة ولم يعملها كتبها له حسنة ، فإن عملها كتبها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبها سيئة واحدة » .

وفى فتح البارى (٢٣٦/١١ - ٣٢٨) تحقيق جليل نقلا عن الإمام السبكي لحكم ما يدور فى الضمير ، حيث قسم ما يدور فى نفوس الخلق إلى خمسة أحوال وهى : الهاجس والخاطر وحديث النفس والهوى والعزم . فالأولان لا يكتبان فى الخير ولا فى الشر ، والثالث والرابع يكتبان للعبد فى الحسنات ولا يكتبان فى السيئات ، والخامس يكتب للعبد فى الخير وعليه فى الشر .

وقد ذهب قوم من أهل التأويل منهم الضحاك وأبو زيد إلى أن هذه الآية تدل على أن الإنسان يعاقب على ما ينويه من المعاصى بمكة وإن لم يعملها ، وذلك أن الإلحاد والظلم يجمع جميع المعاصى من الكفر إلى الصغائر ، فلعظم حرمة المكان توعده الله عز وجل على نية السيئة ، ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب عليها إلا فى مكة . وعليه فهذا التخصيص لشدة التغليظ فى المخالفة فى الحرم المكى ، ووجه هذا ظاهر . ويحتمل أن يكون معنى الإرادة فى قوله ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد ﴾ العزم المصمم على ارتكاب الذنب فيه ، والعزم المصمم على الذنب يعاقب عليه فى جميع بقاع الله ، مكة وغيرها انظر قوله تعالى : ﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ... ﴾ الآية دليل على أن العزم مما يؤخذ به الإنسان لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم .

والدليل على أن إرادة الذنب إذا كانت عزمًا مصممًا عليه أنها كارتكابه حديث أبي بكره الثابت في الصحيح : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ، قالوا : يا رسول الله ، قد عرفنا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصًا على قتل صاحبه » . فقولهم : ما بال المقتول سؤال عن تشخيص عين الذنب الذي دخل بسببه النار مع أنه لم يفعل القتل ، فبين النبي ﷺ بقوله : « إنه كان حريصًا على قتل صاحبه » أن ذنبه الذي أدخله النار ، هو عزمه المصمم وحرصه على قتل صاحبه المسلم .

ومثال المعاقبة على العزم المصمم على ارتكاب المحذور فيه ، ما وقع بأصحاب الفيل من الهلاك المستأصل ، بسبب طير الأبايل ﴿ ترميهم بحجارة من سجيل ﴾ لعزمهم على ارتكاب المناكر في الحرم ، فأهلكهم الله بذلك العزم قبل أن يفعلوا ما عزموا عليه ، والعلم عند الله تعالى .

والظاهر أن الضمير في قوله ﴿ فيه ﴾ راجع إلى المسجد الحرام ، ولكنه حكم الحرم كله تغليظ الذنب المذكور كذلك^(١) .

فإن الله في حرم الله يامسلمي اليوم ! كيف استبحتم دماء المسلمين ، وألحدتم في حرم الله ؟ !

أين أنتم من حساسية ابن عمر رضي الله عنهما وخوفه الشديد من هذه الآية .

قال ابن عمر : كنا نتحدث أن الإلحاد فيه أن يقول الإنسان : لا والله : وبلى والله ، وكلّا والله ولذلك كان له فسطاطان ، أحدهما في الحل والآخر في الحرم ، فكان إذا أراد الصلاة دخل فسطاط الحرم ، وإذا أراد بعض شأنه دخل فسطاط الحل ، صيانة للحرم عن قولهم كلّا والله وبلى والله ، وحين عظم الله الذنب فيه .

وكذلك كان لعبد الله بن عمرو بن العاص فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم ، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل ، وإذا أراد أن يصلي صلى في

(١) أضواء البيان ، ٦٠/٥ .

الحرم ، فقليل له في ذلك فقال : إن كنا لتتحدث أن من الإلحاد في الحرم أن نقول كلاً والله وبلى والله ، والمعاصي تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات ، فتكون المعصية معصيتين ، إحداهما بنفس المخالفة والثانية بإسقاط حرمة البلد الحرام . وهكذا الأشهر الحرم سواء .

وقد روى أبو داود عن يعلى بن أمية أن رسول الله ﷺ قال : « احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه » وهو قول عمر بن الخطاب والعموم يأتي في هذا كله . ولذا ذهب قوم من أهل التأويل منهم الضحاک وابن زيد إلى أن هذه الآية تدل على أن الإنسان يعاقب على ما ينويه من المعاصي بمكة وإن لم يعملها^(١) .

فجمله ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴾ تعنى الاستحلال للحرام والركوب للآثام كما قال ابن عباس والضحاک ومجاهد وابن زيد . وقيل : كل شيء نهى عنه حتى شتم الخادم لأن الذنوب هناك أعظم ، وقيل هو دخول مكة بغير إحرام عن عطاء وقد فسر الإلحاد هنا بالظلم في عمومته وهو شامل لكل جور أو حدث مستغرب على جو العبادة والحرم . ولذا حرم العلماء صيد الحرم على الحلال والمحرم بالإجماع ، لقوله ﷺ « لا ينفر صيدها » ونبه بالتنفير على الإلتلاف لأنه إذا حرم التنفير فالإلتلاف بالأولى وهو مضمون .

ويحرم قطع شجره وحشيشه « ولا يعضد شجرها » على الحلال والمحرم لقول النبي ﷺ « إلا ما استثنى كالأذخر ونحوه . ولاضمان في قطع شجر الحرمين عند مالك : ولم يبلغني في ذلك شيء . وأما الشافعي فجعل في الشجرة الكبيرة بقرة وفيما دونها شاة ، وأوجب أبو حنيفة القيمة ، وهذا فيما ينبت بنفسه لا فيما ينبت به الناس من البقول والزرروع .

ولذا فقد منع الله تعالى دخول الكفار مكة فقال عز من قائل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ وروى الشافعي رحمه الله في مسنده أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لا يجتمع مسلم

(١) القرطبي ، ٣٥/١٢ . عدن مدينة مشهورة وتضاف إلى (أبين) وهي بخلاف عدن .

ومشرك في الحرم » . وكما لا يحق للمشركون دخول مكة المكرمة فلا يحق لهم عمارة المسجد الحرام بأى نوع من أنواع العمارة الحسية أو المعنوية لقوله تعالى : ﴿ ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ﴾ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴿ الآية .

والمعنى : ما كان ينبغي ولا يصح للمشركين أبدا أن يعمرُوا مسجد الله الأعظم ، وبيته المحرم بالإقامة فيه للعبادة أو للخدمة أو للولاية عليه ، ولا أن يزوروه حجاجا أو معتمرين^(١) .

والقاعدة الشرعية الثابتة : أن عمارة المساجد إنما تحصل من المؤمنين بالله ، المطيعين له ، المصدقين باليوم الآخر ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، كما يخشون الله ، وهم أهل لأن يكونوا من المهتدين الفائزين بسعادة الدارين ، المستحقين لرضوان الله .

قال أبو حيان : أمر المؤمنين بعمارة المساجد ، يتناول عمارتها ، ورم ما تهدم منها ، وتنظيفها ، وتعظيمها ، واعتيادها للعبادة والذكر وصونها عما لم تبين له من الخوض في أحوال الدنيا .

وقال أبو بكر الجصاص : وعمارة المسجد تكون بمعنيين : أحدهما : زيارته والمكث فيه ، والآخر : بناؤه وتجديد ما استرم منه .

فاقتضت الآية منع الكفار من دخول المساجد ، ومن فنائها وتولى مصالحها ، والقيام بها لانتظام اللفظ للأمرين^(٢) .

وقد صدق الجصاص فيما ذهب إليه من منع الكفار من العمارة الحسية والمعنوية . فالعمارة المعنوية هي الغرض الأسمى من بناء المساجد . ولا مانع من أن يكون المراد العمارتين الحسية والمعنوية وهو اختيار الجمهور ، لأن اللفظ يدل

(١) راجع كتابنا : العلاقات الدولية في الإسلام .

(٢) أحكام القرآن ، ٨٧/٢ للجصاص .

عليه ، والمقام يقتضيه^(١) .

فالآيات الكريمة هي آخر ما نزل من القرآن في تحديد العلاقة مع المشركين فبينت أن ليس للمشركين أدنى حق في عمارة بيوت الله ، فهي حق خالص للمؤمنين بالله ، القائمين بفرائضه . فهو أمر مستنكر منذ الابتداء ، ليس له مبرر لأنه مخالف لطبائع الأشياء ، لأن بيوت الله خالصة لله ، لا يذكر فيها إلا اسمه ولا يدعى معه فيها أحد غيره ، فكيف يعمرها من لا يعمر التوحيد قلوبهم ، ومن يدعون مع الله شركاء ، ومن يشهدون على أنفسهم بالكفر شهادة الواقع الذي لا يملكون إنكاره ، ولا يسعهم إلا إقراره .

هذه هي القاعدة في استحقاق عمارة بيوت الله . فكيف بمن ينادون بتدويل أعظم بيوت الله وجعله بأيدي أعداء الله ممن لا يعظمون شعائر الله ، ومن يشهدون على أنفسهم بالكفر ، ومن يتوجهون بعبادتهم لطواغيتهم ، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم ؟ فهؤلاء أنجاس أرجاس يجب ألا يسمح لهم بالاقتراب من المسجد الحرام لقوله : ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ الآية . وتلك غاية في تحريم وجودهم بالمسجد الحرام ، حتى لينصب النهي على مجرد القرب منه .

فالله تعالى أمر سيدنا إبراهيم عليه السلام منذ أن بوأ له مكان البيت أن يطهره من الشرك وأعمال المشركين ومن البدع وجميع الأنجاس والدماء^(٢) ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ .

فهل يسمح لمن يشرك بالله دخول بيت الله والمسجد الحرام وهو يرفع شعارا غير شعار الله شاهدا على نفسه بالشرك وهو يفعل ما فعله مشركو العرب الذين كانوا يلبون تلبيتهم الشركية (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا تملكه وما

(١) تفسير آيات الأحكام ، ٥٧٣/١ . محمد علي الصابوني.

(٢) تفسير القرطبي ، ٣٧/١٢ .

ملك) ؟ وها هم شيعة اليوم يقولون (لبيك يا خميني) بدل (لبيك اللهم لبيك) !
وكما بين الله تعالى حرمة مكة وما اختصاصها تعالى به من خصائص فهي أقدس
بقاع الأرض قاطبة . كذلك بين حرمة الأشهر الحرم بقوله : ﴿ إن عدة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم
ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ .

وقد روى البخارى ومسلم وغيرهما أن الرسول عليه السلام قال في حجة
الوداع : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ،
السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو
الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » .

وقد بين الله سبحانه للمسلمين أن المشركين إن انتهكوا حرمة البيت ، وقتلوا
عند المسجد الحرام ، واعتدوا على المسلمين فيه ، فإنه لا يصح أن يحول بينهم
وبين رد الاعتداء حرمة ذلك البيت الكريم ، لأن الله سبحانه وتعالى جعله حرما
آمنا ، فمن اعتدى من المشركين بالقتال فيه فقد ازدوج اعتدائه ، ابتداءً
بالاعتداء ، واعتدى على أهل الحق ، واعتدى على حرمة البيت ، وكان من
الواجب أن يرد كل هذا الاعتداء ، ليشفى الله قلوب قوم مؤمنين ، ولأن إلقاء
السلم لمن حمل السيف تمكين للباطل من الحق يجعل المبطل يستمرى الظلم ،
فيكرر الاعتداء على البيت الحرام ، إذ يراه أنهز للفرصة ، وأنكى للمسلمين ، إذ
يقتلون ولا يقاتلون .

ومثل حرمة القتال فى البيت الحرام القتال فى الشهر الحرام ، فإن الله سبحانه
قد حرم القتال فيه ، ولكن إن اعتدى المشركون فقاتلوا فيه لا يلقي إليهم المسلمون
السلم لينالوا منهم . وهذا ما صرح به الحق سبحانه بقوله : ﴿ الشهر الحرام
بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ الآية . البقرة / ١٩٥ .

فالباء للمقابلة ، أى الشهر الحرام من جانبكم مقابل للشهر الحرام من جانبهم
فإن تقيدوا بالحرمة فيه ولم يثيروا حربا ولم يعتدوا ، التزمتم حرمة ولم تقاتلوهم فيه ،

ولو كان قتالهم في ذاته عدلا ، بعد أن فتنوا الناس عن دينهم ، وإن انتهكوا حرمة الشهر الحرام ، ونابدوكم فيه وقاتلوكم فلا تكفوا عن قتالهم ، ولا تقبضوا أيديكم عنهم احتراما له ، بل ابسطوا عليهم أيديكم ، وخذوهم إلى الحق من نواصيهم ، لأنه إذا كان الشهر الحرام واجب الصيانة فنفس المؤمنين ألزم صيانة وأحق بها ، وإذا تعارضت الحقوق والواجبات قدم ألزمها ، وأحفظها لدين الله وإعلاء كلمته ، ولا شك أن ترك المشركين يكلبون المؤمنين ويشتدون عليهم ، أشد ضررا من القتال في الشهر الحرام الذي انتهكوا حرمة ، وقد أخرجوا من قلوبهم كل حريجة دينية وخلقية وإنسانية ﴿ لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ﴾ .

والسؤال : لماذا حرم الله سبحانه وتعالى القتال في الشهر الحرام ؟

الجواب : لتأمين السبل في الحج ، ذهابا وجيئة ، ولذلك كان أكثرها أشهر الحج ، كما قال تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ فمنع القتال فيها تأمينا للسبل ، ولأمن بيت الله الحرام . وعلى هذا يكون تحريم القتال في الشهر الحرام لتحقيق الأمن الكامل للبلد الحرام ولحرم الله الآمن إلى يوم القيامة كما قال سبحانه : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ .

ثم تأمل قوله تعالى في التعقيب على هذه الأحكام ﴿ والحرمات قصاص ﴾ وهذه الجملة وضعت قانونا شاملا يعم ولا يخص ، وينظم العلاقات الدولية ، كما ينظم التعامل في المجتمع الإنساني ، فمن اعتدى على غيره في ماله ، أو نفسه ، أو بعضه ، أباح الحاكم من نفسه وماله ما أباحه لنفسه من نفس غيره وماله . والمعتدى على المسلمين يعامل بقدر اعتدائه ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ وبطريقة اعتدائه ، وفي زمان اعتدائه ، ومكان اعتدائه ، فإن انتهك حرمة الزمان فليس له أن يستمسك بحرمته ، ومن انتهك حرمة المكان قتل فيه ، ومن اعتدى بنوع من الاعتداء عوقب بمثله إلا أن يكون أمرا لا يحله الشرع ، ولا تحله الطبائع السليمة .

إن قضية ﴿ والحرمات قصاص ﴾ هي المعاملة العادلة التي تنظم الاجتماع الإنساني في دوله وآحاده ، وليس من الفضيلة في شيء أن تغل يد الفضائل عن

حرمت خصمها في الوقت الذي استباح المبطل كل الحرمات ، وإن ذلك ليس من نص الفضيلة ، ونخضد شوكة الحق ليأكله الباطل ، وإن التسامح في هذه الحالة هو شر ذرائع الرذائل ، والقوة والقصاص في هذه الحال هو حماية الفضيلة وفل شوكة الرذيلة .

وهكذا فضائل الإسلام دائما فضائل لها شوكة وقوة ولا تعد التسامح الذي يمكن للباطل من أن يتغلب على الحق إلا الاستسلام والذلة .

المسجد النبوي

وإذا انتهينا من الحديث عن بيت الله ، والمسجد الحرام ، والبيت المقدس ، والحرم الآمن ، ننتقل إلى الحديث عن المسجد النبوي الذي أضافه الله عليه قدسية ، إذ جعله ثانی المساجد المقدسة ، في طيبة الطيبة ، المدينة المنورة ، ذلك المكان الذي كان يشرح فيه النبي ﷺ رسالته ، ويبين شريعته ، ويجيب السائل ويهدي الضال ، هناك الروضة الشريفة ، المكان الذي كان يسوس فيه النبي ﷺ المسلمين بأحكام سياسة ، ويعاملهم بالحكمة ، ويتلو عليهم كتاب الله ، ويدبر أمر الجيوش التي أعلنت كلمة الله ، وهزمت الشرك والطغيان ، وأزالت دولة الأوثان ، إنها ذكريات الرسالة المحمدية ، ذكريات النبوة الأولى ، ومنازل الوحي ، ومدارك العرفان .

ولقد وردت الكثير من الأخبار في فضل المدينة المقدسة :

من ذلك ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب ، وهي المدينة ، تنفى الناس كما ينفي الكير خبث الحديد » رواه البخاري ومسلم .

وقال ﷺ « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » رواه الشيخان .

وقال ﷺ : « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ، ولا يثبت على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة ، ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص ، أو ذوب الملح في الماء » أخرجه مسلم في صحيحه . وروى مثله البخاري في صحيحه والترمذي في جامعه .

وفي الصحيحين قال : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » .

وكان ﷺ دائم الدعاء للمدينة وأهلها من ذلك قوله كما جاء في الصحيحين :
« اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة » . وجاء فيهما أيضا :
« اللهم بارك لهم فى مكيأهم ، وبارك لهم فى صاعهم ، وبارك لهم فى مدهم » .
وفى رواية مسلم : « اللهم بارك لنا فى مدينتنا ، اللهم بارك لنا فى صاعنا ،
اللهم بارك لنا فى مدنا اللهم بارك لنا فى مدينتنا ، اللهم اجمع مع البركة
بركتين » . وله أيضا : « إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك ، وإنى عبدك ونبيك ،
وإنه دعاك لمكة وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه » .

وعن سعد أن رسول الله ﷺ لما رجع من تبوك تلقاه رجال من المتخلفين
المؤمنين فثار غبار فخر من كان مع رسول الله ﷺ أنفه ، فأزال رسول الله
ﷺ اللثام عن وجهه وقال : « والذى نفسى بيده إن غبارها شفاء من كل
داء » .

وقال : « هذه طابة ، وهذا أحد ، وهو جبل يحبنا ونحبه » . أخرجه
الشيخان .

وعن أبى سعيد الخدرى يرفعه (يأتى الدجال - وهو محرم عليه أن يدخل
نقاب المدينة - ينزل بعض السباخ ، فيخرج إليه يومئذ من هو خير الناس أو -
من خير الناس - فيقول : أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله ﷺ
حديثه ، فيقول الدجال : أرايتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون فى الأمر ؟
فيقولون : لا ، فيقتله ثم يحييه ، فيقول حين يحييه (والله ما كنت قط أشد بصيرة
منى اليوم ، فيقول الدجال : (أقتله فلا يسلط عليه) . أخرجه البخارى فى
صحيحه .

وقال ﷺ : « من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإنه من
مات بها كنت له شهيدا - أو شفيعا - يوم القيامة » . وفى رواية « من مات
بواحد من الحرمين بعث فى الآمين يوم القيامة » يعنى مات على التوحيد .

ما ورد في فضل المسجد الشريف والروضة المقدسة والمنبر العظيم

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، والمسجد الأقصى » أخرجه الشيخان والترمذى .

وقال : « الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة في مسجدي بألف صلاة ، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة » رواه أحمد .

وعن عبد الله بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين بيتي لينبري روضة من رياض الجنة » رواه الشيخان ومالك والنسائي ورواه الترمذى .

وعن أم سلمة أن النبي ﷺ قال : « إن قوائم منبري هذا رواتب في الجنة » أخرجه النسائي .

وعن أبي سعيد الخدري قال : دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه فقلت : يا رسول الله المسجد الذى أسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض ثم قال : « هو في مسجدم هذا ، المسجد المدينة » أخرجه مسلم .

وعن أبي سلمة يرفعه : « من دخل مسجدي هذا للصلاة أو لذكر الله عز وجل أو ليتعلم خيرا أو يعلمه ، كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله ، ولم يجعل ذلك لمسجد غيره » .

وثواب الأعمال في المدينة كما في مكة يتضاعف أضعافا كثيرة .

روى البيهقي عن جابر مرفوعا : « الصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، والجمعة في مسجدي هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام » وشهر رمضان في مسجدي هذا أفضل من

ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام » .

وعن أبي هريرة وغيره ولأحمد برجال الصحيح عن سهل بن سعد (منبري على ترعة من ترع الجنة) . وفسر الترعة بالباب ، وقيل الترعة الروضة على المكان المرتفع ، وقيل الدرجة .

فضل المدينة :

نقل العياض وقبالة أبو الوليد الناجي وغيرهما الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة حتى على الكعبة كما قاله ابن عساكر في تحفته .

وقال النووي : إن الجمهور على تفضيل السماء على الأرض أى ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة . وأجمعوا بعد ذلك على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد .

بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي أن المدينة أفضل من العرش وصرح التاج الفاكهي بتفضيلها على السموات ، قال : بل الظاهر المتعين تفضيل جميع الأرض على السماء لحلوله بها^(١) .

وروى الحاكم في مستدركه على الصحيحين حديث « اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إلى فأسكنني في أحب البقاع إليك » أى في موضع تصيره كذلك فجمع فيه الحبان والحب من الله تعالى إنالة الخير والتعظيم للمحبوب فيتجدد . وفي الصحيحين : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » أى تنقبض وتنضم وتلجأ .

خصائص المدينة :

خصائص المدينة كثيرة تزيد على المائة إلا أن مكة شاركتها في بعض ذلك فقد حرم الله تعالى قطع الرطب من شجرها وحشيشها وصيدها واصطياده وتنفيذه

(١) ونحن ندورنا بقدس المدينة المنورة ، ولكن لسا مع هذه المبالغات وهذا العلو ، ولا داعي أصلاً للتعلق بمثل هذه الأخبار ، ويكفي ما صح في ذلك عن رسول الله ﷺ .

وحمل السلاح والقتال بها وأمر لقطتها ونقل التراب منها أو إليها ونبش الكافر إذا دفن بها .

وامتازت بتحريمها على لسان أشرف الأنبياء بدعوته ﷺ وكون التعرض لصيدها وشجرها يسلب كقتيل الكفار ، وهو أبلغ في الزجر مما جاء في مكة وعلى القول بعدمه هو أدل على عظم حرمتها حيث لم يشرع له جابر وبجواز نقل ترابها للتداوى واشتمالها على أفضل البقاع ودفن أفضل الخلق بها وأفضل هذه الأمة وكذا أكثر الصحابة والسلف الذين هم خير القرون ، وخلقهم من تربتها ، وبعث أشرف الأمة يوم القيامة منها . وفيها أفضل الشهداء والذين بذلوا أنفسهم في ذات الله بين يدي نبيه ﷺ فكان شهيدا عليهم . واختيار الله تعالى لها قرارا لأفضل خلقه وأحبهم إليه . واختيار أهلها للنصرة والإيواء ، وافتتاحها بالقرآن وسائر البلاد بالسيف والسنان ، والحث على الموت بها ، وحرصه ﷺ أن يموت بالمدينة ، وشفاعته أو شهادته لمن صبر على لأوائها وشدتها . وتسميته لها بطيبة ، وطيب ريحها ، وطيب العيش بها ، وكثرة أسمائها وكتابتها في التوراة مؤمنة ، وتسميتها فيها بالمحبة والمرحومة . وإضافتها إلى الله تعالى في قوله : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجَرُوا فِيهَا ﴾ وإلى الرسول عليه السلام بلفظ البيت ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ وأنها تنفى الخبث والذنوب ، وأن من أراد أهلها بسوء أذابه الله ، فرتب الوعيد فيه على الإرادة كما قال تعالى في حرم مكة ﴿ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْإِثْمِ بَظْلَمٍ ﴾ والوعيد الشديد لمن أحدث بها حدثا أو آوى محدثا ، والحدث الإثم فيشمل الصغيرة والكبيرة فهي بها كبيرة أى يعظم جزاؤها لدالاتها على جراءة مرتكبها بحرم سيد المرسلين وحضرته الشريفة^(١) .. إلخ .

ووردت أحاديث كثيرة في حراسة الملائكة للمدينة .. قال ﷺ : « لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان » .

(١) خلاصة الوفا بأحبار دار المصطفى ٦١ وما بعدها الشيخ السمهودي المدني .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » .

وعن أنس رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس على نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم يرجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق » .

حرمة المدينة المنورة

اتفق الأئمة الثلاثة وغيرهم على تحريم قطع شجرها وصيدها خلافاً لأبي حنيفة ، وما سبق من الأحاديث الصحيحة الصريحة حجة عليه .

ولمسلم : أن سعدا ركب إلى قصره بالعتيق فوجد عبداً يقطع شجراً أو يخبطه فسلبه ثيابه . فلما رجع سعد جاءه أهل العبد فكلموه أن يرد عليهم غلامهم أو عليهم ما أخذ من غلامهم ، فقال : معاذ الله أن أرد شيئاً نفلني رسول الله ﷺ .

وفي رواية قال سعد : سمعت رسول الله ﷺ ينهى أن يقطع من شجر المدينة شيء ، وقال : « من قطع منه شيئاً فلن أخذه سلبه » .

وفي رواية « من وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه واسلبوه » .

وقال النووي : (إن سعداً أخذ رجلاً يصيد في حرم المدينة الذي حرم رسول الله ﷺ فسلبه ثيابه ..) .

وللطبراني رجال الصحيح عن زيد بن ثابت عن شرحبيل بن سعيد قال : أخذت نهساً (يعنى طائراً) بالأسواق (موضع بالمدينة مجمع البحار) فأخذه منى زيد بن ثابت فأرسله وقال أما علمت أن رسول الله ﷺ حرم ما بين لابتها .

ولا يجوز تنفير صيد المدينة ولا تلتقط لقطتها ، ولا يحمل فيها سلاح لقتال وأن المقاتلة الجائزة بغيرها تحرم فيها كقتال البغاة بل يضيق عليهم إلى أن يخرجوا أو يفيئوا .

ولا يصح نقل أحجار الحرم وترابه وما اتخذ منه فيما لم تدع الحاجة إليه فإن دعت الحاجة إلى نقل تراب الحل إلى الحرم أو عكسه كمن احتاج السفر بآنية من تراب الحرم .

وقال الزركشى : ينبغي أن يستثنى من منع نقل تراب الحرم تربة حمزة رضى الله عنه أى المأخوذة من المسيل الذى به مصرعه لإطباق السلف والخلف على نقلها للتداوى من الصداق .

ومن خصائص المدينة : تغليظ الدية على القاتل خطأ بحرم المدينة كمكة ومن مات من الكفار بهما يخرج ويدفن خارجهما .

وجاء فى تحريمها فى الصحيحين حديث : « إن إبراهيم عليه السلام حرم مكة ودعا لها » ، وفى رواية « ودعا لأهلها وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة » .

وللبخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : « حرم ما بين لابتى المدينة على لسانى » . قال : وأتى النبى ﷺ بنى حارثة فقال : « أراكم يا بنى حارثة قد خرجتم من الحرم » ثم التفت فقال : « بل أنتم فيه » (كانوا فى الحرة الشرقية يمين المتوجه فى الطريق الشرقية لمشهد حمزة) .

وجاء فى صحيح مسلم : « اللهم إنى أحرم ما بين جبلها مثل ما حرم إبراهيم مكة » .

وفى رواية : « اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً وإنى حرمت المدينة حراماً ما بين مأزميها^(١) أن لا يراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا تحبط فيها شجرة إلا لعلف » .

ولأبى داود مثل مسلم وزاد : أن رسول الله قال : « لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلا من أشاد^(٢) بها ولا يصلح الرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال ولا أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره » .

وللبخارى عن أبى هريرة : لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها ، ومقتضى رواية أحمد فى حديث الصحيفة وهو صحيح أن إبراهيم حرم مكة وإنى أحرم ما

(١) جبلها وما عير وثور (عير جبل يقابل الثنية ، وثور جبل عند أحد) .

(٢) أنشد .

بين حرتيها^(١) وحماها كله لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها ولا يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بغيره ولا يحمل فيها السلاح لقتال .
ومقتضى هذه الرواية : أنه عليه الصلاة والسلام حرم ما بين حرقى المدينة وحرم حماها كله .

والمفهوم من تحريم الرسول ﷺ لحرم المدينة التعظيم والتشريف لهذا المكان الطاهر المقدس ، وتخصيص ذلك المقدار إما لأمر ربانى وسر روحانى بثه الله تعالى فيه لتلك الحدود . وأهل الشهود يرون الأنوار منبثة بالحرم إلى حدوده .

وقيل : لما قدم النبى ﷺ المدينة أضاء منها كل شىء كما رواه أنس كانت الإضاءة إلى تلك الحدود ، أو أن الملائكة الموكلة بحراسة بلده قائمة بتلك الحدود ، أو هو لأمر تقصر عنه عقولنا .

وحكم البارى سبحانه وتعالى بتحريم المدينة على لسان حبيبه محمد ﷺ قديم من حيث إن الأحكام خطاباته تعالى والحادث تعلقها والتكليف بها .

ولذا ذهب الأكثر إلى أن مكة لم تزل حراماً منذ خلق الله السموات والأرض ثم أظهر الله تعالى ذلك على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام فنسب تحريمها إليه .
وقيل ، لم تزل كغيرها إلى أن حرمها إبراهيم عليه السلام بدعوته أو بأمر من الله تعالى .

ولعل الأول يقول : إن الله أظهر تحريمها لملائكته يوم خلق السموات والأرض وإلا فما معناه مع انتفاء التعلق التكليفى حينئذ وتأخر التكليف بتحريم المدينة حتى كان على لسان أشرف المرسلين وبدعوته خصيصة لها وكال^(٢) .

(١) حرتيها أو لابتها : أى الشرقية والغربية والمدينة بينهما هو حد للحرم من الشرق والغرب ، وما بين جبلها بيان لحد من الجنوب والشمال .

(٢) خلاصة الوفا بأخبار المصطفى ٥٤ الشيخ السمهردى المدنى .

وعيد من أراد بأهلها سوءًا

ورد العديد من الأحاديث عن النبي ﷺ أنه قال : « أجد نعتي في الكتاب نبيا ، أحمد المختار ، مولده مكة ، ومهاجره طيبة ، وأمته الحمادون » .
وعن جابر بن عبد الله قال : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أخاف أهل المدينة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .
وفي رواية لغيره : « من أخاف أهل المدينة أخافه الله يوم القيامة وغضب عليه ولم يقبل منه صرفا ولا عدلا » .

وروى النسائي حديثه : « من أخاف أهل المدينة ظلما لهم أخافه الله وكانت عليه لعنة الله » . ولابن حبان نحوه .

وروى أحمد برجال الصحيح عن جابر بن عبد الله أن أميرا من أمراء الفتنة قدم المدينة وكان قد ذهب بصر جابر ، فقيل لجابر : لو تنحيت عنه فخرج يمشي بينه وبين ابنه فنكب ، فقال : تعس من أخاف رسول الله ﷺ ؟ فقال ابنه - أو أحدهما - : يا أبت : وكيف أخاف رسول الله ﷺ وقدمات ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي » .

وفي رواية لمسلم : « من أراد أهل هذه البلدة بسوء - يعنى المدينة - أذابه الله كما يذوب الملح في الماء » .

وفي رواية : « من أراد أهل هذه البلدة بدهم أو بسوء ، اللهم اكفهم من يدهمهم » .

وعن عمر بن عبيد الله عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « المدينة مهاجرى وبها وفاتى ، ومنها محشرى ، وحقيق على أمتى أن يحفظونى فى جيرانى ما اجتنبوا الكبيرة ، من حفظ فيهم حرمتى كنت له شفيعا - أو شهيدا - يوم القيامة » .
وقال رسول الله ﷺ : « من أخاف أهل المدينة أو ظلمهم أخافه الله » .

يوم الفزع الأكبر ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا .

وعن عطاء بن يسار أن النبي ﷺ قال : « إن الله جعل المدينة مهاجري ، وفيها مضجعي ، ومنها مبعثي ، فحق على أمتي حفظ جبراني ما اجتنبوا الكبائر » . وفي رواية « من حفظهم كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة ، ومن لم يحفظهم سقى من طينة الخبال »^(١) .

وروى الطبراني برجال الصحيح مرفوعا : « اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » أي فرضا وتطوعا أو توبة أو اكتسابا أو وزنا .
أقول : ولا عدلا أي فرضا أو تطوعا أو فدية أو كيلا .

وعن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله سمي (المدينة) طابة » . رواه مسلم وفي حديث جابر مرفوعا : « لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار » . وهو في الصحيح بالفاظ .

وعن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماح كما ينماح الملح في الماء » متفق عليه . وزاد البزار بإسناد حسن : « اللهم أكفهم من دهمهم ببأس يعنى - (المدينة) - ولا يريدوا أحد بسوء إلا أذابه الله كما يذوب الملح في الماء » .

(١) عصارة أهل النار ورواه البخاري والطبراني بسند فيه متروك .

وقد ذكر الزركشى من خصائص المدينة

أن رسول الله ﷺ حرم ما بين لابتى المدينة .
قال أبو هريرة - روى الحديث - (فلو وجدت الظباء ترتع بين لابتيها ما ذعرتها) . وجعل اثني عشر ميلا حول المدينة حمى . رواه مسلم . وفى لفظ للبخارى عنه مرفوعا .. حرم ما بين لابتى . واللابتان من الحجر ، وهما الحرتان . وفى الصحيحين من حديث أنس عن النبي ﷺ قال : المدينة حرم من كذا إلى كذا ، لا يقطع شجرها .. الحديث .

إن مسجدها أنشئ على يد سيد المرسلين والمهاجرين الأولين والأنصار المتقدمين خيار هذه الأمة ، وفى ذلك مزيد الشرف على غيره مالا يخفى واشتمالها على بقعة هى أفضل بقاع الأرض بالإجماع ، وهو الموضع الذى ضم أعضاء النبي ﷺ . حكى الإجماع القاضى عياض وغيره .

تحريم صيدها وشجرها على الحلال والمحرم كمكة خلافا لأبى حنيفة ، لقوله ﷺ : « إن إبراهيم حرم مكة ، وإني حرمت المدينة » . « ما بين لابتيها لا يقطع عضاها ، ولا يصاد صيدها » . رواه مسلم .
وقوله : لا يقطع عضاها أى شجرها .

وروى أبو عوانة فى صحيحه عن شرحبيل بن سعد قال : أتانا زيد بن ثابت ونحن غلمان ننصب فخاخا للطير فطردنا وقال : إن النبي ﷺ نهى عن صيد المدينة . وأما حديث : يا أبا عمير ما فعل النغير ؟

يحرم نقل تراب حرم المدينة أو أحجاره إلى الخارج عن حرم المدينة .
إن الصلاة فى مسجد النبي ﷺ تربو على الصلاة فى غيره بألف صلاة .
ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » . قال النووى : وهذا التفضيل يعم

الفرض والنفل كمكة .

يستحب المجاورة بالمدينة كما يحصل في ذلك من نيل الدرجات ومزيد الكرامات .. وفيه خلاف مثل الخلاف في المجاورة بمكة . ذكره النووي في شرح مسلم .

يستحب الانقطاع بها ليحصل له الموت بها ، وقد كان المهاجرون إلى المدينة يكرهون أن يموتوا بغيرها ويسألون الله عز وجل أن يتوفاهم بها .

وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول : (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك) . وبوب عليه النووي في الأذكار : باب استحباب دعاء الإنسان أن يكون موته في البلد الشريف .

اختصاص أهلها بمزيد الشفاعة والإكرام زائدا على غيرهم من الأمم .
وفي الصحيحين عن أبي هريرة وغيره : (من صبر على لأواء المدينة وشدتها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة) .

وجود البركة في صاع أهل المدينة ، ومدهم ، ومكيالهم ، لأن النبي ﷺ دعا لهم بالبركة فيه . قال النووي : والظاهر أن البركة في نفس المكيل بالمدينة بحيث يكفي المد فيها من لا يكفيه في غيرها . وفي الحديث الصحيح : (وإني دعوت في صاعها ومدها ، بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة) .

تخصيصها بالبقعة التي بين القبر والمنبر . ففي الصحيح : (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) . وفي لفظ : ما بين بيتي ومنبري . وفي لفظ للطبراني : ما بين حجرتي ومصلاي .

أن الدجال لا يدخلها كما لا يدخل مكة .. ففي الصحيحين من حديث أنس مرفوعا : (أن الدجال لا يطأ مكة ، ولا المدينة ، وأنه يجيء حتى ينزل في ناحية المدينة فترجف ثلاث رجفات فيخرج إليه كافر ومنافق . وفي رواية البخاري عن أبي بكر عن النبي ﷺ : « لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ، لها يومئذ سبعة أبواب ، على كل باب ملكان » .

أنها كالكير في إزالة الخبث عنها ، ففي الصحيحين من حديث جابر : أن أعرابيا بايع النبي ﷺ على الإسلام فأصابه وعك بالمدينة فقال : يا محمد أفلنى بيعتى فأبى رسول الله ﷺ ، فخرج الأعرابي ، فقال رسول الله ﷺ : إنما المدينة كالكير تنفى خبثها ، وينصع طيبها .

أنه لا يريد أحد أهلها بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص وذوب الملح في الماء . ثبت في الصحيح . قال القرطبي : ظاهره أن الله يعاقبه في النار . ويحتمل أن يكون ذلك كتابة إهلاكه في الدنيا ، أو عن توهين أمره وطمس كلمته .. كما قد فعل الله ذلك بمن غزاها .

يستحب الصيام بالمدينة والصدقة على سكانها وبرهم ، فهم جيران رسول الله ﷺ خاصة أهل المدينة .

وروى عن مالك رضي الله عنه أنه كان لا يركب بالمدينة بغلة . فقليل له في ذلك ، فقال : لا أطأ راكبا مكانا وطأ رسول الله ﷺ ماشيا . وكان لا يرفع صوته في مسجد رسول الله ﷺ ويقول : حرمة الرسول حيا وميتا سواء .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْق صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ .

لا يجتهد في محراب رسول الله ﷺ لأنه صواب قطعاً ، إذ لا يقر على خطأ فلا مجال للاجتهاد فيه حتى لا يجتهد فيه باليمنة واليسرة بخلاف محارب المسلمين ، والمراد بمحاربه ﷺ مكان مصلاه فإنه لم يكن في زمنه عليه السلام محراب .

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « إني حرمت المدينة ما بين مأزميها^(١) ، لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح للقتال ، ولا تحبب فيها شجرة إلا لعلف » .

روى ابن أبي خيثمة في تاريخه الكبير عن مالك : أن المدائن كلها افتتحت

(١) أي جبلها .

بالسيف إلا المدينة افتتحت بالإيمان ، ثم ساق بسنده إلى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : (كل البلاد افتتحت بالسيف والرمح ، وافتتحت المدينة بالقرآن) .

نقل عن مالك : أن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة قدم إجماعهم ، ولهذا روى حديث ابن عمر في إثبات خيار المجلس ثم قال : « وليس لهذا عندنا حد معلوم ، ولا أمر معمول به » . لما اختص به أهل المدينة من سكتهم مهبط الوحي ومعرفتهم الناسخ والمنسوخ . فمخالفتهم لبعض الأخبار تقتضى علمهم ، بما أوجب ترك العمل به من ناسخ أو دليل راجح .

ليعلم المقيم بها عظم محلها ، ويعتقد فيها غاية الإجلال والتعظيم ويحذر من إحداث حادث بها ولو يسيرا كما روى أن عبد الرحمن بن مهدى لما قدم المدينة ، ودخل المسجد وضع شيئا كان عليه بين الصفوف فأمر به مالك فأخذ . فقيل له : إنه فلان . فعاتبه ، وقال : أتفعل مثل هذا ؟ أو ما علمت أن النبي ﷺ قال : « من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

فانظر - رحمك الله - كيف جعل مالك - رحمه الله - هذا الفعل اليسير داخلا في عموم الحديث ؟

حكم الإحداث في الحرمين الشريفين

لقد تم إجماع الفقهاء على تحريم مكة بجرمة البيت العتيق ، وجعلها الله تعالى آمنة بأمنه ، حيث قال ممتنا على أهل مكة : ﴿ أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ .

كما استفاضت الأحاديث بتحريم المدينة ، وما قاله جمهور الفقهاء من تعظيمها وحرمتها . وعلى هذا فإن إحداث أى فعل أو قول أو أمر منكر في الحرمين يعد بدعة غريبة تتنافى مع حرمة وقداسة الحرمين وكرامتهما يستحق المحدث فيهما كل أنواع التهديد والإنذار والوعيد الشديد . فقد قال رسول الله ﷺ : « من أحدث فيها (المدينة) حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » . أخرجه البخارى فى باب حرم المدينة .

وقال ﷺ : « إن الله حرم مكة فلن تحل لأحد قبلى ، ولا تحل لأحد بعدى وإنما أحلت لى ساعة من نهار .. » الحديث . وقال رسول الله ﷺ : « المدينة حرام ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، ذمة المسلمين واحدة يسعى بذمتهم أدناهم فمن أخفر مسلماً في ذمته فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . لا يقبل منه صرف ولا عدل » .

لقد شرع اللطيف الخبير سبحانه حج بيته الحرام ، وجعله ركناً من أركان الإسلام ، كما شرع العمرة مع الحج تلبية لذلك الميل الفطرى فى قلوب المؤمنين المحبين لبيت الله ، إشباعاً لهوى قلوبهم ، وميل نفوسهم ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ . كما استجاب لدعوة سيدنا إبراهيم للبيت وأهله ﴿ واجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ﴾ الآية .

فالتقى شرع الله للحج والعمرة ، مع ميل المؤمن الفطرى ، وهواه القلبى

فاجتمع للحجاج والعمار : أداء ما أمر الله تعالى به ، وإشباع حبههم لبيت الله الحرام وتعظيمهم له .

ولما كان الأمر كذلك فقد عم الله ضيوفه برحمته ، فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف في دنياهم ، كما شملهم برحمته في آخرهم ؛ بمغفرة ذنوبهم وستر عيوبهم كما جاء الوعد على لسان نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) . كما جعل (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما) .

وقال ﷺ : « إذا وقف الحجاج بعرفات ، وضجت الأصوات بالحاجات باهى الله بهم ملائكة سبع سموات ، ويقول : ملائكتى وسكان سماواتى أما ترون لى عبادى أتوني من كل فج عميق شعنا غبرا ، قد أنفقوا الأموال وأتعبوا الأبدان فوعزتي وجلالى وكرمى لأهبن مسيئهم لحسنهم ، ولأخرجهم من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم ، فإذا رموا الحجارة وحلقوا الرؤوس وزاروا البيت نادى مناد من باطن العرش : ارجعوا مغفورا لكم ، واستأنفوا العمل^(١) .

وقد جعل الله تعالى بواسع فضله وكرمه هذا الوادى القفر مجمع ثمرات كل أرض الله وبلاده . ﴿ أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ .

الأمن سمة من سمات الحرمين الشريفين :

ولقد جعل الله تعالى الأمن سمة من سمات الحرمين الشريفين ، وصفة من صفاتهما ، وخاصية من خصائصهما التى اختصاصهما بها وميزهما على بقية البقاع والأماكن . ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ﴾ وقوله : ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ .

فكان الرجل فى الجاهلية والإسلام يلقى قاتل أبيه أو أخيه فلا يعرض له^(٢) .

(١) تنبيه العاقلين ص ١٧٢ للسمرقندى .

(٢) تفسير ابن كثير ١١٧/١ .

وقال الحسن البصرى : كان الرجل يقتل فيضع في عنقه صوفة ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يهيج حتى يخرج .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « من عاذ بالبيت أعاذه البيت ، ولكن يؤوى ولا يطعم ولا يسقى فإذا خرج أخذ بذنبه »^(١) .

ولذا فقد من الله تعالى على عباده بهذه النعمة الكبرى فقال : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ .

مفهوم الأمن ومداه :

الأمن لغة ، ضد الخوف ، فكل ما يتحقق منه الخوف للإنسان فيأمن منه يسمى أمنا . ومن ثم فإن مفهوم الأمن يتسع ليشمل النفس والمال والأهل والولد والعرض وكل ما لا يستغنى عنه الإنسان لإقامة حياته .

فقوله تعالى : ﴿ أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ﴾ فيه إسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة ، وإلى الحرم مجازا^(٢) .

وقد قرن الحق سبحانه أمن الحرم بما يقيم النفس ويحفظها ، من القوت الضرورى الذى لا بد منه إلى التمتع بطيب الثمار ولذيد الطعام . فكل المصالح الملحقة بالنفس لكى تبقىها وتحافظ عليها من المآكل والمشارب والملابس والعلاج تلحق بالأمن وتأخذ حكمه فى التكوين التام لمعنى الأمن .

وكما اتسع مفهوم الأمن فى الحرمين الشريفين ليشمل كل هذه المعانى ، فقد اتسعت حدود الأمن ونطاقه فى الحرمين لتشمل كل ما يحوم بالحرم من مخلوقات الله ، فقد شملت الحماية الأمنية الطير والحيوان والزرع والجماد والمال ، فقد نهى رسول الله ﷺ أن ينفر صيد مكة ، ولا يختل شوكتها ، ولا تحل ساقطتها (أى لقطتها) إلا لمعرفة بها . حتى يطمئن الإنسان ويأمن على كل شيء ، حتى إذا ضاع منه المال أو فقد ، فإنه لا يجوز لأحد أن يلتقطه بنية حيازته وتملكه ، بل للمساعدة فى إعادته إلى صاحبه ، وذلك أخرى بحماية الأموال بجانب حماية الحياة

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٣٠١/١ .

(٢) تفسير النسفى ٢٤١/٣ .

للإنسان وغيره من المخلوقات ومن ثم يتسع مفهوم الأمن اتساعاً عظيماً ، فتتحول مكة كلها إلى واحة أمن وسلام ، فيتفرغ الحجاج والعمار تماماً لآداء مناسكهم في أمن واطمئنان على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم ، ويشاركونهم هذه النعمة كل شيء حتى الطير والشجر والحجر !

وقد مر معنا قوله ﷺ : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال ، فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب » .

وقال ﷺ : « إن الله عز وجل حبس عن مكة الفيل ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ، ولن تحل لأحد بعدى ، ألا وإنها أحلت لي ساعة من النهار ، ألا وإنها سبعتني هذه ، حرام لا يخبط شوكةا ، ولا يعضد شجرها ، ولا يلتقط ساقطتها إلا لمنشد ، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين ، إما أن يعطى (يعنى الدية) وإما أن يقاد (أهل القتيل) » .

وترتيباً على ذلك قرر الفقهاء أن الحرم يختص بعدد من الأحكام التي يباين بها سائر البلاد الإسلامية :

أولاً : أن لا يدخله محل قادم إليه حتى يحرم لدخوله إما بحج أو بعمره يتحلل بها من إحرامه .

ثانياً : أن لا يحارب أهلها لتحريم رسول الله ﷺ قتالهم بقوله : « لا يحل لامرئ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، فإن بغوا على أهل العدل قاتلهم على بغيهم ، إذا لم يمكن ردهم على البغي بقتال ، لأن قتال أهل البغي من حقوق الله تعالى التي لا يجوز أن تضاع ، وكونها محفوظة في حرمة أولى من أن تكون مضاعة فيه » .

ثالثاً : تحريم صيده على الحرميين والمحليين من أهل الحرم من طراً عليه ، فمن أصاب من صيده وجب عليه إرساله ، فإن تلف في يده ضمنه بالجزاء كالحرم ، وهكذا لو رمى من الحرم صيدا في الحل ضمنه ، لأنه قاتل في الحرم ، ولو صيد في الحل ودخل به الحرم فهو حرام عليه ، ويلزمه إرساله في الحرم . ولا يحرم في

الحرم قتل ما كان مؤذيا من السباع وحشرات الأرض^(١) ، لأن وجود تلك السباع وهذه الحشرات يضر بالمعنى المقصود شرعا من الأمن والحماية .

رابعا : يحرم قطع الشجر الذى أنبته الله تعالى فيه ، ولا يحرم قطع ما غرسه الآدميون كما لا يحرم ذبح الأنيس من الحيوان ، ولا يجوز أن يرعى حشيش الحرم ، ويضمن الشجرة الكبيرة ببقرة ، والصغيرة بشاة ، والغصن من كل واحد منها يسقط من ضمان أصلها ، ولا يكون ما استخلف من قطع الأصل مسقطا لضمان الأصل^(٢) .

خامسا : أن يمنع من خالف دين الإسلام من ذمى أو معاهد أن يدخل الحرم لأمقيما ولا مارا به^(٣) .

حرمة الحرم المدني :

وقد ذهب الجمهور على أن للمدينة حرما كحرم مكة يحرم صيده وشجره والقتال فيه ، بل وحمل السلاح لأجل القتال^(٤) . ويشارك الحرم المدني الحرم المكي كل ما سبق من تحريمه وتقديسه ، وقد روى فى ذلك الكثير من الأحاديث ، قال عليه السلام : « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها ، وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وإنى دعوت فى صاعها ومدىها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة » . وقال : « إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة ما بين لا بتيها^(٥) ، لا يقطع عضاها ، ولا يصاد صيدها » .

وهكذا فإن الحرم المدني قد اجتمع له من أسباب الحرمة ما يكفل الأمن حوله لكل لائذ به من زرع أو حيوان أو إنسان . ومما يؤكد على هذا قوله عليه السلام فى

(١) الأحكام السلطانية ، ص ٩٣ لأبى يعلى الفراء الحنبلى ، الطبعة الثانية .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) نيل الأوطار ٣٧/٥ للشوكانى .

(٥) اللاتان : الحرتان . وهى الأرض ذات الحجارة السوداء وللمدينة لاتان إحداها شرقية والأخرى غربية ، وتقع المدينة بينهما .

شأن المدينة المنورة : « لا يختل خلاها ، ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها ، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال ، ولا يصلح أن تقطع بها شجرة إلا أن يعلف رجل بغيره »^(١) .

واجب إمام المسلمين في حفظ الأمن في الحرمين :

أوجب الحق سبحانه وتعالى على ولي الأمر حفظ الأمن وصيانه وعدم المساس بحرمة الحرمين الشريفين ، أو الإخلال بالأمن فيهما ، ذلك أن من أوجب واجباته حفظ الأمن في كل مكان ، وإذا كان الأمر كذلك فإن حفظه في الحرم يعد أشد وجوباً وأكثر مطلوبية ، حيث دل قوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمناً ﴾ على ذلك . فصورة الآية وإن كانت على هيئة الخبر إلا أنها بمعنى الأمر وتقديره : ومن دخله فأمنوه ، وذلك كقوله سبحانه : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال .. ﴾ إلخ . أى فلا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا . ولذا قال النعمان بن ثابت : (أوجب الله سبحانه وتعالى الأمن لمن دخله)^(٢) . وقد دلت الأحاديث النبوية على وجوب إقامة الأمن وحفظه في الحرمين الشريفين . فقد نهى عن أى عمل يتنافى مع حرمة الحرمين والأمن فيهما ، فقال : « لا ينفر صيدها ولا يختل خلاها ، ولا تحل لقطتها إلا لمن أشاد بها ، ولا يقطع شجرها » . وقوله عن المدينة : « هي حرام لا يختل خلاها فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والناس أجمعين » .
واللعنة لا تكون إلا على محرم .
وقوله « لا يحل لرجل أن يحمل فيها سلاحاً لقتال » فقد وصف ذلك بأنه حرام .

ويتضح من كل ما سبق واجب الإمام في دفع الأحداث عن الحرمين وجوباً شرعياً بنص الكتاب والسنة ، ذلك أن أوجب واجبات الإمام حراسة الدين ، وحفظ الأمن ورعاية حقوق الله في رحابهما ، فإذا حدث في رحابهما هرج ، أو شغب ، أو

(١) نيل الأوطار ٣٤/٥ .

(٢) تفسير القرطبي ١٤٠/٤ .

عمل يؤدي إلى الفتن ، كان واجبا على الإمام أن يدفعه ليعيد السكينة والأمن والطمأنينة للحرم .

وفي ذلك قال الإمام الماوردي^(١) : (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا) .

وخلاصة القول : من جملة ما ورد في حرمة مكة وحرمة يذل على أن الله تعالى هو الذي حرمةا .

قال القرطبي : معنى الأحاديث السابقة ، الله تعالى حرم مكة ابتداء من غير سبب ينسب لأحد ، ولا لأحد فيه دخل ، ولأجل هذا أكد النبي ﷺ هذا المعنى بقوله : « إن مكة حرمةا الله ولم يحرمها الناس ، لا يحل لامرئ يؤمن بالله وباليوم الآخر أن يسفك بها دما ، ولا يعضد بها شجرا ، فإن أحد ترخص في قتال فيها فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي ساعة من نهار ، وقد عادت حرمةا كحرمةا بالأمس » . فالله تعالى هو الذي حرمةا كما قال النبي ﷺ : « ولم يحرمها الناس » والمراد بهذه العبارة : أن تحريمها ثابت بالشرع ولا مدخل للعقل فيه . أو المراد : أنها من محرمات الله ، وليست من محرمات الناس يعنى في الجاهلية ، كما حرموا أشياء من عند أنفسهم ، فيجب امثال ذلك ولا يسوغ الاجتهاد في تركه ، وقيل : معناه أن حرمةا مستمرة من أول الخلق وليست ما اختصت به شريعة النبي ﷺ .

ولذا فقد تولى الله تعالى بنفسه تحريم بواعث التعدي على أمن الحرم . فالله تعالى يحاسب على مجرد الهم بالعدوان ، وعلى مجرد النية السيئة ، أو إرادة السوء بالحرم أو بأهله ، وذلك خروجا على القاعدة العامة في الجزاء ، حيث اقتضت رحمة الله بخلقه أن لا يحاسبهم ولا يعاقبهم على مجرد الهم بارتكاب الفعل أو بالشروع فيه ، وذلك لما روى أن النبي ﷺ قال : « إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل » . أخرجه البخاري .

(١) الأحكام السلطانية ، ص ٥ .

حيث دل هذا الحديث الصريح الصحيح على أن الله تعالى لا يؤاخذ الإنسان على مجرد الهم بالفعل فقد تجاوز عن المؤاخذة عليه وعفا عنه ، ولكن ذلك في غير رحاب الحرم وحرمة الأمن ، ففي الحرم يتجاوز العقاب حتى يشمل مجرد الهم ، وأنذر الله عليه بالعقاب الشديد والعذاب الأليم ، حيث يقول الله سبحانه : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

ولم يكتف الشرع بذلك ، بل شرع ما يقطع أسباب الجريمة والتعدي في الحرم ، فحرم الأسباب الموصلة إلى الاعتداء ، وسد الذرائع المفضية إلى الجريمة ، فقال ﷺ : « لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح » .

وهكذا قطع بهذا النهي عن حمل السلاح كل أسباب التعدي على أمن الحرم . وقد تواعد النبي ﷺ - كما مر معنا - كل من أراد المدينة وأهلها بسوء فقال : « من أراد أهل هذه البلدة بسوء (يعنى المدينة) أذابه الله كما يذوب الملح في الماء » وفي رواية « أذابه الله في النار » . فقد رتب رسول الهدى الإنذار الشديد على مجرد الهم بالسوء ، أو النية السيئة ، فقال (من أراد) كما قال رب العزة في شأن مكة ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد ﴾ .

ومن ثم فقد أوجب الإسلام على المسلمين تعظيم الحرمين ، وتقديسهما ، والعناية بهما ، فتعلق المؤمنون بهما ، وأحبوهما وربوا أبناءهم على ذلك فارتبطوا بهما وهفت نفوسهم لهما وهوت قلوبهم إليهما . الأمر الذى يمكن أن يقال معه : إن البيت الحرام كان قد احتل في نفوس المؤمنين بالله موضع الروح من الجسد ، مما حدا بالمؤمنين أن يستقر في أعماق نفوسهم ، وجذور قلوبهم الاستعداد التام لحمايتهما والذود عنهما وبذل المهج والأرواح من أجلهما ، وأن يقفوا من كل عاد ومتربص بهما موقف العداء العلنى الذى لامواربة فيه ، ولا حيلة ، ولا حيدة عنه ، ولا مناص منه .

فحرى بأمة الإسلام أن تعقل كل ذلك ، وأن تتذكر دور الحرمين في تاريخ الأمة الإسلامية وأثرهما في الإيمان وعطاءهما للبشر في مجالات الإسلام والسلام والأمن والإيمان . وإن هذه الأمة ستبقى بخير ما عظمت وقدست هذين الحرمين .

كما قال ﷺ : « لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمه حق تعظيمها فإذا ضيعوا ذلك هلكوا » . رواه ابن ماجه عن ابن عباس بن أبى ربيعة .

وفى الستة الذين لعنهم رسول الله ﷺ ذكر منهم (والمستحل لحرم الله) . وقد روى الأزرقى عن عثمان بن ساه حديثا طويلا جاء فيه أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض استوحش فيها لما رأى من سعتها ولم ير فيها أحدا غيره فقال : يارب أما لأرضك هذه عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيرى ؟

قال : إني سأجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدى ويقدس لى سأجعل بيوتا ترفع لذكرى يسبحنى فيها خلقى وسأبوئك فيها بيتا أختاره لنفسى وأختصه لكرامتى وأوثره على بيوت الأرض كلها باسمى فأسميه بيتى وأنطقه بعظمتى وأجوزه بحرماى وأجعله أحق بيوئى كلها وأولاهها بذكرى وأضعه فى البقعة التى اخترت لنفسى فإنى اخترت مكانه يوم خلقت السموات والأرض وقبل ذلك ، قد كان بغيتى فهو صفوتى من البيوت .. إلى قوله (أجعل ذلك البيت لك ولن بعدك حرما آمنا أحرم بحرماته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمة بحرمتى فقد عظم حرماى ومن أحله فقد أباح حرماى ، ومن أمن أهله فقد استوجب بذلك أمانى^(١) .

لقد جعل الشرع الحكيم مكة المكرمة وما حولها واحة أمان لكل المخلوقات ، لكى يؤدى الحجاج والمعتمرون مناسكهم فى يسر وأمان وراحة واطمئنان . فالنصوص الشرعية جعلت الحج كله موسم أمن وسلام ، يأمن فيه كل ضيف من ضيوف الرحمن على نفسه وماله وعرضه . فهؤلاء الضيوف هم ضيف الله ووفده ، فتكفل المضيف بأمن وسلامة ضيفه . وقد عبر عن هذا المعنى نبي الرحمة عليه السلام بقوله : « الحجاج والعمار وفد الله ، إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم » . رواه النسائى وابن ماجه . وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وجاء فى حديث آخر : « الحاج فى ضمان الله مقبلا ومدبرا » . ولذا فقد تكفل الشارع الحكيم أن يجعل كل شىء فى هذه البقعة الطاهرة

(١) تاريخ الحرمين ، ١٠٧ . عباس كرامة .

المقدسة في أمان عميم وسلام عظيم ، الإنسان والحيوان والطير والشجر والحجر . كل شيء آمن بأمان الله لا يخشى اعتداء ، ولا يخاف أحدا إلا الله رب العالمين ، وكيف يخاف أو يخشى ؟ وهو في حرم الله وفي ضيافة الله ، وفي حماية الله وكفالته وضمانه . كيف يخاف ويخشى ؟ وهو في البلد الحرام وحول البيت الحرام ، وفي الشهر الحرام ، حيث قطع الله كل بواعث الاعتداء أو الانتقام أو الإجماع ؟ أقول : كل شيء يجب أن يكون آمنا مطمئنا ، خاشعا ذاكرا لأنعم الله ، فالصيد في أمان من التنفير والتهيج ، والشجر في أمان من القطع ، والنبات والعشب هو الآخر في أمان من الاعتداء ، والإنسان في أمن واطمئنان ما دام في حرم الله ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ .

فلما فرض الله تعالى الحج إلى بيته العتيق ، وأذن إبراهيم بالحج ، جاء الناس من كل حدب وصوب ، على مر الأزمان ، وكر العصور من مختلف الأقطار والأمصار ، بفضل هذه التعليمات الإلهية والتوجيهات الربانية في تأمين طريق الوافدين إلى البيت والمؤدين لشعائهم من الحجاج والعمار ، فقد أحاط الله تعالى الحج والحجاج بسياج من التقديس والتعظيم ، فأكد على حرمة وقداسة المكان والزمان والإنسان .

أما الحرمة المكانية : فقد جعل دائرتها البيت الحرام والبلد الحرام فحرم فيه كل المخلوقات من إنسان وحيوان وطير وشجر ، وجعل ذلك عقيدة يقينية توقيفية معلومة من الدين بالضرورة بنصوص من الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ .

وقوله : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ . وقوله : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألاّ تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ .

فقدسية المكان عند المؤمن عقيدة يقينية توقيفية نص عليها رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى في أحاديث كثيرة من ذلك قوله : « إن هذا البلد حرمة

الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة » .
فهذه القدسية إرادة إلهية كونية أزلية منذ تكوين السموات والأرض جاء ذلك
على لسان الأنبياء وسائر المرسلين .

قدسية الزمان : وليس المكان وحده هو المقدس ، بل الزمان الذى تؤدى فيه
فريضة الحج هو الآخر مقدس منذ خلق الله السموات الأرض . فقد جعل الرب
سبحانه لمخلوقاته هدنة إلهية يأمن فيها الخائف وينتقل فى جنبات الأرض فى يسر
وأمان ، دون الخشية والخوف من أى إنسان ، فهو فى حماية الله وضمانه . نفهم
ذلك من قوله تعالى : ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله
يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن
أنفسكم ﴾ .

ونعلم ذلك من قول سيد الأولين والآخرين ﷺ حين أعلن للناس جميعا فى
حجة الوداع ذلك بقوله : « يأيتها الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته
يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها
أربعة حرم » .

فهذه الأشهر الحرم مقدسة قداسة أزلية عند الله وعند رسول الله منذ خلق
السموات والأرض . وهذه القدسية ناموس كونى ثابت لا يتغير ولا يتبدل أبدا
﴿ لا تبدل خلق الله ﴾ وهى شرعة دينية ماضية مادامت السموات والأرض ،
وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها : ﴿ لا تبدل لكلمات الله ﴾ .

فقد جعل الله تعالى المكان مقدسا والزمان مقدسا كما جعل الإنسان نفسه
مقدسا ، فقدسية المسلم لا تقل عن قدسية الزمان والمكان ، بل جعل الله تعالى
بين القدسيتين وشيجة سماوية ، وآصرة دينية ، فما قدس الزمان والمكان إلا لأجل
هذا الإنسان الذى كرمه ربه وسخر له كل شئ ، وفضله على الملائكة المقربين
الذين يسبحون بحمده ويقدمون له . فزوال الدنيا بأسرها أهون على الله من قتل
نفس مؤمنة واحدة .

ولذا فقد لفت نبي الرحمة ، نبي الإنسانية الأذهان إلى قدسية الإنسان وهو

يطوف حول الكعبة المشرفة بعد فتح مكة المكرمة وهو ينظر إليها نظرة التقديس والتعظيم ويقول مخاطبا إياها : « ما أعظمك ! وأعظم حرمتك ! وما أطيبك وأطيب ريحك ! والمسلم أعظم حرمة عند الله منك » .

وهذه الكلمات المضيئات النيرات عبر رسول الله ﷺ عن مكانة المسلم وحرمة عند ربه . فالمسلم أعظم حرمة عند الله من الكعبة . ولهذا كله لن نجد أعظم ذنبا ، ولا أشد جرما ممن يفكر مجرد التفكير في المساس بحرمة المسلمين في حرم الله وأشهر الله ، ومن يفعل ذلك يعرض نفسه لسخط الله وتهديده وإنذاره ووعيده . ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

قال ابن عباس : (الإلحاد وضع الكلام على غير موضعه) وذلك بالدعاية الكاذبة المغرضة الضالة ، والخصومة والفجور والإصرار على الباطل ، فهذا ظلم يستحق فاعله العذاب الأليم . وقد فسر ابن عباس (الظلم) بقوله : (أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من إساءة وقتل ، فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك ، فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم) .

وإذا كان الله تعالى قد توعد بالعذاب الأليم من قلب الحقائق عامدا أو قاصدا الإساءة بأي وجه من الوجوه ، ومن عاند أو كفر أو لجّ في الخصومة واعتبر مجرد الهم بالسيئة إلحادا ، وسوّى بين الفعل والهم ، فما بالك بالقتل وإزهاق الأرواح وترويع الآمنين من المصلين والطائفين والعاكفين ؟ !

فعلى المسلم المحرم بالحج والعمرة ألا يظلم في الحرم ولا يعتدى ولا يؤذى ولا يجافى ولا يسب ولا يفسق ولا يصخب ولا يجاهر بمعصية ولا يصيد ولا يقطع شجرة ولا يؤذى نباتا ولا إنسانا ولا حيوانا ولا يؤوى قاتلا أو فارا بدم ، حتى لا يتعرض للعنة الله وملائكته ورسله والناس أجمعين .

وعلى الوافد أن يعظم حرمة الله ، ويستشعر مقدساته الزمانية والمكانية والإنسانية .. إلخ ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ . حتى ينال رضوان الله ويفوز بمغفرته وجنته « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وقال ﷺ : « من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه وبده غفر الله ما تقدم من ذنبه » .

فشرط القبول ومحو الذنوب مترتب على البعد عن قول الفحش والسباب والجدال والغضب والمراء والملاحاة والمخاصمة أو المجادلة وكل ما نهى الله ورسوله عنه . وحج بيت الله وزيارة مسجد رسول الله تحتاج إلى طهارة الحس والنفس والظاهرة والباطن .

روى الإمام القرطبي عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الله أوحى إليّ : يا أخا المنذرين ، يا أخا المرسلين : أنذر قومك ألا يدخلوا بيتا من بيوتى إلا بقلوب سليمة ، وألسنة صادقة وأيد نقية ، وفروج طاهرة ، وألا يدخلوا بيتا من بيوتى ما دام لأحد عندهم مظلمة فإنى ألعنه مادام قائما بين يدي ، حتى يرد تلك المظلمة إلى أهلها ، فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويكون من أوليائى وأخصائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » وإذا كان هذا يصدق على بيت من بيوت الله فكيف بالبيت الحرام ؟

وقد نهى الإسلام عن كل أنواع الاعتداء على مخلوقات الله ، فنهى عن استحلال الصيد واستحلال القتال فى الشهر الحرام ، واستحلال محارم الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلَى الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حَرَمٌ إِنْ اللَّهُ يَحْكُمَ مَا يَرِيدُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقُلَائِدَ وَلَا آثِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَتَفَعُونَ فُضْلًا مِنْ رِيسِهِمْ وَرِضْوَانًا ﴾ .

تعاليم أخلاقية ، ومناهج تربوية تضبط سلوك المحرمين ، وتغرس فيهم معنى طهارة الظاهر والباطن ، حتى يكونوا أهلاً للوفد على الله ، وأن يكونوا ضيوفاً لله ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ .

فإن هم فعلوا ذلك رجعوا بحج مبرور ، وذنب مغفور . فالحج المبرور هو الذى لا يخالطه إثم ، وهو الذى قد تنزه عن المآثم . وهذا الحج (ليس له

جزاء إلا الجنة) . رواه أحمد ومسلم والنسائي . والحج المبرور هو أفضل الأعمال وأحبها إلى الله بعد الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله . قال صاحب المطالع وغيره : الحج المبرور هو الخالص الذي لا يخالطه مأثم وأصله من البر وهو اسم جامع للخير . ومنه بررت فلانا أى وصلته ، وكل عمل صالح بر ، ويقال : بر الله حجه وأبره .

وخلاصة القول : قد أجمع المسلمون على تقديس الحرمين الشريفين ، وأحبوا ذلك ، وتربوا عليه ، فأصبح جزءا لا يتجزأ من عقيدتهم ، فهي عقيدة يقينية لا يتطرق إليها أدنى شك ، فبذلوا في سبيل حماية مقدساتهم مهجهم وأرواحهم واعتبروا أى اعتداء أو همّ بالاعتداء على هذه المقدسات خروجا عن الإسلام والإيمان وإلحادا في دين الله ، كما فهموا ذلك من صريح النصوص الصحيحة « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمؤمن من ائتمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم » .

كما اعتبروا الاعتداء على حرمت الله ومقدسات المسلمين أو التعرض للآمنين القاصدين لبيت الله ومسجد رسول الله إنما هو اعتداء على ذات الله ، واستهانة بحرمت الله ، وخروجاً من دين الله ، وإعلاناً للحرب على الله ، لأن رسول الله يقول : « الحاج في ضمان الله مقبلاً ومدبراً » . فكيف يتجرأ من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان على الاعتداء على ضيف من ضيوف الله ، وهو في ضمان الله مقبلاً ومدبراً ؟ !

وكيف يتصور مثل هذا الاعتداء في الشهر الحرام والبلد الحرام وعلى الدم الحرام ، فهو اعتداء ثلاثي على قدسية المكان والزمان والإنسان !

ولذا فإن ما حدث من اعتداءات على الحرمين الشريفين طوال التاريخ من فئة دأبت على الاستهانة بدين الله ، والاستهتار بحرمت الله ، والاستخفاف بأرواح عباد الله . إنها نفس الفئة الظالمة ، والطغمة الفاجرة هي هي تكرر نفس الاعتداء بنفس الأسلوب ، وفي نفس الزمان والمكان وعلى الإنسان المسلم نفسه ! كما سنوضح ذلك فيما بعد بإذن الله .

إن هذا الإجرام يمثل عدواناً صريحاً على المقدسات ، وعلى حرم الله وبيت الله

وشهر الله ، إنها لجرائم تقشعر لها الأبدان ، وتشيب قذال الولدان وتكاد
السموات ينفطرن من فوقهن .

أما يخشى المجرمون الآثمون من أن ينزل بهم سخط الله ، ويحق عليه وعده
ووعيده وإنذاره وتهديده ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ ؟
ألا يعلمون غيرة الله على محارمه ، فلا يرضى بانتهاك حرمة بيته وشهره
وعبيدة ! « ألا أن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله محارمه » .
فليتربصوا أن تصيبهم دائرة ، أو أن يلحق بهم ما أصاب الله به غيرهم ممن
اعتدوا على حرمة بيته جزاء بما كسبوا ، نكالا من الله !

الولاية الشرعية على الحرمين الشريفين

إذا كان الله تعالى قد أوجب إقامة الأمن في الحرمين الشريفين ، وجعله من أوجب واجبات الإمام . ولما كانت ولاية الأمن من الولايات العامة ، فإنها من هذا المنطلق اكتسبت أهمية خاصة في دين الله ، لأن ولاية الأمن وحفظه ورعايته من أعظم مصالح الجماعة ، ومن ثم كانت الولاية عليه من قبيل الولاية على أمر من أخطر أمور الناس .

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن تيمية : (يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلّا بها ، فإن بنى آدم لا تتم مصالحهم إلّا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ، ولابد لهم عند الاجتماع من الحاجة إلى رأس حتى قال النبي ﷺ : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » فأوجب رسول الله ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر ، تنبيهها بذلك على سائر أنواع الاجتماع ، ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يتم ذلك إلّا بقوة وإمارة ، وكذلك سائر ما أوجبه ، من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ، ونصر المظلوم وإقامة الحدود لا تتم إلّا بالقوة والإمارة ^(١) .

ثم يقول : (فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها الناس إلى الله ، فإن التقرب إليه بها لطاعته ، وطاعة رسوله من أفضل القربات ، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها) . وقد جاء في الأثر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه : (إن الله يزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن) .

ومن الثابت شرعاً أن للفداء أو الكفاية شرطاً في الولايات العامة ، فيجب تولية

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية ص ١٨٤ وما بعدها ، مطبعة دار الشعب .

الأصلح في الولايات العامة ، وفي الولايات التي تتعلق بشئون الحرمين بصفة خاصة . وقد قامت الأدلة الشرعية على وجوب تولية الأصلح ، ولا يجوز تولية غير الأصلح .

قال الإمام ابن تيمية : (إنه يوجب على أولياء الأمور أن يولوا كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجدونه لذلك)^(١) .

فإن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعْظَمُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ . فذل هذا على وجوب ﴿ يَأْمُرُكُمْ ﴾ إسناد الأمر إلى أصلح من يقوم به .

وقال رسول الله ﷺ : « من ولى من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح منه للمسلمين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » . وفي رواية : « من قلد رجلاً عملاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى منه ، فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين » .

فيجب على كل من ولى من أمر المسلمين شيئاً أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه ولا يقدم رجلاً لعصبية أو قرابة أو مصلحة شخصية وإلا كان غاشياً لجماعة المسلمين وخائناً لله ورسوله ما دام يعلم أن من بين المسلمين من هو أصلح وأكفأ منه .

أهل الحرمين هم الأولى بالولاية :

استناداً لكل ما سبق ، وإلى القواعد الفقهية والمقررات الشرعية نجد أن أهل الحرمين أولى من غيرهم بالولاية الشرعية ، حيث تعتبر تلك الولاية بعد أن تخصصت فيهم من قبيل الواجب العيني عليهم لا يشاركهم فيه أحد ، فهم أصحاب هذا الحق لأنهم القادرون بالتعيين والتخصيص ، لأن المسئولية قاصرة عليهم ، فوجب على المسلمين أجمعين التسليم لهم بهذا الحق ، وعدم منازعتهم

(١) السياسة الشرعية ، ١٨ .

فيه ، أو مطالبتهم به ، لأن ذلك ظلم ليس بعده ظلم ، كما قال ﷺ لبنى شيبه (لا ينزعها منكم إلا ظالم) . وأصل ذلك أن سدانة البيت الحرام لأهلها الشرعيين الذين ولاهم رسول الله ﷺ .

لقد فصلت كتب التفسير والحديث والسير والتاريخ أمر سدانة الكعبة المعظمة في الإسلام ، بل ومنذ أن كانت الحجابة والسقاية والرفادة ، ولقد تضافرت رواياتها في هذا عن عثمان بن طلحة قال :

(كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس ، فأقبل النبي ﷺ يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس ، فأغلقت له ونلت منه فحلم عني ثم قال : « يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت » . فقلت : لقد هلك قريش يومئذ وذلت ، قال : « بل عمرت وعزت يومئذ » ، ودخل الكعبة فوقعت كلمته منى موقعا ظننت يومئذ أن الأمر سيصير على ما قال ، فلما كان يوم الفتح قال : « يا عثمان اتننى بالمفتاح » فأتيته به ، فأخذه منى ، وفتحت الكعبة فدخلها وكبر في جوانبها وصلى فيها ركعتين ، وأذن بلال فوقها . ولما خرج رسول الله ﷺ قام إليه على بن أبي طالب رضى الله عنه - ومفتاح الكعبة في يده - فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية فقال النبي ﷺ : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له ، فقال : « هذا مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برو وفاء » وقال : « خذوها بنى شيبه خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم » .

قال الإمام ابن جرير : نزلت آية ﴿ إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ في عثمان بن طلحة ، قبض منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة فدخل في البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية . ﴿ إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا .. ﴾ الآية . فدعا عثمان إليه ، فدفع إليه المفتاح ، فقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة وهو يتلو هذه الآية : فداه أبى وأمى ما سمعته يتلوها من قبل ذلك . وعن الزهري أن رسول الله ﷺ ، دفع المفتاح إلى عثمان وقال : أعينوه . وروى ابن مردويه عن ابن عباس بعد أن ذكر سبب نزول الآية من بنى شيبه قوله : من المشهورات : أن هذه الآية نزلت في

ذلك^(١) .

وروى الإمام القرطبي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ، وما كنت سمعتها قبل منه فدعا عثمان وشيبة فقال : « خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم » . فدل هذا الحديث الصحيح على أن ما نزلت من أجله الآية الكريمة ، وهو النص على أداء الأمانة لأهلها ومنهم بنو شيبة ، وهو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة^(٢) الحجى العبدى من بنى عبد الدار ، وشيبة كان صحابيا أسلم يوم حنين .

وفى رواية أن شيبة هو ابن عم عثمان بن أبي طلحة^(٣) .

وسواء أكان ابنه أم ابن عمه فإن السدانة فى بنى شيبة خالدة تالدة فيهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها عملا بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . فحق بنى شيبة فى سدانة البيت الحرام ، والقيام بشئون الكعبة المشرفة حق خالد ثابت شرعا كما أخبر رسول الله ﷺ أنه لا ينزع هذا الحق منهم إلا ظالم ، فيكون سلب هذا الحق منهم ظلما ، والظلم حرام فالله تعالى يقول فى الحديث القدسى : « يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ... » الحديث .

وبنو شيبة أصحاب الحق الشرعى من رعايا دولة مسلمة شرفها الله تعالى بخدمة الحرمين الشريفين والقيام عليهما ، ورعاية شؤونهما ، فهى وحدها صاحبة الحق فى حماية حق بنى شيبة وصيائته والحفاظة عليه من المتربصين والطامعين .

ولأن الحرمين وبنى شيبة يقعان تحت سلطان المملكة العربية السعودية فإذن هذه الدولة هى الوحيدة التى من حقها حماية مقدساتها وحقوق رعاياها ، وذلك طبقا للمقررات الفقهية والقواعد الشرعية والقوانين الدولية . إذ تفرض مبادئ

(١) تفسير ابن كثير ٥١٥/١ طبعة الحلبي .

(٢) السياسة الشرعية ص ٢٨ .

(٣) تفسير القرطبي ٢٥٦/٥ ، وسيرة ابن هشام ٤١٢/٢ ، وصحيح البخارى ١٨٩/٤ .

القانون الدولي على الدول جميعاً أن تحترم كل منها سيادة الأخرى بحيث يمثل الالتزام بذلك واجبا دوليا يقع على عاتق كل دولة ، وقد نصت على ذلك المادتان ١ ، ٢ من مشروع إعلان حقوق الدول وواجباتها الذي وضعته لجنة القانون الدولي ، حيث ورد في هاتين المادتين ما يلي : (مراعاة أحكام القانون الدولي في علاقة كل دولة بغيرها أو الامتناع عن التدخل في شئون الدول الأخرى ، فالتدخل في شئون أى دولة عمل غير مشروع)^(١) .

كما تفرض مبادئ القانون الدولي أن تحترم كل دولة سيادة الأخرى وألا تتدخل في الشؤون الداخلية لأى دولة ، فإن هذا التدخل ينطوي في حقيقته على مساس بالسيادة ، وتعد على حقوق دولة داخل أراضيها ، وذلك كله قد يسفر عن نتائج وخيمة تعلن فيها الحروب ، ويضيع فيها الأمن والسلام . وسيادة الدولة على أراضيها تمثل ما للدولة من سلطان تواجه به الأفراد داخل إقليمها ، فتشملهم بالمنعة ، وتحمي حقوقهم ، وتواجه به الدول الأخرى بإرادتها وحدها دون تدخل من دولة أخرى^(٢) .

طبيعة السيادة ومداه :

تمثل السيادة ما للدولة من سلطان تواجه به الأفراد في داخل إقليمها ، وتواجه به الدول الأخرى في الخارج ، ومن مقتضيات هذا السلطان أن يكون مرجع تصرفات الدولة في مختلف شئونها إلى إرادتها وحدها ، وتعبّر عن هذه الإرادة الهيئة التي تتولى الحكم في كل دولة وفقا لنظامها السياسي .

فالدولة على هذا الاعتبار لا يمكن أن تسلم بوجود أية قوى أخرى فوق إرادتها ولو كانت قوة القانون ، وقواعد الأخلاق . فإرادتها ورغباتها هي قانونها الأعلى .

(١) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام ص ١٧٨ ، على منصور .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

وجود قانون دولي يتضمن قواعد تحكم العلاقات بين الدول يستلزم إخضاع سيادة الدولة لهذه القواعد . فكما أن الفرد مقيد في استعمال حريته بحقوق غيره من الأفراد ، كذلك الدول تتقيد في تصرفاتها بما للدول الأخرى من حقوق يتعين عليها عدم الإخلال بها^(١) .

(ومقتضى حق السيادة أن تمارس الدولة سيادتها داخل إقليمها وخارجه مع جماعة الدول ، بوحى من إرادتها دون تدخل من دولة أخرى)^(٢) .

وقد ترتب على إقرار الأمم المتحدة لنظرية السيادة الدولية ، أن تمارس الدولة بإقليمها المستقرة عليه كل حقوقها على أرضها ، وهو ما يسمى بلغة القانون الدولي (بالميراث الدولي) أى حق الدولة على إقليمها حق ملكية تمارس عليه سلطاتها كما يمارس المالك سلطاته على ما يملكه ، وذلك تعبير مجازي عن مدى سلطات الدولة في ممارسة سيادتها على أرضها ، ومقدساتها دون أن يشاركها أحد غيرها . وفكرة « الميراث الدولي » وإن كانت قد نشأت في ظل النظرية التقليدية إلا أنها ورغم التطور الذي لحقها ما زالت هي التعبير الأقرب دلالة على ممارسة الدولة لسيادتها على تراثها وثرواتها ومقدساتها بإقليمها^(٣) .

وعلى هذا يكون حق ولاية الأمن أحد مظاهر سيادة الدولة على أرضها ومقدساتها . وهذا لا يتنافى مع مبادئ الشريعة الإسلامية ، التي تدعو إلى احترام العهود والمواثيق الدولية حتى درجة التقديس ، وذلك أدعى لاحترام أرضها وسيادتها عليها .

وإذا كانت المبادئ القانونية تقضى بأن الدولة التي يوجد الحرمان الشريفان في أرضها لها حق ولاية الأمن فيها ، من منطلق حقوقها الشرعية وشخصيتها الدولية وسيادتها الوطنية ، فإنه مع كل ذلك ينسجم مع مبادئ الشريعة الغراء ، ويتمشى مع القواعد الفقهية الثابتة بالاستقراء لفروع الشريعة بأن يتولى الأمر

(١) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام ص ١٢٤ وما بعدها بتصرف .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٨ .

(٣) الشخصية الدولية - في القانون الدولي والشريعة الإسلامية ص ٣٣٩ ، د . محمد كامل ياقوت .

الأكفاء الصلحاء امتثالاً لأمر الله ورسوله بالمحافظة على الأمانة وأدائها ، قال عليه السلام : « إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة ، قيل : يارسول الله وما إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ .

وإذا كان هذا هو حكم الله وحكم رسوله ، وهذا هو حكم المقررات الفقهية ، والقواعد الشرعية ، والقوانين الدولية ، فهل يجوز لأحد أن ينازع المملكة العربية السعودية الحق في ولاية الحرمين الشريفين ، أو الدعوة إلى تدويل إدارتها من قبل هيئة دولية ؟

ويتضح مما سبق أن دفع الأحداث في الحرمين الشريفين ، ورعاية حقوق الله في رحابها من أولى الواجبات التي تناط بالإمام . ذلك أن أول مهام الإمام حراسة الدين ، فإذا حدث في رحابها هرج أو شغب أو عمل يؤدي إلى الفتن ، كان واجبا على الإمام أن يدفعه ليعيد السكينة للحرم ، ويقر الأمن للطائفين والعاكفين والركع السجود .

قال الماوردي : الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا^(١) .

ثم قال الماوردي : وإذا قام الإمام بما ذكرناه من حقوق الأمة فقد أدى حق الله تعالى فيما لهم عليه ، ووجب له عليهم حقان : الطاعة والنصرة مالم يتغير حاله^(٢) .

وقال أبو يعلى : (وإذا قام الإمام بحقوق الأمة وجب عليهم حقان : الطاعة والنصرة ، مالم يوجد من جهته ما يخرج به عن الإمامة ، والذي يخرج به عن الإمامة شيئان : الجرح في عدالته ، والنقص في بدنه)^(٣) .

(١) الأحكام السلطانية ص ٥ .

(٢) الأحكام السلطانية ص ١٧ .

(٣) الأحكام السلطانية لأبي يعلى ٢٨ .

والذى يشهد به الأعداء قبل الأصدقاء أن الحرمين الشريفين يلقيان من الرعاية والعناية فى عهد الأسرة السعودية مالم يحظيا به طوال تاريخهما ، فقد شهد الحرمين من مشروعات التجديد والتوسعة والإصلاح ، والخدمات ، والمرافق ما فاق الحصر وكل التصورات .

فقد تضاعفت سعة الحرمين أضعافا مضاعفة ، وتم تجهيزها أحسن تجهيز ولقى حجاج بيت الله وعماره وزوار المسجد النبوى من التيسير والراحة والأمن وسائر الخدمات المجانية مالم يشهده عصر من قبل . وبالرغم من تضاعف أعداد الحجاج سنة بعد سنة ، فقد ظل الحجاج يؤدون مناسكهم فى سهولة ويسر وراحة وأمان واطمئنان ، ويلقون من العناية والرعاية مالم يحظ به الحرمين فى أى عهد كان .

فقد شهد المسلمون جميعا - ماعدا - تلك الفئة المارقة والنحلة الخارجة عن الإسلام ، شهدوا لخدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وإخوانه من قبل ، بأنهم قاموا على خدمة الحرمين أحسن قيام ، ووفوا بأبلغ الوفاء ، بما لا مزيد عليه ، ولا ينكره إلا جاحد معاند مكابر !

وهذا ، وإن ولاية الأمن فى الحرمين تنطبق على هذه الأسرة السعودية أكثر من أى جهة أخرى ، طبقا لما جاء فى مصنفات السياسة الشرعية من تنظيم فقهى لولاية الأمن فى الحرمين ، تحدث عنها صاحبها الأحكام السلطانية (الماوردى وأبو يعلى) .

وقد قسم القاضى الفراء ، ولاية الحج إلى قسمين : أحدهما أن تكون على تسيير الحجيج ، والثانى على إقامة الحج . ثم قال : فأما تسيير الحجيج فهو ولاية سياسية وزعامة تدبير ، والشروط المعتبرة فى المولى : أن يكون مطاعا ذا رأى وشجاعة وهيبة وهداية^(١) .

وقد ذكر حقوق هذه الولاية^(٢) التى تحقق فى جملتها أمن الحرمين وحمايتهما

(١) الأحكام السلطانية ص ١٠٨ وما بعدها للفراء ، والأحكام السلطانية للماوردى ص ١٢٢ وما بعدها .

(٢) المراجع السابقة ص ١٢٢ وما بعدها .

ويكفل حماية الحجاج ودفع الأخطار عنهم ، وأن يحرس مسيرهم وينظمه ، ويمنع عنهم من يصدّهم ، ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحج ، وأن يصلح بين المتنازعين ، وأن يقوم زائفهم ، ويؤدّب جانبيهم ، وأن يرفق بهم ويوفر لهم الماء وضرورات الحياة حتى يتحقق المقصود الشرعي لاستتباب الأمن حتى يتفرغ الحجاج لأداء مناسكهم في راحة ويسر .

وكل هذا وفوقه عشرات الأضعاف تقوم به حكومة المملكة العربية السعودية فلم يعرف الحرمان الشريفان الأمن والاطمئنان إلّا بعد استيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز وتأسيس الدولة السعودية سنة ١٣٥١ هـ . حيث تم تطهير أرض الحرمين من الأرجاس والبدع والخرافات والضلالات امتثالاً لأمر الله تعالى ﴿ وطهر بيتي للطائفين ... ﴾ الآية .

وظلت السعودية ساهرة على أمن الحرمين ، حيث ضربت بيد من حديد على يد كل من يعبث بأمن الحرمين ويقطع السبيل على حجاج بيت الله الحرام وزوار المسجد النبوي .

ولم تكتف المملكة العربية السعودية وأولياء الأمر فيها بتأمين طرق الحج وسلامة الحجيج ، بل بذلت قصارى جهدها في تيسير الحج ، فأعطت للحرمين الشريفين كل اهتمامها من توسعتما عشرات المرات ، وتطوير الخدمات ، وشق الطرق والأنفاق وإقامة الجسور وتوفير المياه النقية العذبة الباردة والغذاء والدواء والمواصلات .. إلخ .

كما جندت الدولة جميع وزاراتها وكافة مؤسساتها الرسمية والشعبية لخدمة ضيوف الرحمن ، فكل وزارة من وزارات الدولة وإدارة من إداراتها مجندة لخدمة الحجيج وراحتهم من وزارة الداخلية ، والصحة ، والتجارة ، والبريد والهاتف ، والإعلام ، ووزارة الحج والأوقاف ، ورئاسات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، والجامعات والمعاهد والكليات .

فأصبحت هذه الجهود الخيرة سمة من سمات المملكة ، حيث يشرف عليها مباشرة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، وولى عهده الأمين

الأمير عبد الله بن عبد العزيز ، وسائر الأسرة والدولة الذين يتشرفون جميعا بخدمة ضيوف الرحمن بأنفسهم ، خدمة خالصة لوجه الله تعالى ، لا يريدون عليها من أحد جزاء ولا شكورا ، ولا يتخذونها مادة للدعاية والإعلام .

وهذا ما شهد به الجميع ممن زار المملكة أو أدى فريضة الحج أو العمرة . فمنذ أن دخل الملك عبد العزيز رحمه الله مكة المكرمة محرما ، متواضعا لله معظما لحرمت الله وشعائره ، معلنا السلام الشامل في بلد السلام ، موجهها نداءه الطيب الذي لا يزال يتردد صدها إلى جميع المسلمين حيث يقول :

(لقد قضينا على الظلم ، ونشرنا العدل في ربوع البلاد ، وليس أشهى إلى قلوبنا من إقبال المسلمين على الحج من أنحاء العالم الإسلامي . الطرق مفتوحة أمامكم أيها المسلمون . ولن يتعرض أحد لكم بسوء ، فاطمئنوا كل الاطمئنان . وقد آلينا على أنفسنا أن نعيد للحج ازدهاره ومجده القديم) .

ومنذ ذلك الحين ، بدأ عهد جديد في خدمة الحرمين الشريفين ورعايتهما وتوفير الأمن والسلام لهما . عهد جديد من التوسعات المتتابة في الحرمين الشريفين . فقد نهضت المملكة العربية السعودية بمسؤولية توسعة الحرمين الشريفين على نحو لم يسبق له مثيل في تاريخ عمارة الحرمين ، حيث تضاعفت مساحات الحرمين عشرات المرات .

فمنذ عهد جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله - بدأت فكرة توسعة المسجد الحرام ، فقد كان اهتمام جلالته بتيسير أمور الحج والزيارة عظيما . وأخذ مشروع التوسعة أولى مراحله في عهد جلالة الملك سعود - رحمه الله - منذ صدور المرسوم الملكي في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٧٥ هـ لبدء العمل في مشروع التوسعة للمسجد الحرام ، وحتى وقتنا الحاضر وإلى المستقبل بمشيئة الله .

وقد بلغت قمة توسعة المسجد الحرام في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، حيث وضع حجر الأساس للتوسعة السعودية الجديدة في الثاني من شهر صفر سنة ١٤٠٩ هـ . وهي التي رفعت التوسعة الجديدة إلى ٣٠٩ آلاف متر مربع تتسع لـ ٦٥٠ ألف مصلي وتتكلف توسعة الملك فهد ٦٨٥٠ مليون ريال .

وتتضمن التوسعة الجديدة الأعمال الكهربائية بتنفيذ محطات تحويل كهربائيتين على جانبي التوسعة وشبكة إذاعية داخلية وتهوية للبدروم ميكانيكيا لتنقية الهواء من الغبار وتكييف طبيعي للأدوار وتصريف مياه الأمطار ونظام مكافحة الحريق وتوفير مصادر لشرب مياه زمزم في جميع الأدوار .

ويعد مصنع خادم الحرمين الشريفين للمياه المبردة في مكة المكرمة واحدا من أهم المبرات الإسلامية التي أوقفها - حفظه الله - على المسلمين كافة في مواسم الحج والزيارة والعمرة . وسينتج هذا المصنع خلال الأعوام القادمة إن شاء الله خمسين مليون عبوة سنويا .

وقد بلغت تكاليف محطة التحلية وتوليد الطاقة الكهربائية وخط أنابيب المياه لمكة المكرمة والطائف حوالى خمسة آلاف ومائة مليون ريال .

وتأتى التوسعة الجديدة في عهد خادم الحرمين الشريفين في إطار الجهود الكريمة المتواصلة والرعاية الشاملة لخدمة الحرمين الشريفين في إطار تقديم أفضل سبل العناية والحرص على راحة ضيوف الرحمن وتيسير أدائهم لمناسكهم بكل السهولة وفي غاية الطمأنينة .

وإذا كانت المملكة بقيادة الملك المفدى لم تأل جهدا ولن تدخر وسعا في سبيل أدائها لهذا الشرف الذى تعتز به - وهو خدمة الحرمين الشريفين والعناية التامة بضيوف الرحمن - فإن المملكة ما تزال تواصل جهودها الخيرة في سبيل توفير المزيد من هذه الخدمة وتلك الرعاية وسخرت إمكانياتها وقدراتها لإعلاء مكانة الحرمين الشريفين وما يليق بهما ابتغاء لوجه الله واستشعارا لمكانة وقداسة الحرمين وتحقيقا لهذه الأماكن وما يليق بهما إسلاميا ودوليا .

ومن هنا فإننا نقرر أن مشاريع الحرمين الشريفين ارتبطت إعمارهما الكبير بتاريخ المملكة أكثر من أى مرحلة سابقة . فقد عاشت المملكة العربية السعودية والحرمين الشريفان في ظل الأسرة السعودية - وخادم الحرمين الشريفين - عهدا جديدا في خدمة الحرمين ليس في مجال التوسعة فحسب ، بل عاشت عهدا جديدا في

مجال المواصلات ، فمن أجل الوصول إلى الحرمين الشريفين وسائر المناسك والمشاعر شقت المملكة آلاف الكيلو مترات من الطرق ومهدتها تمهيدا للمشاة والسيارات ، كما أقامت الجسور وفتحت الأنفاق في أعماق الجبال لذات الغرض .

وتعيش عهدا جديدا في مجال الاتصالات المتطورة التي وفرتها الدولة من بريد وبرق وهاتف وتلكس حيث يستطيع الحاج الاتصال بقارات العالم جميعا بسهولة ويسر .

وتعيش عهدا جديدا في مجال استقبال الحجاج والعمار وتسهيل إجراءات الدخول لهذه الألوف من الحجاج بسهولة ويسر برا وبحرا وجوا .

وتعيش عهدا جديدا في مجال توفير المياه الصالحة للشرب فقد افتتح الملك فهد ابن عبد العزيز محطة كبرى لتحلية المياه ، تضخ إلى مكة المكرمة أكثر من خمسة عشر مليون جالون يوميا .

وتعيش المملكة عهدا جديدا مع خادم الحرمين الشريفين في مجال الصحة وتوفير المناخ الصحي للآلاف من الحجاج والمواطنين في أكثر مناطق العالم ازدحاما ، حيث ضاعفت المملكة طاقاتها الصحية - الوقائية والعلاجية - من أطباء وممرضين وأجهزة ومستشفيات ، وتوعية صحية عامة ، لكي تحافظ على عافية الحجاج وتحميهم من كل أذى ينال من عافيتهم .

وعهد جديد في الأمن على النفس ، والمال ، والولد ، فقد حققت المملكة الأمن بمفهومه الواسع الشامل .

وهذا قليل من كثير ، وغيض من فيض مما وفره إمام المسلمين وحكومته الرشيدة للحرمين الشريفين ، وذلك كله ينبع من عقيدة يقينية بقدسية الحرمين ، ويدل على الكفاءة والقدرة والأهلية الكاملة لتحمل المسؤولية ، بما لا يمكن أن يقدر عليه أحد سواه ، لما يتوافر له ولحكومته من إمكانيات تلك الولاية من سيادة دولية محترمة ، وحرص ديني واضح ، وتاريخ يبعث الطمأنينة في قلب كل مسلم ، وغيرة إسلامية ممتزجة بالمشاعر الوطنية ، وحاضر مشاهد ينطق بكفاءة لا يقدر أحد على

إنكارها ، ومن ثم كان إسناد الولاية للملكة واجبا شرعيا .

وقد ثبتت إمامة خدام الحرمين الشريفين شرعا ، كما سيأتى ذكره . فقد وضع الملك فهد بن عبد العزيز نفسه فى خدمة الحرمين الشريفين ، وتشرف بالقيام بهذا الواجب الذى اعتبره أشرف الأوسمة وأعلى الرتب وأسمى الألقاب ولذا فقد تنازل عن لقب صاحب الجلالة إلى خدام الحرمين .

فهل هناك أشرف وأعظم من القيام على خدمة الحرمين الشريفين ؟

وهل هناك مسئولية أعظم من السهر على راحة ضيوف الرحمن ؟

فمن أولى من خدام الحرمين إذن ، بولاية وإمامة الحرمين الشريفين ؟

وهو القائل : (الحمد لله الذى وهبنا من لدنه نعمة الحياة والجوار فى كنف البلد الأمين والحرم الآمن وجعل خدمة الحرمين الشريفين وخدمة الحجاج والزوار والعمار أعظم مسئولياتنا وأسمائها وأشرفها) .

لقد قدر العالم الإسلامى كله جهود خدام الحرمين وحكومته الرشيدة تقديرا عظيما . ولا أدل على وقوف علماء الأمة وحكامها وشعوبها فى وجه الطغمة الإيرانية الباغية والجاحدة . وعليه فقد ثبت شرعا مساندة الحكومة الراعية للحرمين الشريفين ، وهى تؤدى أشرف الواجبات فى خدمة المقدسات .

كما يجب على جميع المسلمين مساعدة ومساندة هذه الدولة الراعية للحرمين الشريفين على حسن القيام بواجبها وتفويضها فى اتخاذ كافة الإجراءات التى تراها ضرورة لتحقيق الأمن والسلامة فى ربوع الحرمين ، وأن أى مساس بحق هذه الدولة ومسئوليتها يعتبر خروجا على القواعد الشرعية التى تقضى بإسناد الولاية إلى أهلها .

ففى ضوء ما قدمنا من الحقائق الساطعة ، والوقائع الناصعة ، لما قامت به المملكة العربية السعودية خلال العقود السبعة الأخيرة - أى منذ قيام المملكة - فإن دلت هذه الخدمات للحرمين الشريفين ورعايتهما والدفاع عنهما على شىء فإنما تدل على تعظيم ولاية الأمر فى المملكة العربية السعودية لشعائر الله وحرماته ، إذ لا يستطيع أن يخدم هذه الأماكن المقدسة حق خدمتها إلا من يعظمها حق تعظيمها .

وهو في الوقت نفسه يدل على إحساسهم العميق والمتصل بمسئوليتهم نحو كل مسلم يقصد هذه الأماكن المقدسة : حاجا أو معتمرا ، أو زائرا . ذلك أن المسؤولين في المملكة قد أدركوا قوة العلاقة بين أحسن الأماكن المقدسة وأمن قاصديها من حجاج وعمار وزوار ، فالمسلم لا يستطيع أن يؤدي ما عليه من واجبات في هذه الأماكن الطاهرة إلا إذا كان آمنا على نفسه ، وهذا هو سر دعاء أى الأنبياء إبراهيم عليه السلام : ﴿ رب اجعل هذا بلدا آمنا ﴾ .

إن الرعاية الأمناء على هذين الحرمين الشريفين يدركون العلاقة الواضحة القوية بين الحرمين الشريفين والأمن ، فيجب أن تبقى هذه الأماكن المقدسة - كما أرادها الله - آمنة ، واعدة ، وادعة ، محروسة بعناية الله ، ثم بما يجريه الله سبحانه على يد عباده الذين ولاهم أمن الحرمين من أسباب الحراسة والخدمة في كل زمان .

وإن المتتبع لتاريخ الحرمين الشريفين يدرك أن خدمة الحرمين الشريفين وخدمة الدعوة إلى الله متلازمان ، فكل من يعظم شأن الدعوة يعظم خدمة الحرمين . ومن هنا كان عصر النبوة ، هو أكثر العصور تعظيما للحرمين الشريفين وبلى ذلك عهد الخلافة الراشدة ، ثم جاءت عصور مختلفة تفاوتت فيها خدمة الحرمين بتفاوت التزام تلك العهود بالإسلام ، وبالدعوة إليه . فكلما استقامت مسالك المسؤولين عن الحرمين على سنة الله الكونية ومنهجه الشرعى عرفوا لهذه القدسية قيمتها ومكانتها ، والتزموا التعظيم وترجموه إلى واقع عملي مشهود . وأما الذين انحرفوا عن سنن الله الكونية ، ولم يعرفوا لهذه القدسية قيمة ولا حرمة فقد سلكوا نحو الحرمين سلوكا يعبر عن نظرتهم للحرمين الشريفين . فخدمة الحرمين الشريفين نعمة عظيمة لا يهبها الله تعالى إلا لمن هم جديرون بها ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ .

لقد شهدت الأمة الإسلامية بعظمة الخدمات التي قدمتها المملكة العربية السعودية للحرمين الشريفين ، وللحجاج والعمار ، شهد بذلك علماء الإسلام ودعاته ، وشهد بذلك الجماعات الإسلامية ، وشهد بذلك شعوب العالم

الإسلامى ودول العالم الإسلامى ممثلة فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذى انعقد مؤخراً فى الأردن . وشهد بذلك عشرات المؤتمرات الإسلامية التى انعقدت فى قارات العالم كلها .

إن رعى الدعاة والعلماء والمفكرين المسلمين الذين عاصروا بدء النقلة فى عهد الملك عبد العزيز قد شهدوا باستتباب الأمن فى الحج والحرمين الشريفين .

ومن هؤلاء - أمير البيان شبيب أرسلان - فقد شهد هذا المفكر المسلم بالحق وقال : توالى على البلاد المقدسة قرون وأحقاب كانت فيها أشد البلاد افتقاراً إلى الإصلاح وأقربها إلى الفوضى ، وأقلها أمناً وراحة سكان ، وأكثرها عبثاً وفساداً ، وكانت هذه الحالة فظيعة جداً ، مخجلة لكل مسلم ممرضة لكل مؤمن .

هكذا توالى القرون والحقب والناس على هذا الاعتقاد إلى أن آل أمر الحجاز إلى الملك عبد العزيز بن سعود ، فلم تمض سنة واحدة حتى انقلب الحجاز من مسبعة تزار فيها الضواري فى كل يوم ، بل فى كل ساعة ، إلى مهد أمان وقرارة واطمئنان ، ينام فيها الأنام بملء الأجفان ولا ينجشون سطوة عاد وغارة حاضر ولاباد ، وكأن أولئك الأعراب الذين روعوا الحجيج عدة قرون لم يكونوا فى الدنيا وكأن هاتيك الذئاب تحولت إلى حملان ، فلا نهب ولا سلب ، ولا قتل ولا ضرب ، ولو شاءت الفتاة البكر أن تذهب من مكة إلى المدينة أو من المدينة إلى مكة أو إلى أى جهة من المملكة العربية السعودية وهى حاملة الذهب والألماس والياقوت والزمرد ما تجرأ أحد أن يسألها عما معها .

وصدق أمير البيان ، وما وفى ولاية الأمر السعوديين حقهم فيما بذلوا ويبدلون فى خدمة الحرمين الشريفين ما يشرف كل مسلم ومسلمة ، فمن توسعة منقطة النظر للحرمين ، إلى العناية الأمنية المكثفة ، إلى تسخير كافة إمكانيات الدولة فى سبيل راحة قاصدى الحرمين الشريفين . كل ذلك فى سبيل تعظيم حرمة الله وشعائره .

حكم الدعوة إلى تدويل الحرمين الشريفين

وعلى ضوء ما سبق وما تقرر ، فإنه لا يستقيم شرعا ولا قانونا المناداة بتلك الفكرة الخبيثة (تدويل الحرمين الشريفين) فإنها باطلة شرعا ، وفاسدة قانونا ، وغير مستساغة عقلا ، ولا ذوقا . فلقد قضى الله ورسوله أن تظل حجابة الكعبة في بنى شيبة وهم مكيون ، فعلى الأمة ألا تخالف ما قضى الله ورسوله به ، ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضللا مبينا ﴾ .

فبنو شيبة هم أصحاب الحق الشرعى في ولاية البيت الحرام وهم المقيمون عليه ، لا ينازعهم فيه إلا ظالم - كمال قال عليه الصلاة والسلام .

وقد نقل النووى عن القاضى عياض : أن بنى شيبة هم المقيمون على حرم هذا البيت لا ينزع منهم ماداموا صالحين . ومعيار الصلاحية : حسن الإدارة والصيانة للبيت العتيق وحرمة الآمن وتجديد مرافقه ، وتوسعته ، وتيسير أداء المناسك لمن قصده حاجا أو معتمرا .

قال شيخ الأزهر : (وهذا بحمد الله موفور ميسور مما يستوجب ثناء الأمة الإسلامية وتأييد المسلمين قاطبة لأولى الأمر في موطن الحرم ، فقد بذلوا ويذلون مما أفاء الله عليهم من نعمة لإعزاز الكعبة الشريفة وحرمتها وزوارها ، لقد عبدوا الطرق ، وأقاموا الأنفاق والمعابر الموصلة إليها وإلى سائر المشاعر تيسيرا لأداء المناسك وهم يقيمون الدين بقدر ماوسعهم ، ولا يصدون عن المسجد الحرام ، ولاعن مسجد سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام) .

ثم قال فضيلته : (وإذا كان الثابت أن حجابة البيت مستقرة منذ فتح الله مكة لرسوله محمد ﷺ ، وكان حجبته هم أولئك الذين قال لهم الرسول : « خذوها تالدة ، إني لم أدفعها لكم ، ولكن الله دفعها إليكم ولا ينزعها منكم إلا ظالم » صار الواجب استمرار بقائها على هذا الوجه ولا يجوز نزع هذه الولاية

الثابتة لهم بحكم الله ورسوله ، ومن ثم يكون التنادى بتدويل الولاية على الحرم إثما كبيرا ، لأنه تغيير لما وضع الله ورسوله بغير حق ولا سبب موجب ، ومن يفعل ذلك أو يدع إليه ﴿ يلق أثاما ﴾ ويكون ظالما عاصيا لله ولرسوله ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ . ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ .

حكم الدعوة إلى التدويل من الناحية الشرعية :

إن فكرة التدويل فكرة باطلة ومحرفة شرعا لأنها تنطوي على ما يهدر القواعد الفقهية ، والمبادئ الشرعية ، والمقررات الدولية ، وهي ستؤدي إلى :

١ - الخروج على سلطان الإمام القائم على أمر الحرمين ، وسلب الولاية منه واغتصاب حق من أصحابه ، وطعن دولة في سيادتها والتدخل في أمر من أخص شئونها .

٢ - إقامة إدارة تضم العديد من الدول لإدارة شئون الحرمين وهذا سيؤدي إلى شيوع المسؤولية عن الأمن في الحرمين الشريفين ، بما يعد مساسا به فالمسؤولية تحتاج إلى إسناد دقيق يتسنى من خلاله تحديد ضوابطها وبيان الآثار المترتبة عليها ، وهذا لن يحدث مع شيوع تلك المسؤولية بين أكثر من دولة .

٣ - ستكون تلك الفكرة ذريعة إلى مفساد كبيرة ، ومدخلا لشور كثيرة ستؤدي في النهاية إلى ضياع مصالح الدين والدنيا في أرض الحرمين الشريفين وستكون الربوع الطاهرة مرتعا للهوى والعبث فيضيع الأمن ويتفشى الفساد إذ تشعر الدولة صاحبة الولاية الشرعية للأمن في الحرمين أنها قد انتهكت سيادتها ، أو مست كرامتها ، فتتشب الحروب وتندلع الفتن ، فليس من السهل على دولة اقتطاع جزء من أقدس ترابها ، ثم تسلم بذلك دون حرب يكون الضحية فيها هو أمن المسلمين في رحاب حرم الله الآمن .

وإذا كانت كل تلك النتائج محرمة ، فإن الذريعة إليها وهي فكرة التدويل تأخذ حكمها وهو التحريم القاطع ، لما هو ثابت من أن للشئ حكم غايته^(١) .

(١) انظر بحث الولاية الشرعية للأمن في الحرمين الشريفين ، د . عبد الله النجار .

وكل هذه الأمور الثلاثة باطلة ومحزمة شرعا ، لأنها تخالف المبادئ الشرعية ، والمقررات الفقهية ، وإجماع الأمة .

أما الأمر الأول : وهو الخروج على الإمام فهو حرام بإجماع أهل السنة . وهذا ما قرره الإمام النووي في شرحه لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم) .

وفي رواية أخرى عن طريق جنادة بن أمية عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : (دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان مما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله قال : إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) .

قال النووي : ومعنى الحديث : لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم ، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا الحق حيثما كنتم وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين^(١) .

وقال الشيرازي : لا يجوز الخروج عن الإمام لما روى ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من نزع يده من طاعة إمامه فإنه يأتي يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية » .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا » . متفق عليه . وقال في جمع الجوامع^(٢) لا يجوز الخروج على السلطان .

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري : (ويجب على الناس نصب إمام ولا

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ٢٢٨/١٢ طبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة .

(٢) الإمام تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي .

يجوز الخروج عليه ^(١) .

قال الشيخ الدردير : « الباغية » : فرقة أى طائفة من المسلمين « خالفت الإمام » الذى ثبتت إمامته باتفاق الناس عليه « لمنع حق » لله أو لآدمى وجب عليها ، أو « لخلعه » أى وخالفته لإرادتها خلعه أى عزله ، لحرمة ذلك .

وقال الشافعى رضى الله عنه : (فالباغى يقاتل الإمام العادل فى مثل هذا المعنى فى أنه لا يعطى الإمام العادل حقا . إذا وجب عليه ، ويمتنع من حكمه . ، ويزيد على مانع الصدقة أنه يريد أن يحكم هو الإمام العادل ويقاتله فيحل قتاله بإرادته قتال الإمام) ^(٢) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل فى رسالته إلى مسود بن مسرهد البصرى حين سألته أن يكتب إليه فى سنة رسول الله ﷺ : (والدعاء لأئمة المسلمين بالصالح ولا تخرج عليهم بالسيف ولا تقاتل فى الفتنة) ^(٣) .

وروى أبو يعلى فى الطبقات قال : سمعت ابن حنبل يقول :

(ومن خرج على إمام أئمة المسلمين وقد كانوا اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأى وجه كان : بالرضا أو بالغلبة ، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية ، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق) ^(٤) .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ^(٥) رحمه الله : (من اتفق المسلمون على إمامته ثبتت إمامته ووجببت معونته ، وفى معناه من ثبتت إمامته بعهد من إمام قبله . وكذلك لو خرج رجل فقهر الناس حتى بايعوه صار إماما يحرم الخروج

(١) شرح الجلال شمس الدين المحلى على متن جمع الجوامع لابن السبكي ٤٢٠/٢ .

(٢) الأم ١٣٥/٤ للشافعى ، دار الشعب ، القاهرة .

(٣) المدخل إلى مذهب الإمام ابن حنبل ، ص ١٢ ، لابن بدران الدمشقى .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢ ، ص ٢٢ .

(٥) مختصر الإنصاف والشرح الكبير للإمام محمد بن عبد الوهاب ، ص ٤٧١ .

عليه كعبد الملك بن مروان ، فيدخل في عمومه قوله : « من خرج على أمتي وهم جميع فاضربوا عنقه بالسيف » رواه مسلم وأحمد والنسائي .

وقد ثبتت إمامة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود خادم الحرمين الشريفين بالعهد والبيعة واجتمع الناس عليه واتفقوا على إمامته ، وأقروا له بذلك ، ورضوه وأحبوه وفدوه بأرواحهم ومهجهم .

وعلى هذا فإنه يحرم شرعا الخروج عليه ، وله على المسلمين السمع والطاعة ، والنصرة والمؤازرة . والإجماع منعقد على هذا على ثبوت إمامة خادم الحرمين الشريفين شرعا وإن إنكار حقه أو الطعن في إمامته ، أو محاولة الخروج عليه ، أو المناداة بسلب حقه في إدارة الحرمين الشريفين يعد بغيا وخروجا على الإمام الشرعي ، ويحق مقاتلة هؤلاء البغاة حسب ما جاء في المقررات الفقهية ، والمسلمات الشرعية .

الأمر الثاني :

إن المناداة بتدويل الحرمين الشريفين ، وجعل إدارتهما تحت مجلس ينتمي إلى العديد من الدول هو الفتنة بعينها ، وهو الفساد ذاته ، وهو الجريمة المخطط لها مع الإصرار والتعمد . وهو كله مخالف لروح الشريعة ونصوصها الصريحة .

فقد بينا أنها دعوة خبيثة فاسدة ومفسدة ، تهدف إلى إشاعة الفوضى في البلاد ، ونشر الفساد بين العباد ، بشيوع المسئولية ، لكى تعيد الأهواء والنزوات والشهوات في ربوع الديار المقدسة . ذلك أن هذه الدعوة ما هى إلا ذريعة لإشاعة الفاحشة ، ونشر الفساد في البلاد .

وسدا للذرائع ودرءا لخطرها ، لابد من التصدى لها ، وتجريم من يدعو إليها وتأثيمه ، حماية للمقدسات ، وصدا لأصحاب الأهواء والشهوات .

كما أنه من المسلمات الفقهية أن تفريق أمر المسلمين وشق جماعتهم يستحق فاعله والداعى إليه القتل والإخراج من جماعة المسلمين .

قال القاضي أبو يعلى : (نصبة الإمام واجبة ، وقد قال أحمد رضى الله عنه :

« الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر المسلمين » (١) .

ونقل عن الإمام أحمد : (لابد للمسلمين من حاكم ، أتذهب حقوق الناس) (٢) .

ولما كانت الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا فعقدتها لمن يقوم بها من الأمة واجب بالإجماع (٣) .

وقال : (٤) فإذا استقرت الخلافة لمن تقلدها بعهد أو اختيار لزم كافة الأمة أن يعرفوا إفضاء الخلافة إلى مستحقها .

وعلى هذا فإن الدعوة إلى تدويل الحرمين الشريفين ، فتنة تنذر بالشروع المستطير ، وتؤدي إلى الفوضى ، وتصيب المسلمين في مقدساتهم وحرمااتهم . إنها دعوة تنطوي على بغى وخروج على الإمام الشرعى ، ومخالفة للجماعة ونشر للفتنة والفساد .

وقد بينّا أن إجماع الأمة منعقد على السمع والطاعة للإمام ، ويجب على المسلمين طاعته ونصرته ما دام يقوم بحقوق الأمة .

ولذا فعلى المسلمين جميعا الوقوف إلى جانب إمامهم الشرعى ومقاتلة البغاة ودفعهم ، ودرء شرهم ، وفسادهم .

وهؤلاء الدعاة إلى التدويل حكمهم حكم البغاة عند فقهاء الأمة ، فقد عرفوهم بأنهم (القوم الذين يخرجون على الإمام بتأويل سائغ ولهم منعة وشوكة) (٥) .

والإمام هو : رئيس الدولة أو حاكمها .

(١) الأحكام السلطانية ، ١٩ لأبى يعلى .

(٢) الأحكام السلطانية ، ٢٤ لأبى يعلى .

(٣) الأحكام السلطانية ، ٥ للماوردى .

(٤) الأحكام السلطانية ، ١٥ للماوردى .

(٥) الشرح الكبير ٤٩/١٠ .

أو (هم فرقة من المسلمين خالفت الإمام الأعظم أو نائبه لأحد شيئين : إما لمنع حق وجب عليها من زكاة أو حكم عليها من أحكام الشريعة المتعلقة بالله أو بآدمي ، أو الدخول تحت طاعته بالقول والمباشرة باليد الحاضر ، والإشهاد على الدخول لمن غاب عنه إن كان كل منهما من أهل الحل والعقد ، واعتقاد ذلك ممن لا يعباؤه ولا يعرف فإنه حق لخبر « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » . أو خالفته لخلعه ، أي إرادتها خلعه أي عزله لحرمة ذلك عليهم وإن جار)^(١) .

ونستطيع أن نستخلص من تعريف البغاة الشروط التي يجب توفرها في المجرم وعمله ليعتبر مجرماً سياسياً أو باغياً .

أولاً : الغرض من الجريمة : يشترط أن يكون الغرض من الجريمة إما عزل رئيس الدولة أو الهيئة التنفيذية ، أو الامتناع عن الطاعة ، فإذا توفر الغرض على هذا الوجه مع توفر الشروط الأخرى كانت الجريمة سياسية والمجرم سياسياً ، أما إذا كان الغرض من الجريمة إحداث أي تغيير يتنافى مع نصوص الشريعة ، كإدخال نظام غير إسلامي يخالف النظام ، أو تمكين دولة أجنبية من التسلط على البلاد ، أو إضعاف قوة الدولة أمام غيرها من الدول ، إذا كان الغرض من الجريمة شيئاً من هذا أو مثله ، فإن الجريمة لا تكون بغياً أي سياسية ، وإنما هي إفساد في الأرض ، ومحاربة الله ورسوله ، وهي جريمة عادية قررت لها الشريعة عقوبة قاسية^(٢) .

ثانياً : الشوكة : يفترض في الباغي أو المجرم السياسي أن يكون ذا شوكة وقوة لا بنفسه بل بغيره ممن هم على رأيه ، فإن لم يكن من أهل الشوكة على هذا الوصف ، فلا يعتبر مجرماً سياسياً ولو كان متأولاً .

وخلاصة القول : إن الدعوة إلى التدويل بغى وإجرام سياسي يستحق الدعاة إليه المقاتلة ودرء مفاسدهم وخطرهم حتى لا تنتشر جرائمهم ويشيع فسادهم في الأرض .

(١) شرح الزرقاني على مختصر خليل ٦٠/٨ .

(٢) نهاية المحتاج ٣٨٥٩٧ ، راجع : التشريع الجنائي الإسلامي ١٠٣/١ وما بعدها عبد القادر عودة .

ثالثا : إن فكرة التدويل بدعة حديثة غريبة عن الإسلام والمسلمين ، فهي حديثة حتى بالنسبة للقوانين الدولية حتى لا يزيد عمرها عن القرنين من الزمان . وقد ثبت عدم جدواها من الناحية المالية ، فقد تم تدويل بعض أراضي الكونغو سنة ١٨٨٥ م ، وألبانيا سنة ١٩١٢ م ، ثم طنجة المغربية ، وتريستا في إيطاليا سنة ١٩٤٧ م .

حتى قال فقهاء القانون الدولي : إن الواقعات التي طبق فيها هذا النظام أعطت الدليل والبرهان على أن المشاكل السياسية لا تحل بالتدويل سواء بسبب عجز السلطات التي تتولى جانبا من السيادة ، أو بالسماح بوجود فجوات في بناء السيادة نفسها . بحيث يصبح اتخاذ القرار أمرا مستحيلا . ومما يؤكد عدم جدوى فكرة التدويل فشلها في شأن القدس حيث اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة توصية في ٢٩/١١/١٩٤٧ م كان من بنودها (تدويل منطقة القدس) . وكان تعقيب فقهاء القانون الدولي على هذه التوصية بأنها لا تستند إلى أساس قانوني ، وبالرغم من هذا لم تنفذ^(١) .

وخلاصة القول : أن فكرة التدويل التي يروج لها البعض فكرة فاسدة ، ستؤدي إلى فتن وشور وتصيب أمن الحرمين ، وستمس المصالح الرئيسية للمجتمع الإسلامي كله ، وإنها لذلك مرفوضة شكلا وموضوعا ، كما أنها محرمة شرعا ، كما أنه ليس لهذا التنادي بتدويل الحرمين الشريفين - على ضالة المنادين به - من سبب ولا سند في الإسلام ، وقد نقلت كتب الصحاح أن رسول الله ﷺ قد أقر الوضع القائم ، وأمر باستمراره ، ونهى نهيا باتا عن تغييره كما جاء في الأحاديث الصريحة الصحيحة « خذوها يا بني شعبة خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم » وفي رواية « خذوها تالدة إني لم أدفعها لكم ولكن الله دفعها إليكم ،

(١) يراجع في التدويل ومعناه وخصائصه : القانون الدولي العام في وقت السلم ، د . حامد سلطان ص ١٠٢٥ . وفي الحقوق الدولية العامة ص ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، د . عز الدين فودة . وفي قضية القدس في محيط العلاقات الدولية ص ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٠ ، سالم يوسف . وانظر بحث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذي قدمه لمؤتمر الدعوة بالأزهر .

ولا ينزعها منكم إلا ظالم .

وهذه النصوص الشرعية الثابتة لايسوغ لأحد مخالفتها ، بل ولا مجرد الهم بذلك ، فضلا عن المناداة بها ؛ لأن في ذلك الخروج عن المبادئ الإيمانية والمقررات الشرعية ، والمسلمات الفقهية ، والقواعد الدولية ، فضلا على أن هذه الدعوة تعد دعوة خبيثة وفكرة شيطانية مأكرة خطط لها اليهود وتلاميذهم من الباطنيين لهدم مقدسات الإسلام والمسلمين ، والتمكين لأعداء الدين من أن يعيشوا فسادا في أطهر البقاع الإسلامية ، وهذا يعد خروجا عن الإسلام بالكلية ويعد الذين يدعون إليه من المجرمين السياسيين ، والبغاة المعتدين ، ومن المفسدين في الأرض الذين يستحقون أقسى أنواع العقاب . ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ﴾ المائدة/ ٣٣ .

فهم يستحقون هذه العقوبات المقررة في هذه الآية ، كما يستحقون أن تطبق في شأنهم أيضا عقوبة « البغى » التى تعاقب الشريعة عليها بالقتل لقوله تعالى : ﴿ فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ . وقوله ﷺ : « من أعطى إماما صفقة يده وثمرة فؤاده فليعطه ما استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنقه الآخر » .

وقوله عليه السلام : « ستكون هنات وهنات ، ألا ومن خرج على أمتى وهم جميع فاضربوا بالسيف عنقه كائنا من كان » .

وفى ذلك يقول الشهيد عبد القادر عودة^(١) : (وجريمة البغى موجهة إلى نظام الحكم والقائمين بأمره ، وقد تشددت فيها الشريعة ؛ لأن التساهل فيها يؤدى إلى الفتن والاضطرابات وعدم الاستقرار ، وهذا بدوره يؤدى إلى تأخر الجماعة وانحلالها ، ولا شك أن عقوبة القتل أقدر العقوبات على صرف الناس عن هذه الجريمة) . وكل الدول اليوم تعاقب على البغى بالإعدام ، وهو نفس العقوبة المقررة للجريمة فى الشريعة .

(١) التشريع الجنائى ١/ ٦٦٣ .

مسئولية الدولة الراعية عن حفظ الأمن وإقامة الحدود على المفسدين في الأرض

وقياما من خدام الحرمين الشريفين وحكومته الرشيدة بالمسئولية الكاملة في الحفاظ على المقدسات الإسلامية والأمن والاستقرار وسلامة وراحة الحجيج ، فقد شرعت هذه الحكومة الإسلامية بتطبيق أحكام الشريعة الغراء وتنفيذ الحدود والعقوبات المقررة شرعا كما أمر الله تعالى ، فأصبحت المملكة بحيرة أمن وراحة سلام .

فقد دأبت المملكة العربية السعودية على تطبيق الحدود الشرعية لتحقيق الأمن والاستقرار للموطن والمقيم والوافد على قدم المساواة . فاطمأن الناس على أرواحهم ومائهم وأموالهم وأعراضهم أينما ساروا على ثرى هذه الأرض المترامية الأطراف . والمملكة العربية السعودية تدرك أن تطبيق شرع الله هو الذى يحقق لها الأمن والسلامة والقوة والمنعة ، فهي تركز في ذلك على العقيدة الإسلامية - كتاب الله وسنة رسوله - الذى يتسع لحل جميع مشكلات الإنسانية .

ومن هنا فقد قرر مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية تطبيق حد الحراة على كل من يرتكب جرائم تخل بالأمن الخاص أو العام بقصد الإرهاب والإفساد في الأرض ، واستندوا في قرارهم هذا إلى الأدلة الشرعية الصريحة الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله .

وهذا القرار يتناسب مع مسؤولية المملكة في حفظ أمن وسلامة الحجاج وقديسة الحرمين الشريفين ، فإن كل من يقوم بأعمال التخريب والقتل منتهكا حرمة الله فيزهق الأرواح ويعتدى على الأموال ويروع الناس يستوجب تطبيق حد الحراة عليه .

فإن من يعتدى على أمن الجماعة فيفسد في الأرض ويفجر الألغام في

الممتلكات العامة والخاصة ويشيع الرعب في المجتمع وينشر وسائل الدمار الأخلاقي يستوجب على ولي الأمر إيقاع العقوبات الرادعة بفاعليها أو مرتكبيها . فليس أمنع ولا أردع للجريمة من العقوبة التي شرعها الله عز وجل في آية الحاربة ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾ الآية .

وليس أضر على الأمة ولا أشد فتكا بأمنها وأخلاقيها من أن تعطل هذه العقوبة ، وهي ترى هذه الجرائم تكاد تمشي على الأرض بأرجل وتبطش بأيدي وترى بأعين وتسمع بأذان .

وهذا القرار (تنفيذ حد الحاربة) يعد الأصل الذي تستند إليه السلطة التنفيذية في المملكة العربية السعودية في إيقاع العقوبة على الذين يعتزمون مثل تلك الأعمال التخريبية المفسدة . ويعد هذا القرار أيضا رادعا وزاجرا ومائعا شديدا لمن تحدثهم نفوسهم باقتراف مثل هذه الأعمال ، وهذا من حكمة التشريع الإسلامي وسموه وعظمتهم .

فمن حكمة التشريع أن العقوبات روادع وزواجر وجوابر ، فهذا القرار الحكيم جاء ليدعم مبدأ أمن الوطن والمواطن ، فهو رادع لكل من تسول له نفسه أن يسعى بالإفساد في الأرض ، ويحاول المساس بحرمة المقدسات الزمانية والمكانية والإنسانية ، فأى إفساد في الأرض أعظم من الاعتداء على حرمة الحرمين الشريفين في الشهر الحرام والبلد الحرام ؟ وأى اعتداء وإفساد أكبر من الاعتداء على المال المصون والدم المصون دم الطائفين والعاكفين والركع السجود في حرم الله ، في شهر الله ؟ .

إن الإسلام منهج واقعي جدى حركى متوازن لا يقوم على مثاليات خيالية جامدة في قوالب نظرية . إنه يواجه الحياة بمنهج رباني يكافئ واقعيتها ، فالإسلام أعظم الأديان رعاية للحرمت وصيانة للمقدسات ولكنه في الوقت نفسه لا يسمح أن تتخذ الحرمت شعارات لمن ينتهكون الحرمت ويؤذون الطيبين ، ويقتلون المصلين والطائفين والعاكفين والركع السجود ، ويفتنون المؤمنين والمؤمنات ، ويعيشون في الأرض فسادا باسم الدين !

فهذا كتاب الله يصرح في حسم قاطع أن لا حرمة لمن يتتس بالحرمت

ليضرب من ورائها الحرمات ، فيقرر حرمة الأشهر الحرم ، ويقرر أن القتال في الشهر الحرام كبيرة ، فيقول عز من قائل : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ﴾ لمن كفر بحرمة المسجد الحرام وانتهك قدسيته ، فقال سبحانه ردا على السائلين : ﴿ وصدد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ﴾ .

ففى بيت الله الحرمات كلها مصونة ، حرمة العقيدة والعرض والدم والمال والعهد والميثاق والهدنة والسلام : ﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ﴾ . فتعظيم حرمات الله يقتضى عدم المساس بها أو الاقتراب منها أو والهّم بالاعتداء عليها .

ومن هنا فقد كان قرار تطبيق حد الحاربة على المخربين والمفسدين قرارا حكيما وهو مستمد من لب أحكام الشريعة الإسلامية السمحة .

وقد تناول الفقهاء حد الحاربة بشيء من التفصيل يدل على سعة فهمهم وغزارة علمهم . وقد توسعوا في مفهوم الحاربة ليشمل كل أنواع الفساد فى الأرض .

فالمحارب عند المالكية كل من يخيف السبيل ويسعى فى الأرض فسادا سواء أكان واحدا أم جمعا ، وسواء أكان فعلة فى المدن أم فى الصحراء بشرط انعدام الغوث . (انظر الشرح الكبير للدردير ، وحاشية الدسوقي ٣٤٨/٤) . واعتبر المالكية مخادع الصبيان ومسقى المخدرات محاربا وإن كان فعلة فى المدن لأنه ساع فى الأرض فسادا كما نص الخليل فى مختصره (الإكليل فى شرح مختصر للشيخ الأمير ص ٤٤٨) .

ونص ابن عرفة كذلك على هذه الحالات التى تتحقق جريمة المحاربين بها ، وإن توفرت واحدة منها لأن العلة التى تتحقق جريمة المحاربين بها هى السعى فى الأرض بالفساد (انظر شرح الخرشي ٣٤٥/٥) .

أما الشافعية : فقد قال الماوردى : (كل طائفة من أجل الفساد اجتمعت على شهر السلاح وقطع الطريق وأخذ الأموال وقتل النفوس ومنع السابلة) (الأحكام السلطانية ص ٦٢) .

وتوسع الأحناف أيضا في مفهوم الحراية فعدوا جرائم السعى في الأرض فسادا من مفاهيم الحراية وإن حدثت في غير الطريق العام كما لو اعتاد مجرم خنق الصغار أو الكبار فإن جريمته موجبة لحد الحراية إذا خنق أكثر من واحد في المدن ، كما ذكر ملاخسرو والمرغنانى وابن عابدين وابن نجيم . (انظر درر الحكام في شرح غرر الأحكام ١٠٩/٢ ، والهداية ١٣٤/٢ ، وحاشية رد المختار ١١٨/٤ ، والبحر الرائق ٧٥/٥) .

وقد توسع الحنابلة أيضا في مفهوم الحراية ، فلم يشترط صاحب « كشف القناع » الحنبلى مكانا للحراية ، بل اتسع مفهوم الحراية لتشمل الصحراء والمدن والبحر فقال : (إنها التعرض للناس بسلاح في صحراء أو بنيان أو بحر لغصب أموالهم قهرا مجاهرة أو يقتلونهم لأخذ أموالهم) (انظر كشف القناع ٨٩/٤) .

وقال « النجار » إن جريمة الحراية تتحقق إذا اقترفت في البحار ؛ لأن الضرر متحقق سواء أكانت الحراية في الصحراء أو في البحار والأنهار (منتهى الإرادات ٤٩٠/٢ ، والروض الندى ص ٤٧٥) .

ونخلص إلى القول : لقد توسع الفقهاء رحمهم الله في الحالات التى تتحقق بها جريمة الحراية إذ جعلوا كل من يسعى في الأرض فسادا محاربا ، على أية صورة من صور الفساد والإفساد وهو يوافق قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جُزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ ... ﴾ الآية .

فالقاتل باستعمال المخدرات ، والمروج للمخدرات يعد محاربا ، والمتاجر بالمخدرات بأنواعها يعد مفسدا في الأرض ومن المحاربين لله ورسوله ، والذي يقطع الطريق ويعتدى على الأعراض يعد محاربا ، والذي يختطف السفن والطائرات يعد محاربا ومجرما يسعى في الأرض فسادا .

فالحراية باعتبارها جريمة ذات خطورة خاصة في الفقه الإسلامى - وهى محاربة الله ورسوله والسعى بالفساد في الأرض - يستوى وقوعها في المصر والصحراء ليلا أو نهارا ، ويستوى أن يكون المحارب مسلحا بأى أداة للاعتداء (حتى ولو كانت حجارة) أو غير مسلح . وسواء أكان الغوث ممكنا أو متعذرا (المحلى ٣٠٨/١١) .

ويستوى أن يكون المحارب مسلما أو ذميا مادام قطع الطريق وأخذ المال مغالبة من المجنى عليه . وسواء أخذ المال أو اعتدى على العرض أو حقق هدفا سياسيا

أو لم يحقق أى هدف فهو محارب مادام قد قطع الطريق وأخاف السبيل ، مهما كان هذا الطريق بحريا أو جويا أو بريا . حتى ولو قطع طريق المواصلات السلوكية واللاسلكية ، فهو قاطع طريق يستحق عقوبة المحارب ، لإشاعة الفساد فى الأرض . فمرتكب هذه الأعمال من وجهة نظر الشريعة الإسلامية مجرم يسعى فى الأرض فسادا ، وهو محارب يستحق عقوبة المحارب التى نصت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

وعليه فإن على المسئولين فى المملكة العربية السعودية عدم التهاون فى تطبيق هذا الحد الرادع على كل من يخالف تعاليم الدين بقصد الإفساد فى الأرض والاعتداء على الأنفس والممتلكات الخاصة والعامة .

وعلى هذا فنوصى بتأييد المملكة فى هذا القرار الحكيم وأن تسلك الأمة الإسلامية فى جميع أقطارها السبيل الذى سلكته المملكة العربية السعودية فى تطبيق أحكام الشريعة الغراء ، لا سيما إذا علمنا علم اليقين أن المملكة بتطبيقها الحدود وإنفاذها العقوبات الشرعية المقدرة قد استأصلت شأفة الجريمة والجرمين إلا ما ندر . ذلك أن العقوبات الشرعية قد وضعت على أسس نفسية مبنية على دوافع الجريمة ، وضعها خالق البشر الذى يعلم السر وأخفى ﴿ أفلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ .

وبعد : فقد رسم القائمون على أمر الحرمين الشريفين سياستهم فى رعاية الحجيج والحفاظ على قدسية الحرمين على أساس مبادئ الدين الإسلامى الحنيف ، وذلك بالتيسير الكامل على ضيوف الرحمن ، وبذل الجهود المضنية للقيام على راحتهم وأمنهم وسلامتهم ، والقضاء على أية محاولة للعبث أو الشغب أو الفساد إلى جوار الحرمين الشريفين ، حتى تتحقق الغاية المرجوة من الحج ، وحتى يتمكن الحجاج والعمار والزوار من أداء الشعائر فى سهولة ويسر وراحة وأمان واطمئنان دون خوف أو رعب ، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

وقد شهد للمملكة وولاة الأمر فيها الجميع ، ونطقت الأفعال وشهدت قبل الأقوال ، فليس من رأى كمن سمع ، وإن شذت شذمة قليلة لا وزن لها ولا قيمة فأنكرت جهود المملكة ، وتجاوزت خطيئة الجحود والنكران إلى الفساد والطغيان .

نعم ، الإفساد فى هذه الأماكن المقدسة بالفتن ، والمظاهرات ، والخروج على النظام العام ، والتحرشات وسفك الدماء وتهريب المتفجرات والمخدرات بكميات كبيرة تكفى لإزهاق أرواح آلاف المؤمنين وتروع الآمنين ، وتقطع الطريق على الحجاج والمعتمرين وتصعد عن سبيل الله ، وتصرف الناس عن الحج إلى بيت الله .

يقول الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر سابقا وعضو مجمع البحوث الإسلامية واللغة العربية : (لقد حاولت بعض الدول أو بعض الأنظمة أن توجه فريقا من الناس إلى الخروج من آداب الحج بإثارة شغب أو إشعال فتنة أو المناداة بشعارات سياسية أو نشر آراء تدعو إلى الخلاف والشقاق وتبعث العداوة والبغضاء وتؤدى إلى الفرقة والخصام . فهذا هو الظلم والطغيان والفسوق والعصيان فى الشهر الحرام وفى البلد الحرام والمسجد الحرام . وقد قال تعالى : ﴿ ومن یرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ... ﴾ .

نعم ، لقد أنكرت إيران الخدمات التى تقدمها المملكة العربية السعودية للحرمين الشريفين والحجاج والعمار وجادلت فى ذلك مجادلة باطلة تنقصها حقائق التاريخ ، ووقائع الحاضر ، وتنسخها شهادة أهل القبلة ممن حج ، أو اعتمر ، أو زار ، أو بلغه ذلك من عدول .

أحداث ووقائع تاريخية

على الرغم من قداسة الحرمين الشريفين وحرمتها بنص الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، على الرغم من كل أنواع التهديد والإنذار والوعيد من الله تعالى لكل من تُسول له نفسه بإرادة أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة بسوء ، حتى ولو كان مجرد (اللهم) كما جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴾ وقوله ﷺ : « من أراد أهلها بسوء ... » .

إن مجرد الإرادة ، أو مجرد التفكير بالإساءة إلى حرمة الحرمين أوجب على صاحبه لعنة الله ورسوله وملائكته والناس أجمعين . كما مر معنا .

إن مجرد التفكير في إلحاق الأذى بمكة المكرمة - مسجدتها ، أو كعبتها ، حجرها الأسود ، شجرها ... الخ يخرج المفكر من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر .

فماذا يمكن أن يقال فيمن يخططون لتدمير المسجدين العظيمين ؟ وماذا يمكن أن يقال في الجرأة على حرمة الحرمين وإلحاق الأذى بعباد الله الطائفين والعاكفين والركع السجود .

يحدثنا التاريخ أن صفحاته قد ملئت بأبشع الحوادث من تكرار فئة من الناس دأبت على محاولة تدمير الحرمين ، وترويع الآمنين وتقتيل المسلمين . وقد تكررت هذه الحوادث والوقائع عبر التاريخ من الفئة نفسها وبنفس الأسلوب وفي نفس المكان ونفس الزمان ونفس الهدف .

فمن هي تلك الفئة الظالمة (إنها الحركة الباطنية الشيعية) فماذا يقول التاريخ : لقد شهد التاريخ أن الشيعة ما فتئوا يكررون محاولاتهم للاستيلاء على مكة والمدينة ، في جرأة عجيبة . وقد ألحقوا بالمدينتين المقدستين الخراب والدمار ، وأهانوا المسلمين وحقوقهم وقتلواهم في حرم الله الآمن في أكثر من مرة .

وقد تعاقبت ثورات الشيعة منذ أقدم التاريخ . وسأذكر طرفا من هذه الثورات التي استهدفت الحرمين الشريفين .

١ - ففى زمن أبى جعفر المنصور ظهر ما يعرف (بالنفس الزكية فى مكة) واختفى بها . وترأس هذه الفكرة (الثورة) على العباسيين رجل اسمه محمد بن عبد الله بن الحسين بن على بن أبى طالب .

· ولم يجد هذا العلوى فى تلك الأثناء من القوة ما يجعله يعلن ثورته على العباسيين فاكتمى بعدم البيعة عن نفسه ثم اختفى .

ورأى الخليفة المنصور ألا يتهاون فى شأن النفس الزكية وأخيه إبراهيم خصوصا وقد وافته أنباء استئناف نشاطهما . فانتدب لولاية المدينة رباحا بن عثمان وأمره أن لا يرحم علويا من بنى هاشم .

وتعقب النفس الزكية وأخاه فلم يجد له أثرا وكان الأول لا يزال مختفيا فى المدينة . أما إبراهيم فقد فر إلى البصرة ليدعو منها إلى أخيه . فأعلن النفس الزكية الثورة من المدينة ثم سار بجيشه إلى مكة فافتتحها فى عام ١٤٥ وامتدت الثورة إلى اليمن فاستخلصها من حكم العباسيين كما اتصل خبرها بالبصرة فأسرع إبراهيم بحركته فيها وامتلكها .

ونشط المنصور لقمع الفتنة فسير جيشا عظيما إلى بلاد الحجاز فهاجم المدينة واحتلها وقتل محمدا (النفس الزكية) فى ١٤ رمضان سنة ١٤٥ ثم مضى إلى مكة ففترق العلويون ييغون النجاة وتركوها .

وسير المنصور جيشا إلى البصرة فقضى على حركة إبراهيم ثم عاد ففتبع ذيولها فى خراسان واليمن والجزيرة العربية وبلاد المغرب ومصر حتى قضى على كل نامة تدل على حياة العلويين فى أمصار الإسلام^(١) .

فهذه هى ثورة العلويين الأولى . وقد بدأت من مكة والمدينة وانتشرت فى سائر الأقطار والأمصار الإسلامية .

(١) الطبرى ٢٥٩/٩ ، وانظر البداية والنهاية ٨٤/١٠ .

ثورة العلويين الثانية :

لم تخمد جذوة العلويين بالرغم من نشاط العباسيين فقد أهل عام ١٦٩ هـ بحوادث جديدة استأنف فيها العلويون حركتهم في المدينة في مثل العنف الذي مضى أو أشد بزعامة رئيسهم الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي . واستولى الحسين في المدينة على دار الإمارة بعد أن طرد صاحبها وهجم أنصاره على السجون فكسروها وأخرجوا المجرمين لينضموا إلى الثورة . ثم قصدوا مكة فلقبهم جيش العباسيين بفخ - هو وادي (الشهداء) في طريق مكة ويبعد عنها يومها بستة أميال - وفي هذا المكان تقرر مصير العلويين حيث قتل الحسين بن علي ومعه أكثر من مائة من أصحابه في نهاية سنة ١٦٩ هـ .

وهكذا قضى العباسيون على ثورة العلويين الثانية . إلا أنه نجى منهم رجالان أحدهما ، يحيى بن عبد الله . والثاني ، أخوه إدريس بن عبد الله . حيث مضى يحيى إلى بلاد (الديلم) حيث حشد له فيها أنصارا دعوا إلى خلافته وأنشأ منهم قوة كلفت الرشيد خمسين ألف محارب للقضاء عليها . وأما إدريس فقد أسس دولة الأدارسة في المغرب .

الثورة العلوية الثالثة: بقيادة الأفطس (الحسين بن الحسن بن علي سنة ١٩٩ هـ):

ذكر المؤرخون أن الحسين سار بجيشه إلى مكة حتى وصل إلى (النوارية) - مكان بين التنعيم ووادي فاطمة - فلما علم وإلى العباسيين بقدومه أخلى مكة حتى لا يستحل فيها العلويون القتال في الشهر الحرام . فدخلها الحسين الأفطس مساء يوم التروية ثم ما لبث أن دفع إلى عرفة فوقف بها ليلا وكان الحجاج قد وقفوا بهانهارا من غير إمام ولا خطيب ثم مضى الأفطس إلى المزدلفة ثم منى ثم مكة فأقام بها ثم مضى إلى جدة فاحتلها وسطا على أموال الأهلين فيها^(١) .

(١) أخبار مكة ، ١٤٣ للسباعي .

ولما أهل المحرم سنة ٢٠٠ هـ عمد إلى خزانة الكعبة فجردها مما فيها من الأموال^(١) وقسمها في جيشه .

ولقد عاث في الأرض فسادا فنفر الناس من قسوته وغلظته . ولذا فقد أرغم أحد العلويين على قبول ولاية مكة وهو (محمد بن جعفر الصادق) حتى لا يثور الناس عليه فقبل الصادق البيعة من الناس مكرها لعلمه بسخط الناس وعدم رضاهم عن العلويين . وكانت تلك البيعة سنة ٢٠٠ هـ . فظل شهورا في الولاية ليس له من الأمر شيئا إنما ذلك كله للأفطس ، وسار هذا الأفطس بالناس أقبح سيرة . ولما زاد طغيانهم واستبدادهم سير إليهم المأمون جيشا عظيما قاتلهم قتالا شديدا عند بئر ميمون ثم أجلاهم عن مكة في جمادى الآخرة سنة ٢٠٠ هـ^(٢) . وفر إلى مكة العلوي إلى منازل جهينة شمالي ينبع فجمع منها جيشا أراد أن يهاجم به المدينة فلم يظفر فقدم إلى مكة يطلب الأمان .

ويقول المؤرخون في استغراب : كيف يخرج العلويون على المأمون وقد عرفوه من أميل الناس إليهم ، وقد تودد إليهم وزوج عليا بن موسى ابنته أم حبيب ، وجد في توليه العهد بعده كما خطب له على المنابر وضرب باسمه الدراهم وأمر في سنة ٢٠١ هـ بطرح السواد ولبس الخضر شعار العلويين^(٣) وبذل لهم العطايا والأموال واستقدم بعض كبرائهم من مكة والمدينة وأكرمهم ، وكان يفضل أن يتنازل عن الخلافة لهم ومع هذا فقد أبوا أن يدينوا له بالطاعة أو ينسوا في سبيله حقوقهم التي يعتقدونها في الخلافة^(٤) .

نعم : إذا عرف السبب بطل العجب . فالشيعة جميعا يعتقدون أنهم الأولى بالخلافة وغيرهم لا يستحق ذلك مهما كان بل هو مغتصب يجب قتله وأخذ الحق منه .

(١) البداية والنهاية ٢٤٠/١٠ .

(٢) بئر ميمون في الطريق إلى منى .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٩/١٠ .

(٤) أخبار مكة ، ١٤٤ .

الثورة الرابعة : سنة ٢٠٢ هـ :

ما لبث أن هاجم مكة سنة ٢٠٢ هـ من اليمن إبراهيم بن موسى الكاظم وأخوه على الرضا الذى ولاه المأمون ولاية العهد فاحتل مكة وقتل عاملها وقتل خلقا كثيرا .

وهكذا ظلت مكة مسرحاً وهدفا للثورات العلوية المتلاحقة فما كاد النفس الزكية يفر من مكة سنة ١٣٢ هـ حتى استأنف ظهوره فى المدينة سنة ١٤٥ هـ معلنا ثورته باسم العلويين . ثم جاءت سنة ١٦٩ هـ بثورة علوية ثانية ثم أعقبها الثالثة فى سنة ١٩٩ هـ ثم الرابعة سنة ٢٠٢ هـ على الخليفة المأمون أكثر الناس إحسانا إليهم (وفى ذلك عبرة لأولى الأبصار) ولكن ما أكثر العبر وأقل الاعتبار ؟ وهكذا ظلت مكة والمدينة عرضة للفتن والثورات ، والقلق وعدم الاستقرار ، عانت منها المدينتان الكثير الكثير .

الثورة الخامسة :

كانت بقيادة إسماعيل بن يوسف ويرتفع نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب وقد استولى على مكة سنة ٢٥١ هـ واغتصب ما فى خزائن الكعبة من الأموال . وأقام بها خمسين يوما ثم زحف إلى المدينة فهرب عاملها وفعل بها الأفاعيل ثم رجع إلى مكة واستأنف حصارها حتى مات بعض أهلها جوعا وعطشا وبلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم كما بلغ سعر الرطل من اللحم أربعة دراهم وشربة الماء ثلاثة دراهم ثم مضى إلى جدة فاحتلها واغتصب أموال تجارها وأصحاب المراكب فيها .

ثم وافى الموقف والناس بعرفة فأفسد فيها وقتل من الحجاج نحو ألف ومائة ونهب الناس فهرب الحجاج ولم يقف فى عرفة أحد سواه وجيشه . ثم رجع إلى جدة مرة أخرى وعاث فيها فسادا . وقد مات إسماعيل سنة ٢٥٢ هـ بالجدري^(١) .

(١) أخبار مكة ، ١٦٥ .

الثورة السادسة : ثورة الزنج :

استطاع على بن محمد بن أحمد أن يحتل كثيرا من بلاد العباسيين وأن يعيث فيها فسادا وقد اتصل بمكة فاحتلها وولى أمرها محمد بن عيسى بن الخزومي وهي ثورة سادسة شهدتها مكة للعلويين . وقد قاست مكة في هذه الفتنة ضيقا شديدا فبلغت قيمة الأوقتين من الخبز درهما .

وقد امتدت هذه الثورة إلى بقية الأمصار الإسلامية في نواحي العراق والبصرة والبحرين والأحساء حيث عاثوا فيها فسادا من سنة ٢٥٥ هـ إلى سنة ٢٧٠ هـ^(١) .

الثورة السابعة :

استغل محمد بن سليمان من أبناء العلويين فرصة انشغال العباسيين بالفتن فثار بمكة واستقل بإمارتها في عام ٣٠١ هـ وخطب لنفسه في موسم الحج . واستمرت الثورات الشيعية وانتشرت في معظم البلاد الإسلامية فهناك : ثورات للزيدية وأخرى للموسوية وأخرى للعلوية والإسماعيلية والإمامية الاثني عشرية . وهناك فتن القرامطة : قرامطة العراق ، والشام ، والبحرين ، والقطيف ، وقرامطة اليمن وهناك الكتاميون في المغرب والفاطميون في مصر .

وقد استطاعوا أن يستقلوا عن دولة الخلافة الإسلامية وأن يقيموا لأنفسهم دويلات مستقلة . وأنشأ بعضهم دولا صار لها صيت كبير كالفاطمية في مصر . ويقول المؤرخون : إن هذه الثورات كانت تنزيا بالتشيع لآل البيت وتخفي أغراضها الحقيقية في الدعوة إلى الفارسية المجوسية من هؤلاء مثلا (ميمون بن القداح) الذي كان إسماعيليا باطنيا شعوبيا يدعو إلى إعادة النفوذ الفارسي وقد مهد بذلك لابنه عبد الله بن ميمون ، وقد أسسوا لهم مراكز في الشام والعراق عرفوا بقرامطة الشام والعراق .

وانتقلت دعوة القرامطة إلى البحرين والقطيف على يد الحسين بن بهرام فاستغل أمرها

(١) الآداب السلطانية ص ٢٧٧ ، وابن الأثير ٧/٧٥ ، وشفاء الغرام ٢/١٩٠ .

وقويت شوكتها ، واشتهر من قوادها أبو طاهر القرمطى الذى عرف بالطغيان والكفر وانتهاك حرمة الله ونهب قوافل الحجاج^(١) .

وقد سار أبو طاهر بجيشه إلى مكة لانتزاعها من العباسيين فانتهى إليها في ٧ ذى الحجة سنة ٣١٧ هـ فخرج إليه أمير مكة يومها ابن محارب في جماعة من الأشراف يسألونه أموالهم فلم يشفعهم فقاتلوه فهزمهم ووضع سيفه في الطائفين والمصلين والمتفرقين في مكة وشعابها وصاح به الناس : أقتل جيران الله ؟ ! وظل كذلك حتى قتل ما يربو على ثلاثين ألفا دفن كثيرا منهم في بئر زمزم كما دفن بعضهم في المسجد الحرام بغير غسل ولا تكفين ولا صلاة ، ونهب جيشه أموال الحجاج وأهل مكة^(٢) .

قال صاحب درر الفوائد المنظمة : (وقتل القرمطى في المسجد الحرام ألفا وسبعمائة وقتل ثلاثة عشر ألفا من الرجال والنساء وهم يتعلقون بالكعبة ، وردم بهم زمزم ودفن بعضهم في المسجد) .

وقد قتل العلماء والفقهاء والقضاة وهم معلقون بأستار الكعبة ثم نهب القرامطة أموال العلماء والفقهاء ولم يبقوا لأهل مكة شيئا حتى أصبح أهل مكة يستعطون الناس^(٣) .

وركض أبو طاهر وهو سكران شاهرا سيفه راكبا فرسه ودخل فطاف فبالت فرسه وراثت وصعد إلى باب الكعبة وهو يقول :
أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا .
وقد أقام بمكة أحد عشر يوما .

وفي ١٤ ذى الحجة قلع الحجر الأسود من مكانه وذهب به إلى

(١) الخطط ٢٥٠/١ للمقرئى .

(٢) شفاء الغرام للناس ٢١٨/٢ .

(٣) أخبار مكة ١٧١/١ . وكان ممن قتل بمكة أميرها ، والحافظ الجارودى أخذته السيوف وهو متعلق بباب الكعبة .

كما أخذ القرامطة معهم أكثر من سبعمائة من الفتيات الأبقار زيادة في النكاية والأذى وإلحاق العار .

بلاده هجر^(١) وبقي موضعه خاليا يضع الناس فيه أيديهم للتبرك نحو اثنين وعشرين سنة ثم أعاده القرامطة بعد ذلك قائلين أخذناه بقدر الله ورددناه بمشيئة الله .

وما لبث أبو طاهر أن كتب للخليفة الفاطمي في المغرب بما أحدث في المسجد الحرام . وهذا يدل على صلة القرامطة بشيعة الفاطميين ويفسر لنا علاقتهم المذهبية بهم .

وقد ظل سبيل الحج مقطوعا بتأثير القرامطة حتى كتب أبو علي عمر بن يحيى نقيب العلويين في الكوفة سنة ٣٢٧ هـ إلى طاهر أن يطلق السبيل للحجاج على مكس يأخذه منهم فامثل أبو طاهر وجعل يأخذ المكس من الحجاج في طريقهم إلى مكة . وقد عانت مكة من جراء هذا كثيرا من الضيق واستبد الفقر بأكثر الأهالي فيها سنوات طويلة .

وهنا يحسن أن نتوقف قليلا لنقول إن هذه الثورات الشيعية ظلت مستمرة لتحقيق أهدافها الدينية بكل العنف والضراوة والقسوة ضد المسلمين السنة واستهدفت مكة والمدينة ولم ترع حرمة لهما ولو في مرة واحدة .

وتلاحظ أن الشيعة على اختلاف فرقهم كانوا يتجمعون لمحاربة المسلمين السنة فقد اتفق الشيعة الموسوية والإسماعيلية والاثنا عشرية والقرامطة والكتامية والفاطمية كلهم جميعا في الشرق والغرب على تدمير المسلمين وتدنيس حرمة الحرمين والاستيلاء على مكة والمدينة .

وظل الحال كذلك إلى أن جاء دور الدولة الفاطمية حيث تلقى عبد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين أصول المذهب الشيعي على أساطين من علماء الإسماعيلية . ثم جاء إلى مكة مندوبا من القائمين بأمر الدعوة الشيعية ليدعو له سرا وقد اتصل بعض حجاج المغرب من كتامة في الجزائر على مقربة من قسنطينة فاستحاثهم إلى دعوته ورحل معهم في سنة ٢٨٨ هـ وظل يجمع القلوب حوله في

(١) الاسم القديم للبحرين ويعرف بالأحساء وقد يخصص لمدينة الهفوف .

(كَتَامَة)^(١) .

وفي سنة ٢٩١ هـ هجم عبيد الله على المدن المغربية وأسس دولته في القيروان ونادى بنفسه أميرا للمؤمنين وسميت دولته (الكتامية) ثم سميت (الفاطمية) .
وفي سنة ٣٠١ هـ سير جيشه إلى مصر بقيادة أحد أبنائه فاستولى على الإسكندرية وبعض قرى الوجه البحرى .

وفي سنة ٣٥٨ هـ استأنف المعز الخليفة الفاطمى الثالث الحملة على مصر بقيادة جوهر الصقلى . وأسس جوهر القاهرة وحكم جوهر مصر أربع سنوات حتى سلم مقاليدها إلى المعز على أثر وصوله من المغرب .

وامتدت فتوحات الفاطميين بعد ذلك إلى بلاد الشام وفلسطين ثم الحجاز . وما لبث الفاطميون أن أضافوا إلى الأذان عبارة (حى على خير العمل) وقد ظل القرامطة يعيشون فى الأرض فسادا حول القطيف والبحرين ويقطعون السبل على الحجاج .

وقد استغل أحد العلويين ويدعى (جعفر بن محمد بن الحسين) من أحفاد موسى الجون ، الفرصة فاستقل بحكم مكة فى عام ٣٥٨ هـ ونادى بسقوط الإنخشيذ فى السنة نفسها التى سقطت فيها مصر فى يد الفاطميين وزال سلطان الإنخشيذ عنها كما زال حكم العباسيين من قبل .

ويبدو أن هذا الشيعى (حاكم مكة) شعر بحاجته إلى مهادنة الفاطميين أصحاب الحكم الجديد فى مصر ، ولعله كان أخشى ما يخشاه عدوان القرامطة الذين كانوا لا يزالون يعيشون فى الأرض فسادا حول القطيف والبحرين ويقطعون السبل على الحجاج . فرأى أن يدعو على منبر مكة للخليفة الفاطمى المعز ففعل ابتداء من سنة ٣٥٨ هـ^(٢) وما لبث الشيعة فى مكة إثر اتصا لهم بالفاطميين أن

(١) تاريخ الإسلام السياسى ١٩٨/٣ .

(٢) اتعاظ الحنفاء ، ١٤٥ للمقرئى .

أضافوا إلى الأذان عبارة (حى على خير العمل) وهو تقليد كان يتبعه الفاطميون وبذلك حذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة في مكة وكذلك في المدينة . وقد أشار ابن خلدون إلى أن أشخاصا من بنى الحسين بن علي بن أبي طالب كانوا يتحينون الفرص لاستقلالهم بالمدينة كما فعل الموسويون من بنى الحسن في مكة حتى وافاهم طاهر بن مسلم من أحفاد الحسين واستقل بالمدينة سنة ٣٦٠ هـ على غرار ما فعل السليمانيون في مكة وبذلك دعا للمعز الفاطمي .

وقد ابتدع والى مكة الشيعي (جعفر بن محمد) المكوس على الحجاج ، وأرهب الناس بظلمة وتعسفه .

وتولى أمر مكة بعده ابنه (عيسى بن جعفر) سنة ٣٨٠ هـ وفي عهده أرسل المعز أحد العلويين بجيش عظيم للاستيلاء على مكة لضمان استمرار الدعاء له في الخطبة . وحاصر مكة حصارا شديدا مدة طويلة ، وقد عانت من جراء ذلك عناء شديدا واشتد فيها الغلاء والبلاء .

وتفاديا لسوء العاقبة قبل عيسى باستمرار الدعاء للفاطميين^(١) وبعد هلاك عيسى تولى أمر مكة أخوه (أبو الفتوح) وتطلع أن تفتح المدينة ويضمها إلى حكمه مكة فاحتلها ، وذلك بسبب ما بلغه من منع الدعاء للفاطميين كما يقول (الفاسي) .

ونقل الشيخ عبد الله غازي^(٢) أن الحاكم الفاطمي في مصر طلب من أبي الفتوح أن يحتل المدينة وينقل جثمان النبي ﷺ منها إلى مصر فأطاعه . ولكنه عدل عن نبش قرب النبي ﷺ أخيرا لأسباب خاصة .

ولم يكتف الحاكم الفاطمي بذلك بل أرسل لأبي الفتوح سجلا بأسماء بعض الصحابة كي يأمر خطيب الحرم بانتفاصهم على المنبر . فتداعى الحجاج والعرب حوالى مكة من هذيل وغيرهم واجتمعوا بالمسجد يريدون كسر المنبر على

(١) ابن خلدون ١٠١/٤ .

(٢) إفادة الأنام للشيخ عبد الله غازي ، مخطوط .

صاحبه . وكان يوما عظيما حافلا .

وفي عهد أبي الفتوح منع الحج في أكثر السنين نتيجة المنازعات والفتن في مكة وقطع الطريق على الحجاج .

وجاء بعد وفاة أبي الفتوح ولده شكر بن أبي الفتوح فحارب المدينة وضمها إلى مكة ، ومنع الحج العراقي في سنوات لسوء صلتة بالعباسيين (السنين) .

ويشير المؤرخ (الفاسي) إلى وقوع الكثير من الحوادث والقتال الشديد في مكة ، ويذكر أن السنين وهم أتباع بغداد ، والشيعة وهم أتباع الفاطميين في مصر اشتبكوا عدة مرات في موسم الحج . وكان كل فريق يحاول استخلاص الخطبة له . وعانت مكة كثيرا من الضيق والغلاء والشدة نتيجة طبيعة الصراع والنزاع الذي جرت به الدعوة على منبر هذا البلد الضعيف بين قوتين عظيمتين^(١) .

ويبدو أن العلوية التي جاهدت طويلا في سبيل انتزاع الخلافة من العباسيين صادفها شيء من النجاح تجلّى في انتصارات الفاطميين (شيعة علي) على معظم البلاد التابعة للعباسيين ، وأنشأوا حكومة مماثلة لهم في اليمن ، وأخرى باسم القرامطة في البحرين ما عدا الحركات الصغيرة التي صادفت بعض الفوز في أنحاء شتى من البلاد الإسلامية كما فعل أبو الفتوح على أثر وفاة أبيه حين ادعى لنفسه الخلافة في الحرمين (مكة والمدينة) . لقد مزقت الفتن والصراعات مكة والمدينة .

ويقول الرحالة ناصر خسرو :

وتركت الفتن أثرها في السكان فقد قاسوا كثيرا من الجوع والقحط . ويذكر ناصر خسرو أنه هاجر في بعض السنوات نحو ٣٥ ألفا من سكان مكة ولم يزد تعداد القاطنين بها في سنة ٤٢٢ هـ عن ألفي نسمة ..) ويقول ناصر خسرو مصورا سوء أحوال مكة وانقطاع الحجيج (وقد بلغنا مكة يوم الأحد السادس من ذي الحجة ونزلنا عند باب الصفا وكان بمكة قحط ، فكانت الأربعة أمان من الخبز

(١) شفاء الغرام لتقي الدين الفاسي ١٩٧/٢ ، والعقد الثمين للفاسي مخطوط ، وأخبار مكة ، ٢٠٥ .

بدينار نيسابورى وقد هاجر منها المجاورون ولم يفد عليها حاد من أى بلد . وقد خرج من الحجاز خلق كثير مما أصابه الجوع والفقر فى البلاد^(١) .

وقد نشر الفاطميون عقائدهم الشيعة فقدسوا إمامهم وأحاطوه بهالة من الجلال والتنزيه والتأليه . فأثر ذلك فى الناس الذين طبعهم الفاطميون على تقديس خلفائهم وأمعنوا فى ذلك حتى عم الغلو فى تقديس كل من ينتسب إلى الشيعة . واستمر هذا الإمعان فى التقديس للحكام حتى جاء الوقت الذى بات الرجل منهم يعتقد أنه يستحق الميزة الشرعية على سائر الخلق .

وعرفت مكة فى هذا العهد أعيادا جديدة تحتفل بها علاوة على ما كانت تحتفل به من الأعياد الدينية ، فعيد المولد النبوى ، وعيد مولد السيدة فاطمة ، ومولد السيدة خديجة والسيدة آمنة ، ومولد على وأمثال ذلك كيوم عاشوراء وآخر أربعاء من صفر . لقد فرضت كل هذه الأعياد الشيعة على مكة ، وما كانت مكة تعرفها من قبل . وقد ظلت هذه العادات جارية إلى أن دخل السعوديون مكة سنة ١٣٤٣ هـ فأبطلوها^(٢) .

وظلت مكة عرضة للصراعات بين السنة والشيعة . وقد قاست مكة فى تضاعيفها من الأهوال والمصائب مالا يوفى حصره . من ذلك مثلا ما حدث سنة ٦٥٢ هـ حين سفكت الدماء بالحجر داخل المسجد الحرام .

وفى عهد الأمير زيد صدر الأمر العثمانى بمنع حاج العجم من الحج والزيارة سنة ١٠٤٢ هـ^(٣) . ذلك أن العجم قد هاجموا بغداد فى سنة ١٠٣٣ هـ وأجلوا العثمانيين عنها ، وقد ظلت فى حيازتهم إلى سنة ١٠٤٢ هـ حيث أجلتهم عنها جيوش السلطان مراد .

وفى سنة ١٠٨٨ هـ أصبح الناس فإذا الكعبة ملطخة بمائشبه العذرة فاتهم

(١) سفر نامه ص ١٠٤ - ١٤٠ ترجمة د/ يحيى الحشاش ص ١١١ وكانت تلك الحجة التى يتكلم عنها سنة ٤٣٩ هـ .

(٢) أخبار مكة ، ٢١٦ .

(٣) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص ٧٥ .

الناس الشيعة . وهكذا اشتدت حمية الأتراك المجاورين والحجاج فقتلوا بعض الشيعة .

وينقل السيد دحلان عن العصامي في تاريخه أنه رأى بعينه ما تلوثت به الكعبة من القاذورات^(١) .

ويبدو أن هذا الإجرام من اعتقادات الشيعة ، أنه لا يتم حجهم إلا إذا لوثوا الكعبة .

وقد تكررت هذه الجريمة مرات ومرات من ذلك ما حدث سنة ١١٤٤ هـ حيث وضع الشيعة نجاسة في الكعبة المعظمة^(٢) .

والسؤال الذى يفرض نفسه : لماذا يحرص الشيعة على مكة والمدينة ويصرون على احتلالهما ، ويستبيحون فى سبيل ذلك حرمتها ؟

الجواب : إن ذلك يرجع إلى عقيدة الشيعة فى الإمامة والخلافة وهى انضمام الحرمين شرط من شروط الخلافة ، وإن نفوذ الخلافة لا تكمل عناصره فى نظر الأمم الإسلامية ما لم تؤيده خطبة الحرمين وتنطق داعية باسمه .

ولهذا حرص الشيعة منذ أقدم التاريخ على الاستيلاء على الحرمين لاستكمال شروط الإمامة والخلافة . ولأسباب أخرى تنبع من أصل عقيدتهم ، والتى من بينها أن الإمامة والخلافة محصورة فيهم ولا تجوز لغيرهم ، وأى إنسان ينازعهم فى ذلك فهو مغتصب يجب قتاله . وهكذا .

هذا بالإضافة إلى منزلة الحرمين فى نفوس المسلمين أجمعين ، فالذى يستولى عليهما يحظى بتأييد إسلامى عالمى ، ومن هنا كثرت اعتداءاتهم ومحاولاتهم للاستيلاء على الحرمين فى موسم الحج - كما رأينا - .

وقد ظلت هذه المحاولات مستمرة طوال التاريخ حتى لا تكاد تنقطع ، فلا تهدأ إلا إذا استولوا على الحرمين ، أو قهرهم المسلمون وأخرجوهم منهما ، ولم تهدأ

(١) خلاصة الكلام ، ٩٧ . والعصامى ٥٢٩/٤ المطبعة السلفية بمصر . وفيه تفصيل عمن قتل يومئذ .

(٢) خلاصة الكلام ، ١٨٤ زينى دحلان .

الأحوال ويستتب أمن الحرمين إلا بعد استيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز وتأسيس الدولة السعودية سنة ١٣٥١ هـ ، وتم تطهير أرض الحرمين من الأرجاس والبدع والخرافات والضلالات الشيعية التي سبق التنويه عنها .

وظلت السعودية ساهرة على أمن الحرمين ، حيث ضربت بيد من حديد على كل من يعيث بحرمة الحرمين ويقطع السبيل على حجاج بيت الله الحرام .

فأصبحت هذه الجهود الخيرة سمة من سمات المملكة ، حيث يشرف عليها مباشرة خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين ، الذين يتشرفون جميعا بخدمة ضيوف الرحمن بأنفسهم ، خدمة خالصة لوجه الله ، لا يريدون عليها من أحد جزاء ولا شكورا ، ولا يتخذونها مادة للدعاية والإعلام .

فظل الحج مناسبة طيبة للعبادة ، وظل الحجاج يؤدون مناسكهم في سهولة ويسر ، ويلاحظون زيادة الخدمات والتسهيلات عاما بعد عام ، يتحدث بذلك العدو قبل الصديق .

فمنذ تأسيس المملكة وإلى سنة ١٤٠٠ هـ لم يحدث في الحرمين ما يعكر صفوهما ولم يرفع فيهما إلا شعائر الحج إلى أن كانت الثورة الخمينية ، وما ترسله بما يسمى « بالحجاج » .

وكأن الشيعة قد أحزنهم أن يبقى للحرمين حرمتها وقداستهما وهيبتهما في نفوس المسلمين ، كما أن حب المسلمين للسعودية ولخادم الحرمين وتعلق القلوب بهما جعل ثوار الخميني يحسدون المملكة ويطمعون كما طمع أسلافهم في الاستيلاء على الحرمين - لا سمح الله - وأخذوا يخططون لذلك ويدبرون المؤامرات الخبيثة ، والتي بدأت بافتعال الأحداث ورفع الشعارات والصور والهتافات والنداءات بأصوات منكرات ، وحركات مقززات ، وأحداث تزداد عاما بعد عام حتى أدخلوا المتفجرات سنة ١٤٠٦ هـ التي لا توجد إلا لدى الجيوش العسكرية والتي بلغ وزنها أكثر من خمسمائة كيلو جراما .

وظلت المملكة العربية السعودية تتحلى بضبط النفس ، ومعالجة الأمور بحكمة وروية ، لعل ذلك يجدى مع الجبابة والطفة !

ولكن غلاة الشيعة الخمينية استمروا في مؤامراتهم الإجرامية التي بلغت قمتها

في فتنة الحرم المكي الشريف ، والتي روعت العالم أجمع ، والتي أثبتت بما لا يدع مجالا للشك النوايا الخominية في الاستيلاء على الأمة الإسلامية وتأسيس الإمبراطورية الشيعية والذي لا يتم إلا إذا استولى على الحرمين ونودي له بالخلافة فيهما ودعا له المسلمون على منبر الحرم - لا سمح الله - وهو في هذا يكرر ما فعله من قبله من الشيعة ويجذو جذو النعل بالنعل . ولم يستعمل الخميني (التقية) ويخفي نواياه الشريرة هذه بل أعلن ومن غير تقية : أن معركته الحقيقية مع المملكة العربية السعودية أكثر من العراق . وأن تحرير الأقصى يبدأ بتحرير الحرمين ، وأن الحجاز هي الطريق إلى تحرير الأقصى . !

ولذا أصدر الخميني تعليماته وتوجيهاته الإلهية إلى من يسميهم بالحجاج والذين يزدادون عاما بعد عام بأن يخلعوا ملابس الإحرام ويتوضأوا بدم المسلمين ، وأنه سيعطيهم مفاتيح الجنة .

وقد تم اكتشاف تفاصيل هذه المؤامرة الخمينية البشعة حيث حصلت جريدة (عكاظ)^(١) على معلومات وتفاصيل مذهلة بالوثائق والأرقام واستنادا لروايات شهود العيان حول المؤامرة الإيرانية ضد المقدسات الإسلامية ، والمخطط الذي سعت إيران لتنفيذه على مدى سبع سنوات لتدمير وتخريب الأماكن المقدسة وسفك دماء المسلمين في أطهر بقعة وأقدس مناسبة إسلامية ، في الشهر الحرام والبلد الحرام .

وتقول الصحيفة :

رصدت المعلومات مجموعة من الحقائق والوقائع المتعاقبة في (مسلسل المؤامرة) على الوجه التالي :

١ - زاد عدد الحجاج الإيرانيين من ٩٠٩ و٣٤٠ حاجا في سنة ١٣٩٧ هـ إلى ٩٦٣ و٤٧ حاجا في عام ١٣٩٩ هـ وهو عام الثورة الإيرانية إلى أن بلغ في حج هذا العام ١٥٥ ألف حاج . وجاءت الزيادة كمؤشر للبدء في مخطط « بشع »

(١) جريدة عكاظ السة الساعة والعشرون العدد ٧٧٠١ الثلاثاء ١٠ ذى الحجة سنة ١٤٠٧ هـ .

يستهدف في البداية مكة المكرمة ومقدسات الأمة الإسلامية .

٢ - اكتشفت السلطات المعنية الكثير من المتفجرات والمواد الناسفة أكثر من مرة .

٣ - كما ضبط رجال الجمارك والأمن مع الحجاج الإيرانيين كميات هائلة من المخدرات . وكشفت التحقيقات أن هذه المخدرات ليست عملا فرديا أو تجاريا وليست مصادفة وإنما هي عملية مدبرة لإفساد أخلاق المسلمين وانحرافهم عن عقائدهم .

وكشفت التحقيقات أن المخدرات استهدفت أيضا استدراج المسلمين من دول أخرى للانضمام إليهم في تدميرهم للمنشآت وقتلهم للحجاج ونشر الفوضى في أرجاء البيت الحرام .

٤ - كما اكتشفت الأجهزة المسؤولة مع بعض الحجاج الإيرانيين أدوات حادة ومواد سامة يمكن استخدامها لقتل أكبر عدد ممكن عن طريق تسميم خزانات المياه وتسميم الأغذية .

٥ - كما اكتشفت معهم مواد حارقة تلتهب بفعل الحرارة وتشتعل في أماكن التجمعات الكثيفة بسهولة وسرعة ولا يتمكن الحجاج من الهرب أو الخلاص من المصير القاتل .

٦ - واكتشفت السلطات خططا وخرائط ومعلومات تهدف إلى إلحاق الضرر بأماكن تجمع الحجاج .

٧ - لجأ الإيرانيون إلى تكتيك مختلف بعد إحباط كل المحاولات السابقة ، وذلك بإرسال مئات الآلاف إلى الديار المقدسة تحت مظلة الحج .

وقد اكتشفت السلطات المختصة بالملكة أن ٢٥٪ منهم من الحرس الثوري و ٤٠٪ من المتطوعين الانتحاريين و ١٣٪ ممن يسمونهم جيل الثورة و ٢٢٪ منهم فقط حجاج حقيقيون !

٨ - وضعت السلطات الأمنية يدها على مخطط رهيب عندما اكتشفت على متن طائرة حجاج إيرانية ٩٥ حقيبة تحمل ما يقرب من ٥١ كيلو جراما من المواد شديدة الانفجار كانت كفيلا - فيما لو نفذت المؤامرة - بقتل الآلاف من الحجاج .

٩ - وجاء الفصل الأخير للمؤامرة في الوقائع التي جرت يوم الجمعة السادس من ذى الحجة سنة ١٤٠٧ هـ لتتكشف تفاصيل أخرى رهيبة حيث كانت خطة المسيرة الغوغائية الدموية الرهيبة تقضى بالتالى :

أولا : إغلاق أبواب الحرم ومنافذه على المصلين من الحجاج والمواطنين كخطوة أولى .

ثانيا : المناداة بالخميني - إماما مقدسا على المسلمين - حسب تعبيرهم الشيعي .

ثالثا : إرغام الحجاج والمصلين على مبايعة رؤوس المؤامرة نيابة عن « الخميني » .

رابعا : إعلان مدينة (قم) الإيرانية بلدا مقدسا يحج إليه ويزوره المسلمون بدلا من مكة والمدينة وسائر المقدسات .

خامسا : قتل إمام الحرم المكي الشريف وأية عناصر تقاوم هذا الإجراء وتحول دون استمرارهم في المؤامرة .

سادسا : حرق أجزاء من الكعبة المشرفة إمعانا في الإهانة للأمة الإسلامية وإلحاق الأذى بكرامة المسلمين وصرف المسلمين إلى غير الكعبة المشرفة .

إن هذا ليس بغريب على شيعة إيران فهو تاريخ متصل الحلقات وسيظل مستمرا ما دام هؤلاء يأنسون من أنفسهم قوة ، وما دام يجدون من المسلمين تسامحا ، فلا يمنعونهم من الاستمرار إلا القضاء عليهم .

فليس بالغريب أن تصدر ثورة الخميني الخراب والدمار حتى إلى البلد الحرام في الشهر الحرام وتقتل وتجرح أكثر من ١٠٥١ حاجا من حجاج بيت الله الحرام ، من ضيوف الرحمن . فلم يراعوا حرمة مسلم ولا دم مسلم ولا أماكن المسلمين المقدسة . لم يراعوا حرمة إنسان ولا شرف مكان ولا فضل زمان .

فكيف يدعون القرى إلى الله وهم شرار الخلق عند الله ؟ وكيف ينتسبون إلى الإسلام ولا نراهم يقاتلون ويقتلون إلا من شهد الشهادتين فأى دين هذا الذى يبيح القتل والنسف والتدمير ؟ وأى دين هذا الذى يبيح دماء الأطفال

والنساء والشيوخ ؟ وأية عقيدة هذه التي تبيح حرمة الله وأقدس مقدساته ؟ فأى رب تعبدون ياطغاة طهران ؟ أى رب سمح لكم بتدنيس البلد الحرام فى الشهر الحرام ؟ وأى قرآن نزل عليكم - غير قرآن ربنا - أباح لكم الإفساد فى الأرض وإهلاك الحرث والنسل ؟ فما بالكم تلاحقون المسلمين حتى فى المسجد الحرام فى الكعبة المشرفة وحتى فى مقام إبراهيم ، وأنتم تقرأون فى كتاب الله وصيته لإبراهيم وإسماعيل ﴿ أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ أهذا هو فهمكم لتطهير البيت ؟ أى معنى تطهير البيت للطائفين والعاكفين تطهير البيت منهم بقتلهم وترويعهم حتى لا يقدم على حج هذا البيت أحد بعد عامه هذا ، وحتى تتوقف جموع المسلمين الذين يأتون من كل فج عميق عن حج هذا البيت لتتجه إلى طهران وقم ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها ﴾ ؟ أىكون تقديس البيت وصيانة حرمة برفع صور دجالكم وتقديسه ، أهذا يتفق مع حرمة الحرمين ؟

ونحن لا نستطيع أن نتصور مدى الكارثة التى كان متوقعا أن تلم بالحرم المطهر وبوفوده المشغولين بذكر ربهم لو أن حماة الأمن فى المملكة قد تخلوا عن مسئوليتهم فتركوا لجموع المتظاهرين أن يصلوا إلى الحرم عنوة فى صفوف المصلين والطائفين والراكعين ؟ فجزى الله رجال الأمن ما يستحقون من الأجر على ما قدموا من تضحيات ودفَعوا من أثمان من دمائهم وأشلائهم للمحافظة على حرمة البيت وحرمة الحجاج وأرواحهم .

أولا : لقد كشف المخطط الخمينى الإجرامى النوايا الإيرانية فى إقامة إمبراطوريتها الشيعية على أنقاض الأمة الإسلامية ، وهذا لا يحتاج إلى دليل فأدلته كثيرة ومتعددة يرجع بعضها إلى أصول عقائد الشيعة الثابتة المقررة فى كتبهم المتداولة بينهم منذ أقدم التاريخ وإلى اليوم . والتى أعلن عنها وصرح بها (إمام الزمان) كما يسمى نفسه (الخمينى) فى كتابه « الحكومة الإسلامية » ، وكتاب « كشف الأسرار » بأنه استنادا إلى أصول المذهب الشيعى : لابد من إقامة دولتهم الشيعية ، وأن يكون هو إمام أهل الأرض كلها وأن يقضى على جميع الحكام من غير الشيعة ؛ لأنهم مغتصبون للإمامة . وقد استعرضنا الحوادث التاريخية لمحاولات الشيعة للوصول إلى هذا الهدف .

ثانيا : لقد كشفت الوثائق عن أهداف الفتنة الخمينية في الحرم الشريف والتي كان من بينها : (المناداة بالخميني إماما مقدسا) يعنى الإمام المعصوم يعنى النائب عن المهدي المنتظر (إمام آخر الزمان) وهو ما يسميه (ولاية الفقيه) والتي ضمّنها لدستور إيران الدائم . كما كشفت المؤامرة عن استغلال المتظاهرين الإيرانيين على إغلاق باب الحرم على جموع المسلمين وإرغامهم على أخذ البيعة (للخميني) كإمام عام للمسلمين ليأخذ الصبغة الشرعية من مسلمي العالم حتى تكون وثيقة بيده لمحاربة جميع حكام المسلمين والبلاد الإسلامية^(١) .

ثالثا : كشفت المؤامرة عن نية الشيعة في انتهاك حرمة الكعبة بحرقها وتدنيسها وصرف الناس عن الحج إلى مكة ليتجهوا إلى العتبات المقدسة في طهران (وقم) . وهذه ليست الأولى من نوعها فقد فعلها جميع الشيعة عبر التاريخ ؛ من القرامطة (وما فعلوه) من نزع للحجر الأسود ، ومن تحويل القبلة إلى المسجد الأقصى ... إلخ ، وكما فعل الشاه عباس الصفوي الذي أراد تحويل الحج من مكة إلى (مشهد) حيث حج من أصبهان إلى (مشهد) حافيا مشيا على الأقدام مسافة أكثر من ١٣٠٠ كم لتنفيذ هدفه وصرف الناس عن الكعبة .

إن محاولات صرف المسلمين عن مكة والمدينة تكررت من الشيعة عبر التاريخ - كما قدمنا نماذج لذلك - فكم منعوا الحج وكم قطعوا الطريق على الحجاج وكم فرضوا من (المكوس) وكم نهبوا الحجاج وقتلوهم ، وكم نهبوا الكعبة ودنسوها ولطخوها بالقاذورات ؟ وكم فعلوا الشيء نفسه في المدينة ؟ وحاولوا نقل الجثمان الطاهر من المدينة . أما مسألة قتل المسلمين فهي من صميم عقيدتهم ؛ لأن المسلم عندهم مستباح الدم والعرض والمال على اعتبار أنه من (النواصب) الذين ناصبوا الشيعة العدا ، فهو حرى بلغة الفقهاء .

(١) راجع كتاب الحكومة الإسلامية للخميني ، وهو يشير إلى ضرورة إقامة حكومة شيعية للمقهورين على حد تعبيره ، وهم اليوم أكثر من مائتي مليون شيعي . ثم اقرأ ما كتبه أحمد مغنية في كتابه (الجبهان سليل الشيطان) ص ٤٤ . (واليوم ممن يخاف على ، فعلى هو هو ، وذو الفقار هو هو ، والهاشميون ، وقسم كبير من أبطال المسلمين ، يتطلعون من قريب ، وبعيد إلى بنائه ، لكي تشير وتعلن الحرب ، التي تطالب بخلافة المسلمين) . فياترى على من يريد إعلان الحرب ؟ وأية خلافة يريد ؟

رابعاً - إن شيعة إيران يخططون تخطيطاً شاملاً لإقامة إمبراطورية شيعية كالدولة الفاطمية ، والبويهية والصفوية ، وممارستها المعاصرة في لبنان سواء ضد اللبنانيين من أهل السنة في بيروت أو الفلسطينيين في مخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة والحرب التي تتعرض لها المخيمات الفلسطينية والحصار التي تفرضه عليها جبهة أمل الشيعية شاهد على ما أقول .

وبات حلم إيران وشيكا بأن تصبح لبنان كلها شيعية بعد هذا الحرب الأهلية الطاحنة التي خططت لها إيران وإسرائيل وأمريكا وغيرها ، فليس لاستمرار هذه الحرب معنى سوى تصفية جميع العناصر المناوئة لتشيع لبنان .

وأما الدليل الثاني : فهو إصرار إيران على استمرار حرب الخليج رغم كل النداءات الإسلامية الدولية ، فقد صرحوا بعدم توقف الحرب حتى يتم النصر بإقامة حكم شيعي إيراني مجوسى فارسى فلما طالبت العراق باستعادة الجزر العربية الثلاثة التي اغتصبها شاه إيران السابق سخر قطب زاده من الطلب وعقب عليه بقوله بأن (العراق نفسه فارسى)^(١) فأيران مصممة على استمرار الحرب حتى تضم العراق إلى وإيران الفرس وتضع يدها على الأماكن المقدسة عند الشيعة في النجف وكربلاء وكاظمين وسامراء والموصل والبصرة وهي ما يسمونه^(٢) بالعتبات المقدسة . وحتى ينفتح الطريق أمامها إلى الخليج (الخليج الفارسى) كما يصرون على تسميته في وسائل إعلامهم ، ثم الجزيرة العربية رمز الإسلام ، والتي

(١) في محاضر جلسات مجلس النواب الإيراني سنة ١٩٦٩ م . حيث رفع النواب عقيرتهم بأن العراق مقاطعة إيرانية تحكمها أقلية عربية وطالوا الشاه بإعادتها إلى الوطن الأم فارس . وما لم يجرؤ الشاه على الجهر به حاول الخميني وضعه موضع التنفيذ .

(٢) هذا هو الشيء نفسه الذى فعله الشاه إسماعيل الصفوى مؤسس الدولة الصفوية حيث كرس حياته في سبيل تحقيق هدفين ؛ الأول : هو الاستيلاء على إيران وتوحيدها تحت حكمه ثم بسط نفوذه وسيطرته على أكبر مساحة ممكنة من العالم الإسلامى . والثانى : هو نشر المذهب الشيعى الاثنى عشرى بالمفهوم الصفوى في إيران مع تصديره إلى العالم الإسلامى . وهو في سبيل تحقيق هذين الهدفين سلك طرقاً متعددة واتسم سلوكه بالقسوة المفرطة والعنف والبطش والحروب فضلاً عن لجوئه إلى رجال الدين للدعوة ورجال الأدب والسياسة للدعاية وجند في ذلك كل الإمكانيات التي أتاحت له ابتداء من الموارد المادية الهائلة والإمكانات الشرية الكثيرة .

لا زال الحقد الفارسي يغلى عليها ، فهي التي صدرت الفاتحين الذين كسروا ظهور الأكاسرة الفرسولن يهدأ لهم بال حتى يوقدوا النار المجوسية على كامل البلاد الإسلامية . فمن يبقى أمامهم إذا سقطت بغداد لاسمح الله غير السعودية ودول الخليج التي يهددون بها صباح مساء ويرسلون إليها الصواريخ والمدفع والمتفجرات ، والإرهاب وخطف الطائرات واحتجاز الرهائن .

وهذا يفسر إصرارهم على مواصلة القتال مع العراق وفي لبنان فلم يبق على تحقيق حلمهم إلا القليل - كما يزعمون - فسقوط بغداد يعنى سقوط عمان والخليج فتتصل أجزاء الإمبراطورية الشيعية من إيران إلى العراق إلى الأردن إلى سوريا (الشيعية الباطنية) إلى لبنان الذي شيعوه ... إلخ .

وأود التأكيد أن المخطط الشيعي لإقامة الإمبراطورية الشيعية على أساس التحالف والتعاون بين عدد من الأنظمة الشيعية المعاصرة وهي النظام السوري النصيري الباطني والنظام الإيراني الاثنا عشري والنظام الليبي العبيدي الفاطمي والنظام العدني القرمطي ، وتعاون معهم أبناء مذهبهم من الدروز والبهايين والقادانانيين وغيرهم .

٥ - تعاونت إيران مع إسرائيل والصهيونية العالمية لتحقيق مخططاتها في لبنان وفي حرب العراق حيث أمدتها بالأسلحة والخبراء والمستشارين والمعونات مما يزيد على الخمسة مليارات من الدولارات . كما يقول العلامة موسى الموسوي . ودور إسرائيل في لبنان واضح ومشكوف في تصفية اللبنانيين السنة والمقاومة الفلسطينية (السنة) أيضا .

٦ - تعاونت إيران مع روسيا الشيوعية وأمدتها كل ما تريد عن طريق حلفائها من السوريين والليبيين والعدونيين وغيرهم .

٧ - تعاونت إيران مع أمريكا في عهد الخميني أكثر من تعاونها أيام الشاه ، فما الخميني إلا شاه أمريكي مطور عن الشاه المخلوع . صحي أن الخميني ونظامه يكيل الشتائم لأمريكا صباح مساء حتى في الحرمين ومناسك الحج ، ولكن الواقع يكذب ذلك ويفضحه وما فضيحة (إيران جيت) عن الأذهان ببعيد وليست هي الشاهد الوحيد .

٨ - فهل كان من قبيل المصادفة أن تسعى إيران الخميني للاستيلاء على الحرمين والدعوة إلى تدويلهما على الأقل ، وأن تعمل إسرائيل على حرق المسجد الأقصى وإعادة بناء الهيكل المزعوم ؟

وهل كان ذلك فلتة عابرة أن تتكرر محاولات اليهود لتدنيس مقدسات المسلمين وتدميرها ، ومحاولات الشيعة فعل الشيء نفسه ؟ ألا يعيد ذلك إلى الأذهان أن عقيدة القوم واحدة ؟ فمؤسس هذا الدين هو عبد الله بن سبأ اليهودي ، فالأصل واحد والمعتقد واحد !

مقارنة بين أعمال الدولة الصفوية والدولة الخمينية

لقد أثبتت الدراسة العلمية الموضوعية أن النظام الحاكم في إيران قد استقى معظم أسسه ومبانيه من نظام الحكم الصفوي وأفكاره وعقائده وسياسته وأعماله ، فقد حذا حذوه النعل بالنعل والقذة بالقذة ، فجاء صورة مكرورة تماما للنظام الصفوي ، مع استبدال اسم الشاه إسماعيل الصفوي مؤسس تلك الدولة باسم آية الله روح الله الخميني مؤسس الجمهورية الإيرانية الحديثة .

لقد تم الإعلان عن قيام الدولة الصفوية سنة ٩٠٦ هـ الموافق ١٥٠٠ م ، ومنذ الإعلان عن قيامها الرسمي سنة ٩٠٧ هـ ، ١٥٠١ م أعلنت أن المذهب الرسمي للدولة هو المذهب الشيعي الاثنا عشري وكان هذا الإعلان بمثابة نقطة تحول رهيبة في تاريخ إيران ، حيث ألغى هذا الإعلان حقوق الغالبية العظمى من سكان إيران « السنة » الذين كانوا يشكلون حسب الإحصائيات الفارسية نسبة ٦٥٪ . وكان هذا التجاهر لحقوق المسلمين السنة بداية نشاط عقائدي طائفي متعصب ومتعطش يسعى للانتشار في العالم الإسلامي كله .

وهو الشيء ذاته الذي فعله الخميني منذ إعلان دستور إيران الدائم ، فقد جاء في المادة الثانية عشرة من دستور جمهورية إيران الإسلامية (الخمينية) الدائم ما نصه : (الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب الجعفري الاثنا عشري وهذه المادة تعتبر غير قابلة للتغيير إلى الأبد) .

وجاء في المادة الثانية من مواد هذا الدستور : (الجمهورية الإسلامية نظام يقوم على الإمامة) .

وجاء في المادة الخامسة ما نصه : (تكون ولاية الأمر والأمة في غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه في جمهورية إيران الإسلامية للفقير العادل التقى .. الخ) يعني الخميني نفسه حسب الشروط التي وضعها في هذه المادة .

معاملة الشاه عباس للمسلمين السنة

لقد اتسمت معاملة الشاه عباس للمسلمين السنة بالقسوة المتناهية ، ولم تشهد البشرية تعصبا مذهبيا أشد من تعصب عباس الصفوى ضد أهل السنة .

ففى عام ١٠١٣ هـ حدثت فتنة كردية (قبائل سنية تقطن منطقة كردستان) ضد الحكام الصفويين . استولى فيها الأكراد من قبيلة (مكرى) على بعض القلاع الحصينة فى منطقتهم ، فأمر الشاه عباس جنوده بالتحرك صوب المنطقة الثائرة والاستيلاء على القلاع الحصينة بها ، والبطش بضراوة وقسوة بهؤلاء الأكراد ، فتقدم الجيش الصفوى وحطم قلاع الأكراد وأشاع فيها القتل والتشريد حتى أصبح الرجال طعمة للسيوف ووقعت النسوة والصبية فى ذل الأسر^(١) .

وقد حاول الأكراد المكربون استعطاف الشاه عباس بعد أن آمنهم على حياتهم ، وتقدم زعيمهم قباد خان ومعه مائة وخمسون فارس إلى الشاه عباس وذلك لإظهار خضوعهم وتقديم فروض الطاعة للشاه ، ولكن ما إن وصلوا إلى بلاطه حتى فتك بهم جميعا^(٢) .

ولم يكتف الشاه عباس بالتنكيل بهم فى ديارهم ، وإنما أقدم على اتخاذ خطوة أشد ، وهى تهجير عدد كبير منهم بالقوة إلى مناطق أخرى ، لكى يعيشوا فى ذل الغربة والاستكانة ، وقد أمر بنقل خمسة عشر ألف أسرة كردية ، من كردستان إلى شرق خراسان ، ليكونوا فاصلا بشريا بين الإيرانيين الأوزبك فيما وراء النهر^(٣) ، ولعله أراد بهذا الإجراء أن يجعل هؤلاء الأكراد السنين أول من يتلقون

(١) ملحقات تاريخ روضة الصفا ٨/ ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

(٢) عالم آراى عباس ص ٥٧٥ .

(٣) History of Persia Vol P . 174 .

ضربات الأوزيك السنين ، وهذا يتخلص من كليهما معا ويستريح من فتن الأكراد في إيران ومن أى هجوم أوزيكى مفاجئ على حدوده الشرقية .

ولم يكتف الشاه عباس بما فعله معهم حتى الآن بل فرض عليهم ضرائب باهظة ووضعهم تحت رقابة صارمة ، وحكم حديدي .

وعلى النقيض من هذه المعاملة البالغة القسوة عامل الأرمن المسيحيين حيث كان بهم برا عطوفا ، وحرص على التقرب منهم والتودد إليهم ، حتى إنه بنى لهم ضاحية جديدة عرفت باسم (جلفا) وزودها بكل ما يلزمها ، وبنى لهم فيها كنيسة كبيرة^(١) .

ولعلنا ندرك أن المعاملة السيئة التي عامل بها الأكراد الإيرانيين مرجعها إلى تبعية هؤلاء الأكراد للمذهب السني ، وعدم قبولهم الدخول في المذهب الشيعي ، مما جعلهم هدفا لغضبه وحقدده .

ومن مظاهر تعنته مع أهل السنة ما فعله مع سكان قلعة (اندخود) بما وراء النهر ، وكان الشاه عباس قد فتح هذه القلعة عام ١٠١١ هـ وأمن أهلها من السنة على حياتهم وممتلكاتهم ، وطمأنهم بأن لن يتعرض لهم بالسوء بسبب اعتناقهم المذهب السني ، ولكن حدث في سنة ١٠١٢ هـ وهو عائد من محاصرة مدينة بلخ أن مر بقلعة اندخود هذه ، وفجأة وبلا سبب أمر جنوده بالإغارة عليها وأسر جميع أكابرها وأعيانها وقاضيا وعظمائها ، وأن يسوق كل جندي أمامة أسير من أهل هذه القلعة حتى يصلوا إلى منطقة أصفهان . وقد علق إسكندر بك منشي على هذه الحادثة بقوله :

(في طرفة عين خربت تلك القصبة ، ووقع العديد من النساء والصبيان في ذل الأسر ، وقلة من الجنود هم الذين جاءوا وليس في معيتهم أسرى من قلعة اندخود)^(٢) .

(١) زندكاني شاه عباس أول ١٨٨/٣ .

(٢) عالم آرای عباس ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

وكان الشاه عباس غالبا قاسى القلب خشنا مع الأسرى العثمانيين والأوزبكين - وهم من أهل السنة - وكان أقل عقاب يوقع عليهم إن لم يقتلوا هو سمل عيونهم ، ولم يكن يصفح عن أى أسير منهم إلا إذا أعلن تخليه عن المذهب السنى ودخوله فى المذهب الشيعى^(١) .

وقد ذكر جلال الدين محمد اليزدى المنجم الخاص للشاه عباس فى كتابه (تاريخ عباس) العديد من مظاهر تعنت عباس مع أهل السنة ، ومما ذكره ما يلى :

(نزل الشاه عباس فى عام ١٠٠٨ هـ ببلدة سمنان ، وبسبب تطاول حاكمها عليه وعدم امتثال أهلها لقوانينه ، تم اعتقال عدد كبير من السنيين بها وأمر الشاه بإطعام جهالهم بآذان علمائهم وأنوفهم ، ثم حصل ثلاثمائة تومان منهم تكفيرا لجرمهم) .

وفى سنة ١٠١٨ هـ بلغه أن حاكم مدينة همدان ويدعى محمود الدباغ وهو سنى المذهب يظلم الشيعة هناك ، فأمر بإلقاء القبض عليه والفتك به ، ولكن محمود اختفى فأصدر الشاه أمرا مؤداه : (إذا لم يظهر محمود الدباغ فى ظرف ثلاثة أيام فسيتم قتل كل أفراد القبائل السنية فى المدينة ، ويتم الاستيلاء على أموالهم ونسائهم وأطفالهم ، وأخيرا ألقى القبض على الدباغ وأعدم) .

معاملة الشاه عباس للمسيحيين :

وعلى النقيض من معاملته للسنيين ، كانت معاملته للرعايا الإيرانيين الذين يعتنقون الديانة المسيحية ، وكذلك لرعايا الدول المسيحية الذين يفدون إلى إيران ، وكان الشاه عباس يحيطهم برعايته وعطفه وتشجيعه والسماح لهم بحرية التبشير والتجوال فى كل الأراضى الإيرانية . وهذا نص الأمر الملكى :

(من اليوم يسمح لمواطنى الدول المسيحية ومن يدينون بدينهم بالحضور إلى أى بقعة من وطننا ولا يسمح لأى شخص بأى حال من الأحوال إهانتهم ، ونظرا

(١) زندكانى شاه عباس أول ٣/٣٨ .

لما بيننا وبين الملوك المسيحيين من علاقات ود ومحبة ، فيسمح للتجار المسيحيين بالتجول في جميع أجزاء إيران ، ومزاولة نشاطهم التجاري في أى بقعة من الوطن ، دون أن يتعرض لهم بالإيذاء أى شخص سواء أكان حاكما أو أميرا أو خانا أو موظفا أو تابعا لدولتى ، كما تعفى جميع أموال تجارتهم التى يحضرونها معهم من ضرائب المال ، وليس لأى شخص مهما بلغت مكانته أن يزاحمهم أو يكلفهم المشاق ، وليس من حق رجال الدين مهما كانت وظائفهم التجروء على الإضرار بهم ، أو التحدث معهم بخصوص العقائد المذهبية (١) .

ولم يكتف الشاه عباس بإصدار هذا الأمر وتنفيذه ، بل كان حريصا على التعاطف مع المسيحيين في كل مناسبة ، والاشتراك معهم في احتفالاتهم الدينية ، ففي سنة ١٠١٨ هـ أرسل إلى بلاد الكرج في إحضار عدد من الخنازير ليقدّمها هدية لمسيحي جلفا في عيدهم ، ثم ذهب بعد ذلك لتهنئتهم . بالعيد ، وشاركهم احتساء الخمر ، وأمر جميع مرافقيه من رجال البلاط الصفوى باحتساء الخمر مشاركة للمسيحيين في هذه المناسبة ، على الرغم من توافق ذلك العيد المسيحي مع اليوم الخامس عشر من شهر رمضان ، فاضطر أفراد الحاشية إلى شرب الخمر والإفطار على محرم (٢) .

ومما لاشك فيه أن عداء عباس للمذهب السنّى وحماته العثمانيين ، هو الذى دفعه للاتصال بملوك أوروبا المسيحيين ، ومحاولته عقد معاهدات للتعاون المشترك بينه وبينهم من أجل تقويض دعائم الدولة العثمانية السنية المذهب حتى ولو قدم للأوروبيين العديد من التنازلات ، كما رأينا في الأمثلة القليلة التى ذكرناها .

تعصب الشاه عباس للمذهب الشيعى :

كان الشاه عباس شديد التعلق بالمذهب الشيعى ، حريصا على إرساء

(١) إيران در زمان صفوية / ١٠٣ .

(٢) زندكافى شاه عباس أول ٢٦٤/٢ .

دعائمه ، وقد بذل قصارى جهده في ترويج المذهب الاثنى عشرى الشيعى ، ومن مظاهر هذا الاهتمام الزائد حرصه على الاحتفال بكل المناسبات الشيعية مثل أعياد ميلاد جميع أئمة الشيعة ، وكذلك إقامة العزاء في ذكرى وفاتهم أو استشهادهم ، ومن مظاهر اهتمامه كذلك إبقاؤه على صيغة الأذان التى استنها جده الشاه إسماعيل الأول ، هذه الصيغة تضيف إلى الصيغة الإسلامية المألوفة في البلاد السنية المذهب ، عبارتي : أشهد أن عليا ولي الله ، وحى على خير العمل^(١) .

وكان الشاه عباس حريصا كذلك على الإكثار من زيارة أضرحة مشايخ الشيعة وأئمتهم ، والقيام بخدمتها ، كما سبق أن ذكرنا .

فبعد أن تمكن من فتح بغداد سنة ١٠٣٢ هـ واستولى على العتبات المقدسة لدى الشيعة والموجودة في كل من كربلاء والنجف والكوفة ، نجده يسارع بزيارتها ، فقضى عشرة أيام في ضريح على بن أبى طالب في النجف ، حيث قام بخدمة زواره ويكنس أرض المقبرة^(٢) .

وإمعانا في إعلان تبعيته لآل على بن أبى طالب ، وتمسكه بالمذهب الشيعى لقب نفسه بـ (كلب عتبة على) أو (كلب عتبة الولاية) ونقش هذا اللقب على خاتمه لكى يستعمله في المراسلات الرسمية^(٣) .

وقد رأينا كيف زار ضريح الإمام الرضا في (مشهد) سيرا على الأقدام من أصفهان إلى مشهد (١٣٣٣ كم) إمعانا في صرف الناس عن الحج من مكة إلى مشهد وتقديسا لأئمة الشيعة .

(١) لفت نامه ، شماره ص ٧٦ .

(٢) زندكافى شاه عباس أول ١٩/٣ .

(٣) زندكافى شاه عباس أول ١٩/٣ .

حروب الشاه مع العثمانيين

استمرت الحروب بين العثمانيين السنة والصفويين الشيعة طويلا مما سبب في تعويق الفتوح الإسلامي وعدم انتشار الدين في أوروبا كلها حتى قالوا (لولا الشاه لدخل الإسلام كل بيت في أوروبا) .

وكثيرا ما كانت الجيوش العثمانية الفاتحة تعود من قلب أوروبا لترد على الهجمات الصفوية الشيعية على البلاد الإسلامية ؛ مما اضطرها في أكثر من مرة إلى توقيع معاهدات للصلح - مع أنها كانت منتصرة وتستطيع التوغل في الأراض الإيرانية ، وذلك لكي يتفرغوا لحروبهم مع المعسكر المسيحي في أوروبا ، ووقف الحملات العدائية التي كانت الدولة الصفوية الشيعية تشنها ضد المذهب السني ، وضد الخلفاء الراشدين الثلاثة وصحابة رسول الله . فقد اعتبر العثمانيون أنفسهم خلفاء الخلفاء ، وأن أي معاداة لهؤلاء الخلفاء تعتبر معاداة لهم أيضا ، ومن واجبهم الشرعي التصدي لمثيरी هذه المعاداة .

ومن نصوص تلك المعاهدة التي عقدت في نيروز سنة ٩٩٨ هـ أي في ٢٢ مارس سنة ١٥٨٠ م :

(أن تتوقف إيران عن سب الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول ، وسب السيدة عائشة)^(١) .

(وأن يبقى حيدر مرزا بن حمزة ميرزا أخى الشاه عباس في إسطنبول كرهينة حتى لا ينقض الشاه عباس هذه المعاهدة) . وقد ظل رهينة حتى سنة ١٠٠٥ هـ . وظل الشاه حريصا على إظهار وده تجاه السلاطين العثمانيين ، وأن يسلك معهم طريق التودد والخنوع بدلا من القوة والنخوة ، حتى إنه إذا أرسل رسالة إلى السلطان العثماني كان يكتب في مقدمتها ما يقرب من أربعين سطرا بين نثر ونظم في تعداد مناقب السلطان المرسل إليه الرسالة ، كما كان عباس يحاول التظاهر

(١) خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص ١٧٦ ، ولفت نامه شمارة ٧٦ .

بأنه يعاضد العثمانيين في حروبهم ضد أوروبا ولكنه في نفس الوقت يحاول الاتفاق مع زعماء المسيحيين الأوربيين للتعاون فيما بينهم وبينه ضد السلطان العثماني . وبعد أن أنشأ الإنجليز له مصنعا للأسلحة النارية وزودوا جيشه بالمدافع نقض هذه المعاهدة سنة ٩٩٨ هـ ، وجاهر العثمانيين بالعداء .

ولما وفد إليه سفير من قبل السلطان محمد الثالث ، وطلب منه إعادة النظر في اتفاقية سنة ٩٩٨ هـ ، وطلب السفير من الشاه أن يرسل ابنه الأكبر ليكون رهينة في البلاد العثمانية بدلا من حيدر ميرزا الذي توفي سنة ١٠٠٥ هـ فما كان من الشاه عباس إلا أن أمر بتتف لحية ذلك السفير العثماني وأن ترسل لحيته على شكل هدية للسلطان العثماني^(١) .

ونلاحظ مدى اقتداء الخميني بالشاه إسماعيل والشاه عباس الصفوي في التعصب ضد المسلمين السنة وتجاهل وجودهم ، بل العمل على إبادتهم والقضاء عليهم نهائيا .

فقد عمل الصفويون ، ومن نهج نهجهم من الإمامية الاثنى عشرية على إزالة المسلمين السنة من الوجود بكل الوسائل ، حيث نجحوا فعلا في تحقيق هدفهم كما دلت على ذلك الإحصائيات الرسمية :

قالت صحيفة (هيرالد تريبيون) الصادرة في ١٩٧٩/٢/٢٠ م بأن نسبة الفرس ٥٠٪ من عدد السكان . وحسب إحصائية سنة ١٩٧٠ م فإن نسبة الشيعة ٦٢٪ والسنة ٣٦٪ .

وهذه النسبة توافقت إحصائية نشرتها مجلة المستقبل في العدد ١٢٣ بتاريخ ١٩٧٩/٦/٣٠ م .

ومما يجدر ذكره أن نسبة المسلمين السنة في إيران كانت تزيد على ٦٥٪ في عهد الصفويين أي قبل ثلاثة قرون تقريبا ، وما زالت تنخفض تحت اضطهاد وتأثير الشيعة .

(١) زندكافي شاه عباس أول ١٣/٥ ، ١٤ .

إذن : سعى إسماعيل الصفوى منذ استيلائه على السلطة فى إيران إلى أن جعل إيران كلها شيعية على المذهب الجعفرى الاثنى عشرى مما خفض نسبة السنة فى إيران إلى أكثر من النصف ولقوا كل أصناف الاضطهاد والتعذيب والتجاهل لكل أنواع حقوقهم ، وهو ما فعله الخمينى بمجرد استيلائه على السلطة ، حيث أعلن مبادئ ثورته الشيعية الاثنى عشرية التى تقوم على (ولاية الفقيه) وضمن كل ذلك الدستور الدائم لإيران .

ثانيا : جعل إسماعيل الصفوى الهدف الثانى من أهداف دولته هو نشر المذهب الشيعى الاثنى عشرى وتصديره للعالم الإسلامى ، واستعمل كل الوسائل المتاحة فى عصره ، وكانت السمة البارزة على دعوته لنشر مذهبه هى الوحشية والقسوة المفرطة والعنف والبطش والحروب وسفك الدماء (السنية) .

واستعمل عددا كبيرا من رجال الدين الشيعى لترويج مذهبه داخل وخارج إيران فى أنحاء العالم الإسلامى . وهو الشئ نفسه الذى يفعله « الخمينى » ، حيث ملأ الأرض بآياته وأرواحه وتلاميذهم الذين يجوبون أنحاء العالم الإسلامى لنشر مذهبهم .

كما استعمل الشاه إسماعيل الصفوى رجال الأدب والسياسة للدعاية لمذهبه الاثنى عشرى ، وجند كل إمكانات الدولة الطبيعية والبشرية لنشر دينه الشيعى . وهو الشئ ذاته الذى سار على نهجه فيه « الخمينى » ، فلم يترك وسيلة من وسائل الدعاية والإعلام بكل أنواعه والسفارات فى الخارج وإنفاق الأموال الطائلة فهو ينفق على الدعاية والإعلام مثل ما ينفقه على الحروب ، ويشكل هذا الإنفاق كل ميزانية الدولة تقريبا ؛ فقد أسس حتى الآن أكثر من ست جامعات فى مختلف البلاد الإسلامية لنشر مذهبه ، كما قدم آلاف المنح الدراسية للطلاب ، فقد قدم لأفريقيا وحدها أكثر من أربعة آلاف مليون دولار للدعاية لمذهبه ولتشجيع المسلمين السنة .

ثالثا : لقد شكل الشاه إسماعيل الصفوى النشاط البشرى فى إيران بالشكل الذى يساعده على المضى قدما فى تنفيذ خطته لنشر مذهبه ، فأوجد مؤسسة عسكرية مذهبية خاصة (غير الجيش) تسيطر على مجريات الأمور فى عموم إيران

وتوجه شعبها لخدمة سياستها وأفكارها .

وهو الشيء نفسه الذى فعله (الخمينى) حين شكل ما يسمى (بالحرس الثورى) و (جيل الثورة) وغيرها من التنظيمات العسكرية لخدمة أغراضه السياسية والمذهبية .

رابعا : تذكر الكتب التركية أن الشاه إسماعيل الصفوى كان يحرض الشيعة فى الأناضول على الفساد والتمرد ضد الدولة العثمانية .

وهو ما قام به « الخمينى » فى محاولته لبث القلاقل وإسقاط نظام الحكم فى « العراق » تلك البلاد التى آوته وعلمته ووفرت له كل أنواع الرعاية والحماية ولكن أطماعه التوسعية جعلته يتدخل فى شئونها الداخلية و يحاول فرض سيطرته عليها بالقوة ، وإثارة الشيعة ضد دولتهم فى العراق ، وهو ما فعله فى تحريض « الأكراد » وغيرهم ، ولم يكتف بالعراق ، بل امتد تحريضه إلى دول الخليج فى الكويت والسعودية والإمارات وغيرها ، بل امتد شره وخطره إلى جميع البلاد الإسلامية فى تركيا ، وباكستان ، وأندونيسيا ، وأفريقيا ، وماليزيا وحتى أفغانستان لم تسلم من شره .

خامسا : كما حاول الشاه إسماعيل وضع يده على الأماكن المقدسة عند الشيعة فى النجف وكربلاء وكاظمين وسامراء والموصل والبصرة (العتبات المقدسة) ، بل حاول وضع يده على العراق كله مما أدى إلى اشتعال نار الحرب بين الصفويين والعثمانيين^(١) .

وهو الشيء ذاته الذى عمله (الخمينى) فقد تطلع للاستيلاء على العراق منذ استلم زمام السلطة ، وهذا ما يفسر إصراره على القتال فى هذه الحرب الطويلة المشعومة التى لم يعرف التاريخ كله حربا أطول منها ، وقد بلغت خسائرها البشرية والمادية أكثر من الحربين العالميتين الأولى والثانية . ولا زال (الخمينى) مصرا عليها لأنها هدف استراتيجى لنشر مذهبها ، وتحقيق أطماعه التوسعية ، كما فعل الشاه إسماعيل الصفوى والشاه عباس الصفوى من قبل . إن يكفر فقد كفر أخ له من قبل .

(١) عثمانى تاريخى ٤٢١/١ ، أحمد راسم ، طبع إستانبول سنة ١٣٣٠ .

سادسا : لقد سجلت المصادر التاريخية والأدبية المختلفة نماذج من الأعمال التي قام بها ملوك هذه الدولة وحكامها بما لا يتسع المجال لذكره ويكفى أن نذكر منها نموذجا واضحا ، حيث تذكر الكتب الصفوية نفسها أن الشاه إسماعيل عندما وصل في السنة السابعة من حكمه إلى بغداد واستولى عليها قام بنيش قبر الإمام أبي حنيفة النعمان وأخرج عظام الإمام وأحرقها ودفن مكانها كلبا .

وكان لهذا العمل القبيح الذي يدل على ما يكنه الشيعة الإمامية وغيرهم لللسنة وعلمائهم وعقيدتهم وفقهائهم ، لقد أثار هذا العمل الإجرامى غضبة الأمة الإسلامية ، والدولة العثمانية « السنية » حيث أرسل سلاطينها تهديدا إلى ملوك الصفويين . وانتهى الأمر باشتعال نار الحرب نتيجة لتبادل التهديد والصلف والعجرفة والعريضة الصفوية ، وانتصر فيها العثمانيون على الصفويين في موقعة (جالديران) سنة ٩٢١ هـ ١٥١٤ م .

ومن بين الرسائل التي أرسلها سلاطين العثمانيين إلى ملوك الصفويين رسالة السلطان سليم الأول العثماني إلى الشاه إسماعيل الأول الصفوي والتي يقول فيها ما ترجمته :

(ما هذا العمل القبيح الذى صدر منك ؟ لا تسب الخلفاء الثلاثة بعد ذلك لأنه كان لهم في حياتهم شرف ملازمة حضرة الرسول ﷺ ، وهذا يعرفه كل العالم ، ولماذا تنسبون الكفر والزندقة إلى عظماء الدين والدنيا وهم يسكنون إلى جوار القبر المبارك لنور العالم وعظيمه)^(١) .

ومسألة نبش قبور علماء هذه الأمة وعظمائها يبدو أنه أمر طبيعي في عقيدة القوم ، درج عليه السلف والخلف ، فقد رأينا كيف أنهم لم يتورعوا عن نبش قبر الرسول ﷺ ، كما أورد الشيخ عبد الله غازي في مخطوطته (إفادة الأنام) حيث يقول : إن الحاكم الفاطمى في مصر طلب من أبى الفتوح أن يحتل المدينة وينقل جثمان النبى ﷺ إلى مصر . فكيف لا يسيع لهم نبش قبر أبى حنيفة ؟

(١) عالم آر اى صفوى ص ٤٤٧ ، ٤٧٨ .

وها هو الخميني وزمرته اليوم ينبشون قبور الصحابة في البقيع ويحاولون نقلها من مكانها إلى بلادهم ، وينبشون بعض هذه القبور حقدًا على أصحابها وتشفيا منهم ، وينبشون البعض الآخر رغبة في نقل الرفات إلى ديارهم لكي يحجوا إليه ويزوروه ويتوسلوا إليه ، ويتقربوا إليه بسائر القربات والعبادات الشركية .

لقد درج الشيعة على التعرض لقبور صحابة رسول الله ﷺ وكان آخر محاولاتهم نبش قبر السيدة فاطمة الزهراء . ذكرت ذلك مجلة (المجلة)^(١) تحت عنوان (محاولة نبش قبور الصحابة في المدينة المنورة) وقدمت تحقيقًا مصورًا بالألوان لتلك المحاولة البشعة الخبيثة .

قالت المجلة : (لقد بدأت تصرفات بعض الحجاج الإيرانيين في البقيع تثير تحفظات العديد من المسلمين إلى جانب الهيئات المشرفة على هذه المنطقة ، خاصة أن الأمر وصل ببعضهم إلى درجة نبش قبور أهل البيت .

ففي الأعوام الماضية وخلال موسم الحج دخلت مجموعات كبيرة من الحجاج الإيرانيين مقبرة البقيع ، وأخذ أفرادها نبش القبور وخاصة قبر السيدة فاطمة الزهراء أم الحسن والحسين . وكانوا يأخذون الأتربة ويضعونها في جيوبهم . وتدخلت الجهات المسؤولة أكثر من مرة لإيقاف هذه الممارسات وإعادة الأتربة إلى مكانها ، وبعد أن ظهر أن بعض هؤلاء كان يقصد في حقيقة الأمر الوصول إلى الأعماق والعبث بالرفات الطاهرة لموتى أهل بيت رسول الله ﷺ .

وتورد المجلة شهادة الحارس : (ويقول محمد غالي - الحارس -) وهو في العقد الرابع من عمره ويحرس البقيع منذ أكثر من عشر سنوات : إن الحجاج الإيرانيين يحاولون دائما الإساءة إلى قبور أهل البيت ، وذلك بنبش التراب عنها في محاولة للحصول على بعض بقايا أجسامهم الطاهرة . ويتركزون عند زيارتهم البقيع في الجزء الذي يضم قبور أهل البيت . ويتبركون بالتراب .

وفي الوقت الذي أوقفت فيه أجهزة المقدسات الإسلامية الطلائع الأولى من

(١) العدد ٤٢٧ تاريخ ٢٦ شعبان ١٤٠٨ الموافق ١٣ إبريل ١٩٨٨ ، ص ١٥ .

الحجاج الإيرانيين بعد نبش قبر السيدة فاطمة ، كانت هناك جموع أخرى منهم في طريقها إلى البقيع للغرض نفسه ، ولولا الحيلولة دون ذلك - كما ذكر أحد المسؤولين عن الأمن - لكانت النتائج أكثر خطرا ، خاصة لو تمكنوا من تنفيذ غاياتهم . وأوضح مصدر إسلامي أن هذا التراب واقتناؤه مقدمة للوصول إلى أعماق القبور للحصول في النهاية على بقايا الأجساد الطاهرة ونقلها إلى مدينة (قم) مقر الخميني . ويستدل هذا المصدر على قوله بما فعله حجاج الخميني الذين أحاط بهم « حراس النظام » لحمايتهم عند قبر السيدة فاطمة الزهراء فقد لوحظ أنهم أزاحوا التراب عن الجوانب ، وتعمقوا في حفر القبر ، فلو كان التراب هدفهم الرئيسي لكانوا سيحرصون على جمع جميع ذراته . ولكنهم أرادوا الحصول على بقايا الجسد من عظام وغيرها .

وإذا كان الحجاج الإيرانيون ينبشون قبور أهل البيت بهدف الحصول على التربة ، أو الحصول على بقايا الأجساد الطاهرة ، فإنهم يتخذون موقفا مغايرا من قبور بعض الصحابة ، فينبشونها بغرض الإيذاء ، وإزالة المعالم وفي مقدمة هذه القبور المستهدفة قبر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك لصعوبة الوصول إلى قبري الخليفين الأول والثاني ، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . حيث تحوى الروضة الشريفة في المسجد النبوي الشريف رفاتهما إلى جانب الرسول ﷺ . ومع ذلك فهم لا يتورعون عن إيذائهما برمي القاذورات على الحاجز الخارجي للروضة .

وأوضح بعض الأدلاء أن أتباع الخميني حاولوا الإساءة إلى قبر ذي النورين عثمان بن عفان ، ولا يستغرب هذا الموقف منهم إذا علمنا أن الخميني يرمى أبا بكر وعمر وعثمان بالكفر والزندقة) .

وقد أوضح أحد الذين يقومون بحراسة الروضة الشريفة أن حجاج (خميني) يقومون في كل موسم حج بتكرار المحاولات نفسها من إثارة الفوضى حول المنطقة المحيطة بالروضة من الحرم النبوي ، ويحاولون الاقتراب من الحاجز الحديدي الذي يحيط بقبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر وذلك لتدنيسهما بما يحملونه معهم من القاذورات .

وقد سبق أن ذكرنا أنهم يفعلون الشيء نفسه مع الكعبة المشرفة ويلطخونها بالقاذورات الآدمية إمعانا في الأذية ، وإظهارا للحقد والعداوة والبغضاء .

أما مسألة سب الصحابة رضوان الله عليهم وتكفيرهم ونسبة الزندقة والفسق إليهم فهي مسألة قديمة حديثة دائمة لأنها جزء من عقيدة القوم لا ينفكون عنها ولا يترددون في إطلاقها ، بل يتقربون إلى الله بلعن الصحابة وتكفيرهم .

وهاهي كتب القوم ومراجعهم المعتمدة القديمة والحديثة تنضح بهذا ولا يخلو منها مرجع أو كتاب قديما أو حديثا .

وهاهو « الخميني » ينهج نهج سلفه وأستاذه (إسماعيل الصفوي) الذي استقى منه ومن نظام دولته جميع أفكاره وعقائده وسياسته .

روى الكليني (بخارى الشيعة) في كتابه الكافي عن علي رضي الله عنه قال في قوله عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ إِزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ ﴾ قال : نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان . آمنوا بالنبى ﷺ في أول الأمر وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال النبى ﷺ وآله : من كنت مولاه فعلى مولاه ، ثم آمنوا بالبيعة لأمر المؤمنين عليه السلام ثم كفروا حين مضى رسول الله ﷺ وقال : « فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء »^(١) .

وقد اخترع الخميني وغيره من الآيات دعاء خبيثا ينضح بالشنآن ، والبذاءة والإسفاف ، ويفيض بسوء الأدب مع صاحبى رسول الله ؛ أبى بكر ، وعمر وابنتيهما الطهورتين ؛ عائشة ، وحفصة أسماء هو وشيعته بدعاء (صنمى قريش) .

هذا الدعاء الذى يتوارى الضلال حياء منه ، ويخنس الشيطان لعجزه أن يأتي بمثله ، هذا الدعاء الضال يتواصى الشيعة فيما بينهم على ترديده والإكثار من قراءته ، ويمنحون بركاتهم لكل من رده . رروا ذلك فى صحيح أخبارهم وصادق أحاديثهم ، من ذلك ما روه :

(١) الكافي فى الأصول ٤٢٠/١ طبعة إيران .

عن السجادة ، من قال : اللهم العن الجبت والطاغوت كل غداة مرة واحدة ، كتبت له سبعين ألف حسنة ، ومحي عنه سبعين ألف سيئة ... الخ .
وأما دعاء « صنمى قريش » الذى وقع على اعتماده روح الله الخمينى مع عدد من الآيات والأرواح فقد جاء فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم صل على محمد ، وآل محمد ، اللهم العن صنمى قريش وجبتهما . وطاغوتيها ، وإفكيهما ، وابنتيهما ، اللذين خالفا أمرك . وأنكرا وحيك ، وجحدا لإنعامك ، وعصيا رسولك ، وقلبا دينك ، وحرفا كتابك ، وأحبا أعدائك ، وجحدا لآلائك ، وعطلا أحكامك ، وأبطلا فرائضك ، وألحدا فى آياتك ، وعاديا أوليائك ، وواليا أعدائك ، وخربا بلادك ، وأفسدا عبادك ،

اللهم الغنهما وأتباعهما وأوليائهما وأشياعهما ، ومحبيهما ، فقد خربا بيت النبوة ، وردما بابه ، ونقضا سقفه) . الخ .

وهذا الدعاء الكافر الفاجر طويل جدا (سأرفق صورته فى ملحق هذا الكتاب) .

وهذه عقيدة القوم قديما وحديثا ، فى سب ولعن وتكفير الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الثلاثة .

جاء فى (الروضة) للإمام الكلينى ص ١١٥ .

قال الإمام الباقر (إن الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يتذكرا ما صنعا بأمر المؤمنين عليه السلام فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وهاهو « الخمينى » يعلن بصراحة لا تعرف (التقية) عن عقيدته فى صحابة رسول الله ﷺ فى أخطر كتبه جميعا وهو كتاب (كشف الأسرار) المكتوب بالفارسية ويقع فى ثلاثمائة وخمسين صفحة وتمت ترجمته إلى العربية ترجمة الدكتور أحمد الخطيب وهو منتشر فى كل مكان الآن .

يقول الخمينى تحت عنوان (مخالفة عمر لكتاب الله) ما نصه بالحرف الواحد : (وهذا الكلام يدل على أنه - أى الفاروق - قد أعلن صراحة عن

كفره وزندقته بمخالفته للقرآن الكريم (١) .

ويقول في حق الشيخين :

(يفهم من الأمثلة التي قدمناها عن مخالفة الشيخين - أبو بكر وعمر - أنما خالفا الأحكام القرآنية الصريحة علانية في وجود المسلمين . وهذه المخالفة لم تكن بالنسبة لهما أمرا هاما أو غير عادي ، وفي ذلك الوقت كان أمام المسلمين - أى الصحابة - خياران : إما أن ينضموا إلى حزبيهما ويشاركوا معهما في تحقيق هدفهما من أجل الحصول على السلطة ، ويتعاونوا معهما لتحقيق ذلك ، وإما أن يخرجوا عن حزبيهما ولا يكونوا معهما ، إلا أنهم لم يجرؤا على الحديث ضد هذين المنافقين المتسلطين الظالمين اللذين ظلما فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ (٢) .

وقال أيضا في حق عمر رضى الله عنه (قام عمر بهدم باب بيت فاطمة فأفقدتها بذلك طفلها الذى كان فى بطنها ، والذى سماه الرسول (محسن) . وقال أيضا (٣) (إن عمر آذى رسول الله فى آخر حياته ، فأثر ذلك على رسول الله ، وكان صدمة عجلت برحيله عن هذا العالم) . وقال (٤) (إن عمر أشعل النار فى بيت رسول الله) .

وقال بعد كل هذا بصراحة (إن هذا الإيذاء من جانب عمر إنما كان تعبيرا ظاهرا بالكفر والزندقة التى يبطنها عمر بداخله ، ويتضح من هنا أن عمر كان فى باطنه كافرا زنديقا (٥) .

وقال فى الشيخين (٦) : (لم يؤمن الشيخان أبو بكر وعمر إيمانا نابعا من

(١) كشف الأسرار ص ١١١ .

(٢) كشف الأسرار ص ١١٧ .

(٣) كشف الأسرار ص ١١٩ .

(٤) المرجع السابق ص ١١١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

القلب ، بل قبلا الإسلام في الظاهر فقط طمعا في الحكم والسلطة . وقد التصقا بالرسول ﷺ) .

ثم قال أيضا في حق عثمان رضي الله عنه وباقي الخلفاء^(١) : (نحن نعبد إلها نؤمن به أقام كل شيء على العقل والحكمة ، وليس الإله هو الذي يقيم عباده عبادته وعدالته ودينه ، ثم يحاول بعد ذلك أن يهدمها ، فيرسل هؤلاء الظلمة يزيد ومعاوية وعثمان ، ليتولوا الإمارة والحكم) .

وقال في حق عثمان أخيرا : (أنا لا أوافق الله على توليته الخلافة لعثمان)^(٢) .

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٢) جريدة المسلمون العدد ١٤١ في ٢٩ صفر ١٤٠٨ .

نظرة الصفويين إلى الحرمين الشريفين

يعتقد الصفويون كما يعتقد جميع الشيعة أن مكة المكرمة هي مقر تواجد صاحب الزمان (الإمام الغائب) (محمد بن الحسن العسكري) الذي اختفى منذ سن طفولته وهو ابن الرابعة أو الخامسة في سرداب في سامراء منذ سنة ٢٦٥ هـ وقد مضى على غيبته أكثر من ألف سنة ، وما زال الشيعة يعتقدون بأنه حي يرزق ، وأنه إمام آخر الزمان ، وهو الحاكم الشرعي الوحيد للعالم كله ، وأنه سيظهر بالقرب من مكة ، وهم يتنبأون بخروجه ، وقرب التفريخ عنه في كل عصر .

فقد كان الصفويون يعتقدون بظهوره في زمانهم ، كما يعتقد « الخميني » وشيعته اليوم ، وأنه سيظهر بين الركن والمقام . وأنه ... ، فقد روت كتبهم عن شاهد عيان هو (دده محمد) الذي كان من أتباع حاجي بكتاش درويش القسطنطينية ثم صار بعد ذلك من أتباع الشاه إسماعيل الأول .. أن هذا الملك قد أخذ الأمر بالخروج لفتح البلاد وإقامة الدولة من صاحب الزمان في بلاطه بالقرب من مكة ، وهناك جرت مراسم تتويج الشاه مذهيبا ، وتسلم من الإمام سيف الفتح والظفر^(١) .

وهذا يفسر سر إصرار الشيعة قديما وحديثا على الاستيلاء على مكة المكرمة كما سبق أن بينا في عرضنا التاريخي الموجز ، حيث بينا استمرار الصراع بين السنة والشيعة حول الحرمين الشريفين ، وما أريق في سبيل ذلك من دماء ، وما أزهق من أرواح ، فهم يعتقدون أنه لابد من الاستيلاء على مكة المكرمة وتطهيرها من المشركين (يعنى السنة) ومن الكفرة والنواصب الذين غصبوا أهل البيت حقهم ، وبدون تطهير هذه البقعة من السنة فلن يظهر (إمامهم - إمام آخر

(١) عالم آرای صفوی ٤٧٨ وما بعدها .

الزمان) وهم يستندون في ذلك إلى تأويلات خرافية لا أساس لها من الصحة ، فيقولون إن رسول الله ﷺ لم يحج ولم يدخل مكة قبل تطهيرها من رجس الشرك ودنس المشركين ، فما أدى فريضة الحج إلا بعد أن منع المشركين من دخول المسجد الحرام والطواف بالبيت ، وإعلان البراءة منهم ، وقد تم ذلك بأمر من رسول الله ﷺ إلى الإمام على رضى الله عنه - وسنتحدث عن ذلك بشيء من التفصيل - فيما بعد إن شاء الله .

هذا من ناحية أخرى فإن الشيعة يعتقدون أنه لابد من الخطبة والدعاء لإمامهم على منبر الحرم المكي ، ولابد من مبايعته في المسجد الحرام ، وكل هذه أمور تتعلق بالعقيدة ، ولا يجوز التهاون فيها ، أو التردد في إعلانها ، والقتال من أجلها . حتى لو أدى الأمر إلى انتهاك حرمة المسجد الحرام ، وقتل الأرواح البريئة .

دلت الوثائق الصفوية على أن الصفويين لم يعطوا للبيت الحرام أى عناية أو اهتمام ولم يقدروه حق قدره ، بل استهانوا به واحتقروا شأنه . ومن ثم فقد استهانوا بفريضة الحج والعمرة ، واعتبروا زيارة قبر من قبور أئمتهم أفضل من ذلك بمئات المرات .

ظهر ذلك في كتبهم ورسائلهم ووثائقهم التاريخية ، بالنصوص الفارسية من ذلك رسالة أرسلها الشاه إسماعيل الصفوى إلى (شيبك خان زعم الأوزبك) وحملها له شيخ زاده ، بين له فيها أن زيارة قبر إمام من أئمة الشيعة في قبره تساوى سبعين حجة نافلة حيث يقول ما ترجمته :

(وعندما تنوى زيارة بيت الله الحرام التى هى من شعائر الإسلام ، فإنه يمكنك أن تدرك بهذه الوسيلة شرف زيارة ثامن الأئمة الهادين عليهم وعلى إمامهم الصلاة والتحية كما قيل فى الشعر : (إن طواف بابہ يساوى سبعين حجة نافلة حسب قول الرسول المدنى)^(١) .

(١) إسناد نامه هاوى تاريخى ، ص ٩٨ .

لقد وصل تعصب الشاه عباس الأول للمذهب الشيعي الاثنى عشرى وعدائه للمذهب السننى لدرجة أنه حاول إقناع الإيرانيين بالتخلي عن الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج ، والاكتفاء بزيارة قبر الإمام الثامن على بن موسى الرضا فى مشهد^(١) . ذلك لأن الواجب القومى يحتم عدم سفر الإيرانيين إلى مكة عبر أراضي الدولة العثمانية ، حتى لا يدفعوا لهذه الدولة المعادية رسم عبور ولكى يرغبهم الشاه فى التوجه إلى مشهد ، كان يكثر من التردد عليها وزيارة قبر الإمام الثامن لها كما كان سيره على الأقدام من أصفهان إلى مشهد مسافة ١٣٣٣ كم كان وسيلة من وسائل ترغيبهم فى تقليده والحج إلى ذلك المزار المشهدى ، بدلا من التوجه إلى الكعبة المشرفة) .

وقد ذهب خلفه الشاه عباس الأول الصفوى إلى أبعد من ذلك وغلا غلوا عظيما عندما أعلن تعصبه وتطرفه ضد المسلمين (السنة) واعتبرهم خبثاء لاهج لهم ، وإن حجوا فحجهم باطل .

فقد أعلن صراحة (بدون تقية) : أن الحق فى الحج للشيعه وحدهم وأن أهل السنة حجهم باطل باعتبار أن الشيعة أنقى نفسا من أهل السنة حيث جاء فى رسالة للشاه عباس الأول الصفوى أرسلها إلى الشيخ سعد الدين مستشار السلطان مراد الثالث العثمانى ما ترجمته :

(إن زيارة بيت الله الحرام والمشاعر المقدسة تستلزم خلوص النية وتزكية النفس والحذر من الحرص والشره والميول الشيطانية ، وبناء على ذلك فإن عقيدة الأشخاص الذين لا يهتمون بتهديب الأرواح وصفاء الضمير والباطن تكون ضعيفة وغير ثابتة ولا يصح لهم حج)^(٢) .

وإمعانا فى تطبيق المبادئ والعقائد ، واستهانة من الصفويين بالحرمين الشريفين وفريضة الحج وأداء المناسك والشعائر فيهما ، فقد حول الشاه عباس

(1) History Of Persia Vol 11 - P . 181 -

نقلا عن كتاب (الشاه عباس الكبير ص ١٠١ وما بعدها) . طبعة دار النهضة العربية الحديثة ، بيروت ، سنة ١٩٨٠ م .

(٢) إسناده نامه هاى تاريخى ، ص ٢٨٨ - ٢٩١ .

الصفوى صرف الناس عن الحج إلى مكة بأن حج حافيا مشيا على الأقدام من مدينة أصفهان إلى مدينة « مشهد » مسافة ١٣٣٣ كم لزيارة ضريح الإمام الرضا في مشهد ، حتى يقتدى به جماعته وينصرفوا عن الذهاب إلى مكة .

وقد بدأ الرحلة يوم الخميس الخامس عشر من جمادى الأولى ١٠١٠ هـ ، ووصل إلى مشهد في الرابع عشر من جمادى الآخرة من نفس العام ، وقضى ثلاثة أشهر يقوم بالخدمة^(١) للقبر .

ويبدو هذا واضحا من تصرفات الشاه عباس الصفوى إزاء قوافل الحجاج القادمة من آسيا عبر إيران والعراق ، فقد كان يشجع القبائل الموالية له على قطع الطريق وسلب أموال الحجاج والاعتداء على أرواحهم وأعراضهم .

وكل ذلك واضح جلى مثبت فى الوثائق الفارسية للدولة الصفوية .

ونكتفى بعرض نموذج واحد من الرسائل المتبادلة بين السلاطين العثمانيين والشاه عباس بهذا الشأن ، فقد كتب زعيم الأوزبك ، عبد المؤمن سلطان إلى الشاه عباس الأول الصفوى ما ترجمته :

(إن جماعة التركان الذين هم إستراباد وتلك النواحي أمثال كريالى وغيرها كلهم من قطاع الطرق وناقضى العهد وأساس الفتنة والفساد وقد فروا بمجرد سماعهم نبأ قدوم جيوشنا المنصورة لتأديبهم ، وبالضرورة سيلجأون إليكم للمحافضة على ما لهم وعيالهم ، ولما كان التجار والزوار يتخذون تلك الطرق للتشرف بزيارة الكعبة زادها الله شرفا ، فمن الضرورى اتخاذ التدابير المرضية حتى يأمن قاصدو الحرم المحترمون والتجار ، ومنها القضاء على جماعة قطاع الطرق وأولئك الأشرار من الناس الذين

(١) انظر كتاب (الشاه عباس الكبير) د . بديع جمعة ص ٩٦ ، حيث يقول : ويعلق رضا قليخان هدايت على هذه الرحلة بقوله : (يدرك علماء التاريخ أنه لا يوجد حاكم سلك مثل هذا الطريق الذى سلكه الشاه عباس ، وإذا كان هرقل قد سار من القسطنطينية إلى بيت المقدس ، فقد فرشوا له أرض الطريق بالورود والرياحين ، فى حين سلك الشاه عباس الطريق على الحصى والرمال دون أن يعبد أو يمهد ، وقد أثر أن يسير حافى القدمين) انظر ملحقات تاريخ روضة الصفا ٣٣١/٨ .

هم سبب الشر وأساس الفساد وباعث الخراب في البلاد (١) .

وقد رد الشاه عباس الأول على رسالة عبد المؤمن سلطان برسالة تدل على استهائه بأرواح حجاج بيت الله ، وتأنيده لقطاع الطريق الذين يصدونهم عن أداء فريضتهم في أثناء مرورهم بالأراضي الإيرانية . جاء رد عباس على عبد المؤمن سلطان ما ترجمته :

(أما فيما يتعلق بفساد تركان إستراباد وكرايلي الذي أشرت إليه وضرورة القضاء عليهم من أجل راحة وأمن حجاج بيت الله الحرام ، فلا يخفى عليكم أنهم من جملة المنسوبين إلينا والملازمين لبلاطنا ، وعندما يتعرض هؤلاء للقتل والضرر فإنه من الضروري لهم أن يدفعوا عن أنفسهم الشر والضرر ومعظم هذه الأمور من إصلاح البين (٢) .

وفحوى الرد الصفوى ينم عن سوء الأدب ، وخبث النية ، والاستهانة بحجاج بيت الله ، وتشجيعه لقطاع الطرق الذين يعتدون على أموال ودماء وأعراض الحجاج ، ووقوفه إلى جانبهم لحمايتهم والذود عنهم إذا تعرضوا لمن يؤذيه . وإذا كان الاعتداء بالقول أو بالفعل على حجاج بيت الله أمراً يدل على مدى استهانة الصفويين بالحرم وقداسته وحقوق حجاجه وعماره ، فإن هذا النوع من العدوان لا يمثل شيئاً يذكر أمام التخريب الذي ألحقوه بفريضة الحج ذاتها من تغيير جذري لمفهوم الحج ، أدى في النهاية إلى تشويه صورة الحج وإخراجه تماماً من إطاره الإسلامى إلى مهزلة لا تمت للحج الصحيح بأية صلة فقد أحدثوا بدعاً شيعية خاصة لا تتفق مع حقيقة الحج ولا روح الإسلام ، وأيدوا بدعهم بنصوص تعتمد على مصادرهم الشيعية وتأويلاتهم الباطنية التى تحقق لهم رغباتهم وأهدافهم فى تخريب هذه الفريضة (الحج) .

وسنعرض هنا لأهم التغييرات والبدع التى استحدثها الصفويون لإلغاء مفهوم الحج وإخراجه عن صورته الحقيقية .

(١) نقاوة الآثار ، ص ٤١٦ ، محمود بن هدايت الله ، طبع طهران سنة ١٣٥٠ هـ . ش .

(٢) المرجع السابق .

أ - إعلان البراءة من المشركين :

قرر علماء الشيعة الصفويون أن من شروط الحج إعلان البراءة من المشركين ، وأن هذه البراءة ينبغي أن تعلن من خلال مسيرات وهتافات اقتداء بعمل الإمام علي بن أبي طالب وابنه الحسين ، حيث تؤكد المصادر الشيعية أن الإمام الحسين هو أول من أقام مسيرات الحج للدعوة إلى عدم بيعه يزيد بن معاوية والبراءة من أنصار يزيد^(١) . وأن الذى وضع هذه الفكرة وأصل أصولها وقعد قواعدها وفرع فروعها هو أحد كبار علماء الدولة الصفوية وهو (محمد باقر المجلسي) شيخ الإسلام والمسلمين في عهد الملكين الصفويين سليمان وسلطان حسين .

والشيخ المجلسي هو مؤلف الموسوعة المذهبية الضخمة الشهيرة تحت عنوان (بحار الأنوار) . وكتب الكثير من الرسائل الذائعة الصيت حول الفكر الشيعي في مختلف المسائل الدينية والدنيوية .

وقد عمل المجلسي على أن يكون لرجال الدين الشيعي الصدارة في الحكم والإدارة وأن يكونوا وحدهم المتصرفين في شئون السياسة والحكم والإدارة وفقا لأصول المذهب الشيعي الذي يعطى للعلماء والفقهاء الشيعة تلك المكانة الخاصة . ومن هنا فقد ركز رجال الدين في العهد الصفوي على إعطاء (الحج) مفهوما سياسيا وبعدا شيعيا . جديدا لا يمت للحج بأية صلة ، بل اعتبروا هذا الحج بلاهة وسذاجة وغباء لأنه لا يحقق الغرض من الحج ومشروعيته - حسب زعمهم - .

ويقول الشيخ بهاء الدين العاملي شيخ الإسلام في عهد الشاه عباس الأول الصفوي في رباعيته يغمز فيها أهل السنة العثمانيين البلهاء :

حاجي بطواف كعبة اندرتك وبوست

وسعى وطواف هرجه كرادست نكوست

تقصير وي آنست له أورد ذكرى

قربان سازديجاي خود درره دوست^(٢)

(١) رسالت / محمود حقيقي ١٧ شهرير سنة ١٣٦٦ هـ . ش .

(٢) ديوان بهائي ص ١٢٥ طبع رجبى بطهران . نقلا عن بحث الدكتور / محمد السعيد عبد المؤمن (الاعتداءات الصفوية على الحرم المكي) ، ومعظم النصوص الصفوية التي أوردتها في هذا البحث معتمدة على هذا البحث .

وترجمتها :

(إن الحاج منهمك في طواف الكعبة وإن كل ما فعله من سعى وطواف هو عمل طيب . ولكن تقصيره في أنه أحضر غيره ليذبحه في سبيل الحب بدلا منه) .

ولا نستطيع المضي قدما مع التغيير الصفوى للحج وإعطائه أبعادا سياسية شيعية خاصة . والذي يعنينا في هذا المقام أن نوضح أصل فكرة البراءة من المشركين من خلال المسيرات والهاثافات ، نشأت في العهد الصفوى ، وصممها ووضع أصولها (محمد باقر المجلسي) وهو الذي أعجب به (الخميني) إعجابا ملك عليه حسه ونفسه حتى اعتبره أستاذه ومرشده وموجهه في كل أعماله وأفكاره ومنطلقه الفكري ، فبعد أن نجح الخميني في القضاء على الملكية تابع خطوات (المجلسي) خطوة خطوة ابتداء من وضع السلطة الفعلية في يد رجال الدين الشيعي وانتهاء بتنظيم المسيرات والهاثافات في الحج وإعلان البراءة من المشركين .

وهذا شأن الخميني في جميع المعتقدات الشيعية الإمامية ، فهو مجدد شيعي متطرف اعتمد الغلو والتعصب أساسا لفكره ومنهج حياته ، فالمتبع لآرائه ومعتقداته يجد أنها ترجع إلى الأصل الشيعي الإمام يأخذها ويبالغ فيها ويظل يغلو ويغلو حتى يصل بها إلى أعلى درجات الغلو والتطرف .

فقد أقام دولته وثورته كلها على أساس فكرة (ولاية الفقيه) . تلك الفكرة التي ظن كثير من الناس أنها جديدة وأنها من مخترعات الخميني ، وفي حقيقة الأمر أنه لم يأت بجديد غير المبالغة والغلو والتطرف ، فالفكرة بتمامها مأخوذة من أستاذه / محمد كاشف الغطاء الذي منحه لقبه الديني .

كما أن فكرة إعلان البراءة من المشركين وتنظيم المسيرات والهاثافات هي من أفكار (محمد باقر المجلسي) وعلماء الشيعة في العهد الصفوى ، ولكن الخميني طورها وبالع فيها حتى جعل من الحج وجميع المناسبات الدينية الشيعية فرصة لتصدير فكره وإذاعة معتقداته والدعاية لنفسه ، فصلاة الجمعة والأعياد وعاشوراء

وغيرها أصبحت مناسبات سياسية مهمة ينتظرها الخميني ورجال دولته لإعلان مفاهيمهم السياسية التي يودون إذاعتها في الناس ليكون لها القبول ، خاصة وأن العاطفة الدينية تكون متأججة في هذه المناسبات فيسهل قبول تلك الأفكار ، وما يساعد على ذلك تفشي الجهل والأمية في السواد الأعظم من المسلمين (سنة وشيعة) فلا يجرؤ أحد على مناقشة هذه القضايا الدينية والمذهبية لاسيما وأنها صادرة من كبار رجال الدين الذين وصلوا إلى مرتبة (المرجعية) والنيابة عن الإمام الغائب ، فهؤلاء لا يسألون عما يفعلون ، ولا يراجعون ، والرد عليهم كالرد على الله - حسب المعتقد الشيعي .

أعود إلى القول : إن الخميني أكد من خلال دستور جمهوريته الإيرانية على أن يكون المذهب الشيعي الاثنا عشري مذهباً رسمياً للدولة ودينها لها على الدوام لا يجوز تغييره أو تبديله إحياء للفكر الصفوي بكل أبعاده واتجاهاته ومنطقه ، فقد عرفنا أن الخميني حذا حذو الدولة الصفوية في إعلانها عن مذهبها الرسمي (الاثنى عشري) ديناً للدولة ، وضمنه دستوره الدائم .

وها هو يحذو حذوها في إعطاء الحج مفهوماً سياسياً يخرجها عن حقيقته الإسلامية ، وما شرع من أجله ، حيث يرى الخميني : أن الحج معناه الهجرة إلى الله ورسوله وهو الحج الإبراهيمي المحمدي الذي ظل معناه غربياً مهجوراً لسنوات من النواحي المعنوية أو السياسية أو الاجتماعية ، وأن على جميع الحجاج المسلمين أن يخرجوا بيت الله من غربته عن طريق إقامة المؤتمر السياسي والاجتماع لمنافع الناس والقيام بالقسط والاستمرار في تحطيم الأصنام .

ولذلك فإن ترديد البراءة أمر واجب في الحج ولمس الحجر الأسود بيعة الله ، كما أن السعي بين الصفا والمروة هو سعي للقاء الحبيب وقطع العلائق الدنيوية ، وبذلك صارت الكعبة رمزاً لمركز الثورة وتعبئة الجماهير المسلمة معنوياً ، وصارت الصفا والمروة تجسيدا للحركة الإسلامية الدائبة في مساعدة المظلومين ، وصار رجم مواقع الشيطان رجماً للقوى الاستكبارية العظمية في العالم^(١) .

(١) رسالة الخميني إلى الحجاج أول ذي القعدة ١٤٠٦ نقل عن صحيفة اطلاعات رقم ١٧٩٥١ بتاريخ ١٣٨٦/٨/٧ .

ويؤكد « الخميني » في رسالته للحجاج كل عام على ضرورة الهتاف بالبراءة من المشركين والظالمين في كل وقت ومكان ، وأن يكون الحجاج الإيرانيون دعاة حق ومبلغى لإسلام قولا وعملا عن طريق ترديد الهتافات والقيام بالمسيرات وعدم شراء السلع المعروضة في الحجاز لأنها من أمريكا وأعداء الإسلام ، ومؤكداً على أن إعلان البراءة من المشركين هو الخطوة الأولى لتحقيق أهداف الدين .

كما يؤكد زعماء النظام أن أيديولوجية النظام نبعت من اعتبار الإنسان الموحد هو الشخص الذي يهاجر من سوى الله إلى الله . وأن الخطوة الأولى في هذه الهجرة هو إعلان البراءة من المشركين والمنافقين وجميع الكفار والمستكبرين ، لذلك كان إعلان البراءة من أركان التوحيد ومن الواجبات السياسية للحج ويكون هذا الإعلان هو المرحلة الأولى للكفاح ضد الظالمين .

ومن هنا نلاحظ الفارق الكبير في مفهوم الحج التقليدي (الإسلامى الصحيح) وبين مفهوم الحج الصفوى الخمينى السياسى .

فقد حرصت حكومة خدام الحرمين الشريفين - وتحرص - على التأكيد على الحج الصحيح ، وأن يكون الحج مناسبة للعبادة والتقرب إلى الله ، بأداء أركان الحج وشروطه المعتبرة شرعا دون زيادة أو نقصان ، ودون بدع ومخترعات صفوية أو خمينية ، فالحج عبادة خالصة لله ، ولا مكان فيها لغير الله ، ولا يجوز أن يذكر فيها اسم مع اسمه ، أو وصف مع وصفه سبحانه .

فمنذ أن فرض الله تعالى الحج لم يرفع - خلال مواسم الحج - شعار سوى شعار (الله أكبر) ولم يذكر إلا (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك) إلا أنه منذ سنة ١٤٠٠ هـ ، بدأت ظاهرة الحج الإيرانية الخميني ، حيث جاء الحجاج الإيرانيون بأعداد تزداد عاما بعد عام - كما بينا - حتى وصل تعدادهم حوالى ١٧٠.٠٠٠ ألف حاج ، جاءوا الأراضى المقدسة لتطبيق الحج الخميني الصفوى حاملين صورا لحكام طهران ، والآيات والأرواح من نعرف ومن لا نعرف . جاءوا يرددون النداءات والهتافات ، ويصنعون الملصقات على الجدران والسيارات وفي كل مكان .

جاءوا بشعار (لييك يا خمينى) بدل (لييك اللهم لبيك) !
جاءوا يحملون « المتفجرات » بكميات تكفى للقضاء على معظم المسلمين في
الحج .

جاءوا يحملون معهم (مفاتيح الجنة) ، وأن يخلعوا ملابس الإحرام ويتوضأوا
بدم المسلمين السنة ، ولهم في مقابل ذلك جنات « الخمينى » !

ولما وصلت التجاوزات الخمينية الإيرانية ، والمظاهرات الغوغائية ، ورفع الصور
والشعارات حدا لا يمكن الصبر عليه ، بعث الملك خالد بن عبد العزيز - يرحمه
الله - برقية إلى الخمينى بتاريخ ١٢/١٢/١٤٠١ هـ الموافق ١٠/١٠/١٩٨١ م
يقول فيها إن هذه التظاهرات السياسية تتنافى ومكانة الشعب الإيرانى ويطلب من
الخمينى أن يقتصر نشاط الحجاج الإيرانيين على أداء مناسك الحج فقط .

فرد الخمينى ردا قبيحا يكشف عن سوء نيته ، ورغبته فى تحويل الحج من
معناه الحقيقى الذى شرعه الله من أجله إلى حج سياسى لتصدير أفكاره وثورته ،
وكسب ولاء الشعوب الإسلامية لكى يأخذ الحجاج البيعة له فى الحرمين الشريفين
كإمام للمسلمين أجمعين نيابة عن الإمام الغائب !

وهنا ثبت رده بالنص الحرفى فى برقيته للملك خالد يرحمه الله ، جاء فيها ما
يلى :

(حضرة الملك خالد بن عبد العزيز ملك العربية السعودية) .

لقد تلقينا رسالتكم ... إن ما ذكرته سفارة الجمهورية الإسلامية هو الصحيح
فأنا أرى أن جميع مشاكل ومصائب المسلمين وحكومات الأقطار الإسلامية هى
فى اختلافهم والنفاق الموجود بينهم .

وإن الأقطار الإسلامية بسكانها الذى يبلغ مليار نسمة ، وهى تملك ثروات
كبيرة تحت الأرض ، وعلى نحو خاص بحار النفط التى تشكل الشريان الأسمى
للقوى العظمى . وقد حباها الله بأحكام القرآن الكريم ، والتعليمات العبادية
والسياسية للنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وآله وسلم التى تحث المسلمين على

الإعتصام بحبل الله ونبذ الفرقة ، والتمزق ، ولها ملاذها وملجؤها في الحرمين الشريفين ، اللذين كانا في عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله وسلم ، مركزين للعبادة والسياسة الإسلامية ، وبقياً كذلك فترة طويلة بعد وفاة النبي الأكرم ، وكان يتم التخطيط للفتوحات والسياسات من هذين المركزين السياسى والعبادى (...)

فلماذا يجب أن تجرى الأمور في صدد الأغراض والدعايات الواسعة للقوى الكبرى إلى اعتبار المشاركة في الشؤون السياسية والاجتماعية التي تعتبر من أهم شئون المسلمين داخل الحرمين الشريفين جريمة ، الأمر الذي دفع بالبوليس السعودي إلى دخول المسجد الحرام ، المكان الآمن للجميع ، وحتى للمنحرفين طبقاً لأحكام الباري تعالى وما جاء في كتابه الكريم ، ومهاجمة المسلمين بالأخذية والسلاح وضربهم وسوقهم إلى السجون ؟

فهل أن جريمة هؤلاء أنهم هتفوا ضد أمريكا وإسرائيل عدوتى الله ورسوله ، فأنا لا أعلم إن كانت تصلكم تقارير صحيحة عما يجرى من مسائل وأمور في بلادكم والحرمين الشريفين أو أنهم حرفوا وشوهوا شعارات الإيرانيين التي كانوا يهتفون بها ، وهى مشهورة في كل مكان ، ورفعوا تقارير مشوهة بها إليكم .

وأنا لا أعلم ما هو استنتاج (...) أئمة الجماعة للحرمين الشريفين من الإسلام وكذلك من حج بيت الله الحرام المسئول كله بالسياسة (...) فأين هذه الآثار الشيعية الإمامية وأين منها الخمينى في ادعاءاته أن مسيراته لها أصل شرعى ؟

وماذا يقول في قول أبى عبد الله عليه السلام (سبق ذكره) : إذا أحرمت فعليك بتقوى الله وذكر الله كثيراً وقلة الكلام إلا بخير ، فإن من تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلا من خير ..) .

أيعتبر التهريج والغوغائية ورفع صوره وإصاقها على الجدران والحيطان من الخير ؟ .
أيعتبر سفك الدم الحرام في الشهر الحرام وأن يتوضأ شيعته بدماء إخوانهم السنة من الخير ؟

أيعتبر ترديد هتافات (لبيك يا خمينى) من الخير ؟

ومن هم المشركون الذين يعلن الخميني وحججه البراءة منهم ؟ هل يحج المشركون ويدخلون مكة والمدينة ؟
هل يوجد يهود وأمريكان ووثنيون في الحرمين الشريفين حتى يعلن الخميني البراءة منهم ؟

لقد أعلنت البراءة من المشركين في السنة التاسعة من الهجرة بعد نزول آيات سورة (براءة) التي يقول الله تعالى فيها : ﴿ براءة من الله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴾ الآية ، وقد عهد رسول الله ﷺ عند نزول هذه الآيات للإمام على رضي الله عنه بإبلاغها للناس في موسم الحج ، وكان أبو بكر رضي الله عنه قد سبقه إلى الحج أميرا عليه فألحقه رسول الله ﷺ به لنزول الآيات بعد سفره بقافلة الحج من المدينة . فركب الإمام على رضي الله عنه ناقه رسول الله حتى وصل إلى منى وخطب الناس عند جمرة العقبة وغيرها من المواضع حيث يتجمع الحجاج مسلمهم ومشركهم لأن الناس جميعا كانوا يحجون (سواء أكانوا مسلمين أم مشركين) .

فكان ينادى بكلمات أمره رسول الله عليه الصلاة والسلام بالمناداة بها : فيقول (أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم بألا يدخل البيت كافر ولا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله فله عهده إلى مدته ، ومن لا عهد له فله أربعة أشهر وتلا عليهم ثلاث عشرة آية من سورة براءة)^(١) .

وكان بداية لاتباع الناس للقسط والعدل وإزالة المظالم وأعمال النهب وهي السياسة العامة للأنبياء العظام وخاصة لسيدنا خاتم النبيين صلوات الله عليه وآله . وماذا فهم أئمة الحرمين من كل ذلك حتى يمنعوا حجاج الحرمين الشريفين وباسم الإسلام من التدخل في السياسة والهتاف ضد إسرائيل وأمريكا (...) وهذا المنع مخالف لسيرة النبي العظيم صلوات الله عليه وآله ، والمسلمون (كذا)

(١) مجمع البیان فی علوم القرآن للطبری ٨/٥ وهذا تفسير شيعي تعمدنا أخذ النص منه .

في صدر الإسلام .

لو أن حكومة الحجاز (كذا) قد استفادت من فريضة الحج العبادية والسياسية باشتراك الملايين من المسلمين لما كانت تحتاج إلى أمريكا ، وطائرات (أوأكسها) وسائر القوى الكبرى ، ولكن يمكن حل مشاكل المسلمين) .
نعود الآن إلى توضيح ما يدعيه الخميني من كل قضية من هذه القضايا .

أولا : قضية البراءة من المشركين :

لو عدنا إلى قصة « البراءة » من المشركين في كتب السنة والشيعة على السواء التي يقول الصفويون والخمينيون أن لها أصلا شرعيا ، فإننا لن نجد أية إشارة إلى هذه البراءة من الذكر الذي أوجبه الله في مناسك الحج حتى اعتبر الخميني أن منع الهتافات بالبراءة مخالف لسيرة النبي ﷺ ، والصدر الإسلامي الأول ، واعتبر الحرمين الشريفين مركزين للعبادة والسياسة زمن النبي ﷺ ، واعتبر الهتافات السياسية ضد أمريكا وإسرائيل داخل الحرمين الشريفين من أهم شئون المسلمين ؟

وهل لهذه الهتافات والغوغائية والاعتداءات والتجاوزات أصل في الشريعة الإسلامية ؟

لقد استعرضنا النصوص في حرمة الحرمين الشريفين ، ووجدنا تهديدا شديدا لمن يحدث في الحرمين أي حدث مهما كان حتى مجرد النية السيئة .

ولقد رجعت إلى كتب الشيعة الإمامية لعل أجد فيها نصا أو إشارة لهذه البدعة « الخمينية الصفوية » فلم أجد شيئا ، بل وجدت عكس ذلك ، إلا إذا كانوا يكتبون شيئا ، ويضمرون شيئا آخر ، يسرونه فيما بينهم على مبدأ (التقية) وهي أساس عقيدتهم ومذهبهم .

لقد تضافرت النصوص والآثار على أن الحرمين الشريفين محل سكينة ووقار وذكر لله سبحانه وحده ، وتعظيم لشأنه ، وتلاوة لكتابه ، وصلاة وسلام على رسوله ﷺ في تواضع وأدب .

وهل نسينا قول الله تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ وماذا يقول المفسرون الشيعة والأئمة من آل البيت في كل هذا ؟
وهنا يحسن أن نورد طائفة من فقه الشيعة الإمامية في آداب دخول الحرمين الشريفين .

جاء في « فروع الكافي » عن أبان بن تغلب قال : كنت مع أبي عبد الله عليه السلام مزاملة بين مكة والمدينة ، فلما انتهى إلى الحرم ، نزل واغتسل وأخذ نعليه بيديه ثم دخل الحرم حافيا ، فصنعت مثل ما صنع ، فقال يا أبان من صنع مثل ما رأيتني تواضعا لله ، محبا لله عنه مائة ألف سيئة وكتب له مائة ألف حسنة ، وبني الله عز وجل له مائة ألف درجة ، وقضى له مائة ألف حاجة .
وفي المرجع ذاته عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال : (إذا دخلت المسجد الحرام فادخله حافيا على السكينة والوقار والخشوع) .
وقال : ومن دخله بخشوع غفر الله له - إن شاء الله - قلت : وما الخشوع ؟
قال : السكينة لا تدخله بتكبر ، فإذا انتهيت إلى باب المسجد فقم وقل : (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) .

وفي المناقب أن زين العابدين عليه السلام - رأى الحسن البصري عند الحجر يقص فكان مما قال له : أفلله معاذ غير البيت ؟ قال : لا ، قال : فلم تشغل الناس عن الطواف ، ثم مضى . قال الحسن البصري : ما دخل مسامعى مثل هذه الكلمات من أحد ، أتعرفون هذا الرجل ؟ قالوا : هذا زين العابدين فقال الحسن : ذرية بعضها من بعض .

وفي فروع الكافي عن معاوية بن عمار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴾ قال : كل ظلم إلحاد وضرب الخادم في غير ذنب إلحاد .

وفي المصدر ذاته عن معاوية بن عمار : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل قتل رجلا في الحل ثم دخل الحرم ؟ فقال : لا يقتل ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع ولا يؤوى حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد ، قلت : فما نقول في رجل قتل في الحرم أو سرق قال : يقام عليه الحد في الحرم صاغرا إنه لم يرد للحرم

حرمة . وقال الله تعالى : ﴿ فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ وقال : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ .

وفي الخصال عن علي عليه السلام في حديث الأربعمائة قال : لا تخرجوا بالسيوف إلى الحرم ولا يصلين أحداكم وبين يديه سيف فإن القبلة أمن .

وفي تفسير مجمع البيان للطبرسي^(١) : لقوله ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴾ يذكر جميع الروايات التي وردت في كتب السنة . فيقول : الإلحاد : العدول عن القصد واختلف في معناه ، ف قيل : هو الشرك وعبادة غير الله قاله قتادة . فكأنه قال : ومن يرد فيه ميلا عن الحق بأن يعبد غير الله ظلما وعدوانا ، وقيل هو : استحلال الحرام والركوب للآثام (عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وابن زيد) ، وقيل : هو كل شيء نهى عنه حتى شتم الخادم لأن الذنوب هناك أعظم ، وقيل : هو دخول مكة بغير إحرام (عن عطاء) .

وجاء في الفروع قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا أحرمت فعليك بتقوى الله وذكر الله كثيرا وقلة الكلام إلا بخير ، فإن من تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلا من خير ، كما قال الله عز وجل : ﴿ فمن فرض فيهنّ الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ .

وفي تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن في تفسير قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾ . أن المعنى المراد : إذا قضيتُم ما وجب عليكم من أفعال الحج فاذكروا الله . واختلف في الذكر على قولين :

أحدهما : أن المراد به : التكبير المختص بأيام منى ، لأنه الذكر المرغّب فيه المندوب إليه في هذه الأيام .

والآخر : أن المراد به سائر الأدعية في تلك المواطن لأن الدعاء فيها أفضل من غيرها .

(١) مجمع البيان ٧٢/٢ ، ٧٣ .

﴿ كذركم آباءكم ﴾ معناه : ما روى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام - أنهم كانوا إذا فرغوا من الحج - يجتمعون هناك ويعدون مفاخر آبائهم ومآثرهم ويذكرون أيامهم القديمة وأيادهم الجسيمة ، فأمرهم الله سبحانه أن يذكروه ، فكان ذكرهم آباءهم في هذه المواضع .

﴿ أو أشد ذكرا ﴾ أو يزيد على ذلك بأن يذكروا نعم الله ويعدوا آلاءه ويشكروا نعماءه ، لا آباءهم - وإن كان لهم عليهم أياد ونعم - فنعم الله عليهم أعظم وأياديه أفخم ، ولأنه المنعم بتلك المآثر والمفاخر على آبائهم وعليهم .

وقد وردت في كتب الشيعة الإمامية العديد من النصوص والآثار الصحيحة في تحريم حرم المدينة ، قال رسول الله ﷺ : « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » أى توبة ولا فدية .

كما وردت العديد من الآثار في الترغيب في زيارة المدينة وفضلها وحرمتها ، فيرجع إليها لزيادة الفائدة .. ولم نجد أثرا واحدا ولا حتى مجرد الإشارة لبدعة الخميني ومن سبقه من الصفويين في هذه البراءة والمسيرات والهاتافات .

جاء في تفسير العياشي عن أبان بن تغلب قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ قال : جعلها الله لدينهم ومعاشهم .

ففى الحج وحدة المسلمين وتعارفهم وتشاورهم وتعاونهم على البر والتقوى ، وتناصحهم فى أمور الدين والدنيا ، إنه وفادة إلى الله عز وجل مستغفرا مما كان مستقبلا لما يكون .

وهذه الآثار قليل من كثير فى مناسك الحج وشعائره ، وفى حرمة الحرمين الشريفين ، ليست فيها أية شعارات ولا هتافات ولا نداءات ولا صور ولا ملصقات ليس فيها إلا ذكر الله وشكره ، واستغفاره والإنابة إليه ﴿ كذركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾ .

ولذا فقد قال الإمام الأكبر شيخ الأزهر : (إن رفع أية شعارات ، أو المناداة

باسم أى شخص .. أو القيام بالمسيرات إنما هو صد عن سبيل الله وعن شعائر الحج التى فرضها الله ..) .

وهذا النص متفق عليه بين علماء المذاهب الإسلامية جميعا لأنه مضمون نص الآيات القرآنية الواردة فى شأن عهود المشركين من الآية الأولى من سورة براءة إلى الآية الثامنة والعشرين من نفس السورة .

وواضح أن هذا البلاغ الذى أذاعه الإمام على رضى الله عنه وأبو بكر الصديق رضى الله عنه وأبو هريرة رضى الله عنه وغيرهم ليس من مناسك الحج ولا من شعائره ، ولم يقل أحد من علماء السنة ولا الشيعة أنه من شروط الحج . فهل بعد هذا يجوز أن يحتج الخمينى بهذه البراءة وأن يقيم المسيرات والاحتفالات والنداءات ؟

ولكنه التأويل الصفوى الخمينى الفاسد البعيد عن معانى القرآن ، فادعى الخمينى فكرة البراءة من المستكبرين والظالمين ، والاحتفاف بذلك فى مظاهرات صاخبة ، تفسد كل معانى الحج ، وتذهب بحرمه الحرمين الشريفين ، مدعيا أنه بذلك يقتدى برسول الله ﷺ ، ويتمسح بهذا التأويل الفاسد لكسب ولاء البلهاء والسذج والعوام الذى لا علم لهم ولا دراية .

وحجة الخمينى هذه كحجج الشياطين المفسدين فى الأرض ، لما كانت براءة الله ورسوله من المشركين فى أواخر السنة التاسعة من الهجرة إلّا مرحلة من مراحل الجهاد فى سبيل الله ، واخلوص الجزيرة العربية من الشرك والمشركين لتكون القاعدة الصلبة النقية الطاهرة من أى دين غير دين الله ، دين الوجدانية ، فهو خطوة فى تنظيم الدولة الإسلامية الجديدة القائمة جيثذ بالمدينة المنورة ، وبسط سلطانها على الحرمين الشريفين ، بعد تطهيرهما من رجس ودنس المشركين الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة رجالا ونساء .

ولذا جاء البلاغ والإعلان العام يوم الحج الأكبر للناس كافة مسلمهم ومشركهم (فلا يحجن بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان) ، وبالتالى لا يرتفع أى اسم غير اسم الله ، ولا يذكر أحد بأى اسم أو وصف غير (لبيك اللهم

لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك) ولا يتردد صوت في أرض الحرمين إلا بكلمة التوحيد الخالص .

والأمر لم يزد على هذا ، ومن شاء التأكد فليراجع كتب التفسير عند السنة والشيعه على حد سواء ، ومن أراد التفصيل فليراجع كتابنا العلاقات الدولية في الإسلام على ضوء الإعجاز البياني لسورة التوبة .

فالأمر لم يعد أن يكون مجرد آيات نزلت من القرآن الكريم لتحديد العلاقات النهائية بين المسلمين والمشركون ، ولم تكن مظاهرة ولا مسيرة ولم يهتف بهذا البلاغ غير أبي بكر وعلى وأبي هريرة رضي الله عنهم ، ولم يكن هناك اختراق لآداب الحج ، وتعديا على حرمة الأماكن المقدسة ، ولا حتى مجرد الاقتراب من البيت الحرام ، ولم يسمع الناس غير (لبيك اللهم لبيك) فأين هذا من هتافات حجاج خميني ومظاهراتهم الصاخبة المرهبة المربعة التي تملأ جنبات الحرمين الشريفين عجيجا وضجيجا بمكبرات الصوت ، والمتظاهرون يسرون بطريقة جنونية كالسيل العرم لا يبقى على شيء مر عليه ، ولا تصل أيديهم إلى شيء إلا دمروه وأحرقوه ، وعبثوا به حتى ولو كان الحرم الشريف .

ويعلل الخطيب البغدادي^(١) من قديم اعتداءات الشيعة القدماء على الحرم الشريف بأن الغرض منها تدعيم الفكرة الشيعية الباطنية المجوسية من إبطال الحج وهدم الكعبة .

وصدق البغدادي في معرفة هدف الشيعة من إبطال الحج ، وهدم الكعبة - وقد ذكرنا - ذلك في الوثائق التاريخية لأهداف الاعتداءات الخمينية على الحرم الشريف في حج عام ١٤٠٧ هـ .

وإذا كان الخميني قد علل ما يقوم به حجاجه وحرسه الثوري في الحرمين بأنه لإعلان البراءة من المشركون ، فإنه يقصد بذلك التبري من المسلمين السنة لأنه

(١) انظر كتاب (نشأة الفكر الفلسفي ٤٧٣/٢ للدكتور علي سامي النشار) . وكتاب (كشف أسرار الباطنية ص ٦٤ لليمانى) .

لا يوجد في أرض الحرمين الشريفين مشرك واحد لا من أمريكا ولا من إسرائيل ولا من غيرها . فالجميع مسلمون وضيوف للرحمن يرجون رحمته ويخافون عقابه . وبالطبع إن اعتبار السنة مشركين هذا من صميم عقيدة الخميني ، لأن السنة من العوام ، والنواصب ، وهم كفار تستباح دماؤهم وأعراضهم ومقدساتهم^(١) .

وقديما تعلق القرامطة في اعتداءاتهم على الحرم الشريف سنة ٣١٧ هـ وقتلهم نحو ثلاثين ألف حاج وردم بئر زمزم بجثثهم ، ودفن الباقي في أرض الحرم من غير غسل ولا صلاة ولا تكفين وانتزاع الحجر الأسود ، كل ذلكم وغيره كما مر معنا - مستساغ وله علة وأسباب وحجج شيطانية كحجج الخميني .

فقد برر أبو طاهر سليمان الجنابي في سنة ٣١٧ هـ اعتداءاته هذه بقوله : (بأنه ما فعل ذلك إلا بعد وضوح الحجة كإيضاح الشمس ، وإن طوائف منهم) أي أهل السنة ادعوا أنهم أبرار ، ومعاينتي لهم أخلاق الفجار ، فحكمت عليهم بحكم الله ، ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

فهذا القرمطي الشيعي يخاف الله رب العالمين ، ويحرص على تطبيق شرع الله ، وتنفيذ حكمه ، فقتل من قتل وفعل ما فعل تقربا إلى الله في الشهر الحرام والبلد الحرام ؟ ! !

وقد برر هدمه لمساكن المسلمين السنة في رده على الخليفة العباسي المقتدر بقوله وأما ما ذكرت من إحراق مساجد الأبرار ، فأى مساجد أحق بالخراب من مساجد إذا توسطتها سمعت الكذب على الله ورسوله^(٢) الخ .

ويؤكد الدكتور على سامي النشار أن غاية أبي طاهر سليمان الجنابي من خلع الحجر الأسود والعبث بالبيت الحرام وحجججه ، كانت إيقاف الحج بإرهاب الحجاج ، لأنه يتم على مذهب أهل السنة ، وباسم الخليفة العباسي عدو آل البيت ، وكان أبو طاهر قد فعل ذلك لاعتقاد أن دور الإمام المنتظر قد أظل

(١) راجع كتب الخميني (كشف الأسرار والحكومة الإسلامية .. وغيره) .

(٢) نقلا عن كتاب (نشأة الفكر الفلسفي ٤٦٦/٢ للدكتور النشار) .

زمانه ، وأنه يمهد الأرض له .

وهو الشيء ذاته الذى قاله الخمينى للحجاج الإيرانيين فى خطبة ألقاها عليهم . فإن يكفر فقد كفر أخ له من قبل ، وإن يكذب وينتحل الحجج فليس فى ذلك غرابة لمن كان تسعة أعشار دينه فى الكذب (التقية) !

لقد فسر الخمينى ورجال دينه الذين مكن لهم من رقاب المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، لقد فسروا الحج وسائر العبادات تفسيرات تتناسب مع نفوسهم ونياتهم الخبيثة فى فرض سيطرتهم على العالم الإسلامى كله ونشر مذهبهم ومعتقداتهم الكافرة .

وقد نشطت حركة التأليف والنشر والتوزيع بملايين الكتب والنشرات والمجلات التى توزع مجانا وتصل إلى كل إنسان فى أى مكان كان .

من ذلك أنهم أنشأوا مؤسسة للحج للتأليف والنشر ، وقد نشرت هذه المؤسسة عشرات الكتب وآلاف المجلات وملايين النشرات . من ذلك (كتاب الحج) تأليف عباس الزنجانى سنة ١٤٠٥ هـ . فقد تأول النصوص تأويلا يخرجها عن مضمونها وحقيقتها لتلائم الضلالات الخمينية . فقد تأول مفهوم (الجدل) فى قوله تعالى : ﴿ ولا جدال فى الحج ﴾ بقوله : (أى الجدل نهى عنه فى الحج ؟) .

أهذه الحركة السياسية العبادية التى تحدث فى أيام الحج ببركة انتصار الثورة الإسلامية فى إيران ، بقيادة الإمام الخومينى حفظه الله وبفضل انتشار الوعى والتفقه الإسلامى الصحيح ، وصحوة الشعوب الإسلامية ؟ !

أهذه المسيرة الداعية إلى توحيد صفوف المسلمين أمام الكفر والإلحاد والاستكبار العالمى ؟ ! !

أهذه المسيرات الشاجبة كل الخونة المتلاعبين بمقدرات الأمة الإسلامية والمتاجرين بالشعوب فى أسواق السياسة ؟ !

ويخرج من كل هذه الأسئلة الإنكارية إلى إباحة المظاهرات والهاتافات بحياة الخمينى وسقوط أعدائه ، وكذا إباحة تصدير الثورة عن طريق الحجاج ولو أدى

ذلك إلى إجبارهم على الهتاف معهم ! !
ويعترف الكاتب الخميني بالآثار السيئة التي تؤدي إليها المظاهرات والمسيرات
في الحج ، فيقول :

(صحيح أن هذه الحركة المقدسة السياسية العبادية في الحج قد تجر إلى
العداء ، ولكن ينبغي أن نعرف الجانب الآخر من هذه المعاداة ، هل إنها معاداة
بين المسلمين ، أم معاداة بين أبناء الأمة من جهة ، وبين المتسلطين المعتدين الغزاة
من كل أعداء الإسلام من جهة أخرى) .

ثم يستطرد إلى القول مبينا أن حماة الحرم وسدنة البيت ليسوا مسلمين وأنهم
كفرة لأنهم يقفون في وجه هذه المسيرات والمظاهرات فيقول :

وإن انجرت الحركة التوعوية إلى تلك المعاداة من أهداف الإسلام ومن غاياته ،
وليست حراما بل من واجبات الإسلام ، فعلى أولئك الذين يواجهون الصحوة
الإسلامية في موسم الحج بقمع وكسر ووحشية أن يعلموا أنهم هم العاملون على
البغضاء والتفرقة والتشتت بين الأمة الإسلامية ، وليحذروا أن يكونوا مصداق قوله
تعالى : ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات
أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ .

هكذا ويمتتهى البساطة والسهولة يطلق كلمة « الكفر » على المسلمين لأنهم لا
يوافقون أحكام طهران على هذه الغوغائية والهمجية ! !

ولا يكتفى ذلك المأفون الأفاك الأثيم بإلقاء كلمات « الكفر » هكذا يكيلها
جزافا على المسلمين السنة ، بل يعود إلى توضيح الأسلوب الذي يجب أن يواجه
به هؤلاء الغوغاء أهل الحرمين خاصة والسنة عامة ، فيقول :

وهذا الأسلوب واجهنا الانحراف في إيران ، نفس هؤلاء المسلمين الغياري ،
الذين يدوى صوتهم في رحاب الأرض المقدسة بالتكبير ، ومن البراءة من المشركين
والكافرين في موسم الحج ، فلو أحسوا بوجود أيدٍ عملية عابثة تريد استغلال
الموسم لتنفيذ مصالحها الدنيئة ومصالح أسيادها لاتجهوا بقبضاتهم وبغزمهم نحو
تلك الأيادي الآثمة لتلقنها درسا لن تنساه أبدا ، حتى ولو لم يوجد جندي
واحد ولا شرطى واحد يصد هذه الفئة المغرضة لتحقيق بذلك مضمون

قوله تعالى : ﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ﴾ .

ثم ينتهى الكاتب الخمينى إلى تحديد أهداف الحج بقوله :

(تجزئة الحج والإيمان بظاهره وترك محتواه ما هو إلا تجزئة للإيمان ، ما نريده من الحج هو إعلان البراءة من الممارسات السياسية الظالمة لجهة الكفر والشرك ، والدعوة إلى الوحدة ، ومواجهة المد الإلحادى الكافر) .

فترى من مقال الكاتب كيف أن أهل السنة فى اعتقاده كفار ، وأن مفهوم الوحدة عنده هو امتداد الإمبراطورية الخمينية لتشمل كامل تراب البلاد الإسلامية على أن تكون قاعدة انطلاق الإمبراطورية مكة المكرمة ، فمن مكة المكرمة يريدون نشر أفكارهم ومعتقداتهم الفاسدة عن طريق عرضها على حجاج الأمة الإسلامية بواسطة هذه المسيرات والمظاهرات والصور والملصقات والنداءات .

وقد أبانوا عن نياتهم الخبيثة ، ونواياهم السيئة من استغلال موسم الحج ، وتجمع أكبر عدد من المسلمين من شتى أقطار الأرض ، متعللين بفعل الرسول الأعظم ﷺ فى عرض الدعوة فى موسم الحج . يقول الكاتب :

(إن رسول الله كان يستثمر موسم الحج أفضل استثمار فى الاتصال بالأفراد والقبائل العربية . ولعل المركز الذى تتمتع به مكة فى استقطاب القبائل لدى موسم الحج هى التى جعلت رسول الله يبقى فيها ثلاثة عشر عاما متحملا ألوان المشاق . وكتب السيرة تنقل صورا كثيرة من اتصالات رسول الله بالشخصيات والقبائل العربية فى موسم الحج . فكيف يترك صاحب الدعوة المباركة هذا الجمع الغفير المتدفق على مكة من كل حدب وصوب دون أن يسمعهم كلام الله) .

إن هذا الكلام فى منتهى الخطورة ، ويكشف العديد من النوايا الإيرانية للأمة الإسلامية ، وأول هذه النوايا : أن النظام الإيرانى يرى الأمة الإسلامية مجموعة من الكفرة الذين لم يؤمنوا بعد ، وأن المؤمنين الحقيقيين هم جماعة الخمينى ، وعليه وهو فى مقام الرسول الأعظم أن يقوم بواجب التبليغ للدعوة (ويعنى بها الدعوة الخمينية - أى - الدين الصحيح) عليه أن يستثمر وجود المشركين (المسلمين) حول البيت العتيق ويسمعهم آراء ومعتقدات الخمينى كما كان رسول الله ﷺ

يسمعهم كلام الله . فكلام الخميني وهتافاته بمثابة آيات الله وكلماته ! ! ودعوة الخميني بمثابة الدعوة إلى الله . والمسلمون من حجاج ومقيمين بمثابة المشركين ! ! ودعاة الخميني يريدون تصدير أفكار قائدهم وإمامهم إلى جميع المسلمين في موسم الحج عن طريق أخذ مبايعتهم وأخذ العهد عليهم تماما كما فعل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في بيعة العقبة ، حتى يجد الخميني له أرضا جديدة في بلاد المسلمين ، وحتى يجد له أنصارا يروجون لدعوته وينشرون مذهبه ، وهكذا .

ويوضح كاتب إيراني آخر مفهوم « الوحدة » عند الخميني وشيعته ، بأنها تصدير للثورة الخمينية ، وإقامة الإمبراطورية الإيرانية على كامل البلاد الإسلامية وأن خير وسيلة يجب استغلالها هي الحج .

ففي كتاب (حرم كجاست) أي (أرشدني إلى طريق الحرم) نشر في عام ١٤٠٥ هـ يقوم الرسام الإيراني « ناصر » برسم صور الحج ، مبتدأ بمفهوم الوحدة الذي يعنى التقاء كل المسلمين ، ومن خلال الصور يتم تلقيح فكري ، وذلك بتصدير الثورة من قلوب الإيرانيين وأفواههم إلى الحجيج من كل مكان ، فيرجعون وقد حملوا جميعا صورة الخميني ، وثورة الخميني ، عن طريق الوحدة والبراءة ؛ الوحدة تحت إمامة الخميني ، والبراءة من الكفر باعتناق المذهب الشيعي .

ويعتبر الخميني جميع المسلمين (السنة) أعداء له ولثورته ، ويحرض الحجاج الإيرانيين خاصة والإيرانيين عامة على قتال المسلمين وإراقة دمائهم لنشر المذهب الخميني فيقول :

(الشيطان الأكبر المدعور من صدور الثورة الإسلامية في إيران إلى سائر البلدان الإسلامية ، وغير الإسلامية ... دافعوا حيثما كنتم عن إسلامكم ووطنكم وقاوموا عدوكم) .

ويتكرر التحريض لإراقة دماء المسلمين السنة كثيرا على ألسنة المسؤولين والكتاب الإيرانيين ، ويعتبرون الدم وسيلة من وسائل « النصر » .

فهذا (محمد علي التسخيري) مؤلف كتاب (روافد الشعور عند المسلم الحاج) سنة ١٤٠٥ هـ .

يقول : (إن العيد يحمل معاني كبيرة ويوم انتصار التضحية والدم على الطاغوت والشيطان) .

ثم يقول : (إن لقمة لا بد أن تأكلها قد غمست في الدم) .

ويفسر الكاتب الخميني فيلسوف النظام الإيراني (عباس الزنجاني) هذه الأقوال في كتابه الذي صدر سنة ١٤٠٥ هـ باسم (الحج) فيقول متحمسا :

(إنها لمأساة أيها المسلمون ، ما بعدها مأساة أن يتهم كل الدعاة إلى حج حقيقي إسلامي ، بأنهم مبتدعون في الحج !

إنها لمأساة ما بعدها مأساة ، أن يكون موسم الحج بكل حركاته وسكناته تحت سيطرة أمريكا عدو الإسلام والمسلمين بشكل مباشر وغير مباشر .

إنها لمسئولية كبرى يتحملها المسلمون عامة ، وخادم الحرمين الشريفين خاصة ، تتمثل في كسر هذه الأوثان القائمة في البيت الحرام ، وتطهيره من الشرك ، كي يعود قاعدة التوحيد ، ومنطلقا لنهوض الأمة) .

ثم يقول : (التخاذل أمام أعداء الإسلام ، ومنع المسلمين من الهتاف في موسم الحج ضد أمريكا وروسيا وإسرائيل لا يقي ولاية الأمور من خطر الطواغيت . فلم التخاذل ياحكام السعودية ؟ ! لماذا تخشون طواغيت الأرض والله أحق أن تخشوه ؟ ! وإذا كان الله معنا فمن علينا ؟) .

ياسبحان الله يأبى الله إلا أن يكشف أعداء الله ، ويفضحهم ويكشف أسرارهم ، ويهتك أستارهم فماذا يعني الكاتب الخميني بقوله : (إنها لمأساة أن يتهم كل الدعاة إلى حج حقيقي إسلامي ، بأنهم مبتدعون في الحج) .

فهل حج المسلمين السنة غير حقيقي ؟ وإذا كان غير حقيقي فهذا يعني أنه باطل (فليس بعد الحق إلا الضلال) . فالمسألة إما حق أو باطل . أليس هذا القول هو ما قاله الشاه عباس الصفوي بأن حج المسلمين السنة (باطل) وأنهم ليس لهم حج ، والحج فقط للشيعة ، لأنهم أنقى نفسا ، وأطهر قلبا ؟ !

وأى سيطرة لأمريكا على (حركات الحج وسكناته) ؟ ! ! أصحيح هذا القول ؟ أم أنه محض افتراء وهو الإفك والبهتان بعينه .

فهل يختلف حج المسلمين اليوم عن حجة الوداع ؟ حجة الرسول الأعظم ﷺ ؟ وهل أحدث المسلمون اليوم حجاً أمريكياً ، في منسك من مناسك الحج ؟

ولكن لا يستغرب هذا القول من جماعة جعلت الكذب لها ديناً تتقرب إلى الله به ؟ !
وأية أوثان تلك (القائمة في البيت الحرام) حسب زعم المؤلف المحترم ؟ حتى يدعو الأمة الإسلامية كلها (لتطهير البيت من الشرك كي يعود قاعدة التوحيد ، ومنطلقاً لنهوض الأمة) .

أية أوثان تعنون يا معشر الخمينيين ؟ وأى تطهير تقصدون إنه ذبح المسلمين السنة كما فعل سلفكم القرمطي حين ادعى نفس الادعاء - كما مر معنا سابقاً - بأنه قتل ثلاثين ألف مسلم في الحرم لتطهير الحرم منهم ! ! إنها نفس الشنشنة ! ! إنها نفس الاسطوانة الحاقدة ، إنها نفس الدعوى الشيطانية السابقة صفوية كانت أم قرمطية والشئ من معدنه لا يستغرب .

ومالنا نذهب بعيداً ونقول إن مصدر هذا الاعتقاد هم القرامطة أو الصفويون أو غيرهم من أبناء هذه الطائفة .

فالحق : أنهم جميعاً قديماً وحديثاً يعتقدون نفس الاعتقاد ، فهو من أسس مذهبهم وعقيدتهم ، وأن الحج للشيعة فقط أما المشركون والنواصب فإنهم لا حج لهم وحجهم شاهد عليهم لا لهم .

فقد جاء في كتاب (فروع الكافي) لثقة الإسلام (الشيعة) أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني في « كتاب الحج » تحت باب (بدء الحجر والعلّة في استلامه)^(١) .

(١) فروع الكافي ٤/١٨٤/١٨٥ .

قال الكليني بالحرف الواحد :

(إن الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهو جوهرة أخرجت من الجنة إلى آدم عليه السلام فوضعت في ذلك الركن لعله الميثاق وذلك أنه لما أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق في ذلك المكان . وفي ذلك المكان تراءى لهم ومن ذلك المكان يهبط الطير على القائم عليه السلام فأول من يبایعه ذلك الطاهر وهو الله جبرئيل عليه السلام وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره وهو الحجة والدليل على القائم وهو الشاهد لمن وافاه في ذلك المكان والشاهد على من أدى إليه الميثاق والعهد الذى أخذ الله عز وجل على العباد .
وأما القبلة والاستلام فلعله العهد تجديداً لذلك العهد والميثاق وتجديداً للبيعة ليؤدوا إليه العهد الذى أخذ الله عليهم في الميثاق فيأتوه في كل سنة ويؤدوا إليه ذلك العهد والأمانة اللذين أخذوا عليهم .

ألا ترى أنك تقول : أمانتى أديتها وميثاقى تعاهدته لتشهد لى بالموافاة والله ما يؤدى ذلك أحد غير شيعتنا ولا حفظ ذلك العهد والميثاق أحد غير شيعتنا وإنهم ليأتوه فيعرفهم ويصدقهم ويأتيه غيرهم فينكرهم ويكذبهم وذلك أنه لم يحفظ ذلك غيركم فلكم والله يشهد عليهم والله يشهد بالخفر والجحود والكفر وهو الحجة البالغة من الله عليهم يوم القيامة يجيء وله لسان ناطق وعينان في صورته الأولى يعرفه الخلق ولا ينكره ، يشهد لمن وافاه وجدد العهد والميثاق عنده ، يحفظ العهد والميثاق وأداء الأمانة ويشهد على كل من أنكر وجحد ونسى الميثاق بالكفر والإنكار) .

تأمل هذه الكلمات التى هى أصل المعتقد الشيعى فى أوثق كتبهم الذى يعد بمثابة (صحيح البخارى) .

فالحجر الأسود يأتيه الشيعة (فيعرفهم ويصدقهم ويأتيه غيرهم فينكرهم ويكذبهم) . وللشيعة (والله يشهد عليهم والله يشهد بالخفر والجحود والكفر وهو الحجة البالغة من الله عليهم يوم القيامة) ! !

هذه هى عقيدة القوم إلى يوم القيامة ، فيشهد الحجر الأسود على غير الشيعة

(بالخفر والجحود والكفر) !! فكأن حجهم حجة عليهم لا حجة لهم . ومن هنا فلا حج حقيقى إلا للشيعة على الطريقة الشيعية الخمينية الصفوية العبيدية القرمطية .. إلخ . فالأصل واحد وإن تنوعت الأسماء وتغيرت الأزمنة والأمكنة .

وهنا يتضح لك - أخى القارئ - أن مقصود هؤلاء الكتاب الخمينيين بالأوثان والطواغيت هم أهل السنة وحكامهم . وقد تكرر هذا الوصف كثيرا على لسان الخمينى نفسه وغيره من الآيات والأرواح وهذا يذكرنا بدعاء « صنمى قریش » يعنى « أبا بكر وعمر » حيث أطلق عليهما اسم الأصنام والأوثان والطواغيت ، كما ذكر فى الدعاء المرفق صورته .

وعلى هذا فتطهير البيت يعنى تطهيره من أهل السنة ؛ لأن القائم (عجل الله فرجه) (وسهل الله مخرجه) !! كما ذكر الكلينى يظهر عند الحجر الأسود وأول من يبايعه جبريل عليه السلام . ولن يقوم القائم حتى يتم تطهير البيت الحرام من المشركين (السنة) ومن الطواغيت (حكام السنة) .

وهنا يتضح لك الإصرار على المسيرات والهاتافات وإعلان البراءة من المشركين تمهيدا لخروج المهدي المنتظر (الشيعى) كما فعل القرامطة من قبل بتطهير البيت من (السنة) حتى يخرج القائم عليه السلام . لا عجل الله فرجه ولا سهل الله مخرجه ، إنه حين يخرج سوف يحبى خلفاء المسلمين أبا بكر وعمر وعثمان وجيوشهم وقضاتهم وأنصارهم ومن يحبهم ولم يتبرأ منهم ويكفرهم ، ثم يقتلهم شر قتلة ، ويرميهم للكلاب تنهش أجسادهم . ثم يحبى عائشة ويقم عليها حد الزنا ، ثم يحكم بشريعة داود لا بشريعة محمد عليه السلام !!!

فأى مهدي هذا ؟ أهو المهدي أم الضال الأعور الدجال ؟

إن مسألة اتهام جميع حكام المسلمين بالتخاذل والكفر والزندقة والنفاق قد ملأت جميع الكتب الشيعية القديمة منها والحديثة ، فلا غرابة فى اتهام حكام السعودية بالتخاذل ؟

لقد سار الخمينى وثورته سيرة الصفويين والقرامطة وغيرهم ممن سبقوهم فى محاولة الاستيلاء على الحرم الشريف لتحقيق مآربهم ، وإعلان البراءة من المسلمين

(المشركين) . ولكن هذا النظام (الخميني) بما يملك من إمكانات مادية وبشرية قد أعطى لهذه المسائل العقائدية زخما أكبر ، ودعاية أوسع فقد ألقت مئات الكتب ووزعت ملايين النشرات بمختلف اللغات في جميع أنحاء العالم ، وأنفقت آلاف الملايين من الدولارات على هذه الأفكار الخمينية ، وكلها تردد نفس الدعاية للمسيرات والبراءة وتطهير الحرمين الشريفين .

فهذا الكاتب الخميني (محمد علي حسين) يدافع في كتابه (دور الحج في المسيرة التاريخية) المطبوع سنة ١٤٠٢ هـ عن أحداث الشغب في الحرم ، متخذاً من العقائد الشيعية مرتكزا يعتمد عليه ، فيقول :

(من الطبيعي أن يتغير حج الأمة في إيران ، إن أبناء الجمهورية الإسلامية لا يؤدون هذه الفريضة في إقليمهم بل في إقليم إسلامي آخر هو الحجاز) . وتأمل كلمة (الحجاز) كأن الكاتب ينكر على المملكة العربية السعودية حقها في ولاية الحرمين الشريفين ، أو كأن الحرمين الشريفين ليسا من الأراضي السعودية .. وما يؤكد ذلك ، ويكشف عن سوء نية الثورة الإيرانية ، وأطماعها التوسعية ، وطموحاتها في إقامة إمبراطورية لها على كامل البلاد الإسلامية بأن يجعل من الاستيلاء على الحرمين قاعدة ينطلق منها النظام الإيراني إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي .

يقول الكاتب :

(وثمة فئة في الحجاز تدعى وصياتها الموروثة عليه ، وتدعى أن لها الحق في التحكم بكل أمور الحج ، وتدعى أن الحاج المسلم عليه أن يتخلى عن همومه ، وقضاياه الإسلامية ، ومشاكله المصيرية ، وأن يهتم بنفسه فقط ، بطقوسه ومشترياته ، وهمومه الشخصية الصغيرة التافهة) .

(الحجاج الإيرانيون أرادوا أن يعلنوا في موسم الحج ، ما يعانيه المسلمون من ظلم طواغيت الأرض من تجبر أمريكا ، وغطرسة إسرائيل ، وفتك العملاء المأجورين) .

(ولكن حركة الحجاج الإيرانيين واجهت اعتراضا ولغطا واتهاما ، قالوا : (إن الحجاج الإيرانيين يريدون أن يزجوا السياسة في الدين وهذه المقولة لا تصدر إلا من كافر علماني) .

هكذا وفي منتهى البساطة يرمى الناس بالكفر والعلمانية ! !

وأفكار هذا الكاتب وغيره من الكتاب الإيرانيين الكثيرين جدا مستقاة من الإمام روح الله الخميني الذي يعتقد أن منع المظاهرات وإعلان البراءة مخالف لسيرة النبي ﷺ ، وقد سبق أن بينا فساد هذه الحجة الشيطانية .

وقد كون الإمام الخميني لواء مستقلا لحرب العصابات في أرض العدو السعودي ، كما كشف عن ذلك كتاب « المؤامرات الإمبريالية الأمريكية » المنشور في طهران سنة ١٤٠٥ هـ . كما جاء في الوثائق المنشورة .

وأكد الكاتب الشيعي الدكتور / سيد حسين نصر في كتابه (الإسلام أهدافه وحقائقه) على حقيقة الحج عند شيعة الخميني ، وأنه تغير بتغير الأحوال فرجم إبليس قد تغير وأصبح يتمثل في الهتافات والمظاهرات التي تقوم بها طوائف حجاج إيران .

وقد أكد على هذا المعنى (أحمد جنتي) في مقاله (الحج والتوحيد الإبراهيمي) من مجموعة مقالات في الحج ، الكتاب الأول صادر عن مؤسسة الحج سنة ١٤٠٥ هـ .

فيقول : (ألا يعتبر أصغر حجر يمكن أن يرميهم به الحاج أو أحد أتباع إبراهيم الحنيف هو الحجر اللفظي ، الموت لأمريكا ؟ هل هناك أصغر من هذه الحصة) ؟

إنها أفكار ومبادئ قائد هذه الثورة (الإمام الخميني) نفسه ، فهذا هو يقول في خطابه حول مسألة تحرير القدس :

(إن الصراخ والكلام ينفعان في وجه هؤلاء (الحكومات الظالمة) ولكننا حتى الكلام لا نفعله ، إنما بالصراخ ، وبنداءات الله أكبر طردنا محمد رضا خان ، وليس بالسلاح ، فعلى المسلمين أن يصرخوا في وجه الطغاة .. إلخ) .

والهدف من كل هذا هو ما أعلنه الخميني بكل صراحة ، وبدون تقية بقوله : (إنما حينما نقول بتصدير الثورة إنما نريد أن نصدر هذه الروح وهذه المعنويات ..) .

الختام

وبعد :

١ - فإن قدسية الحرمين الشريفين عقيدة يقينية توقيفية ، وإن حرمة مكة المكرمة كائنة منذ تكوين السموات والأرض ، وهى حرمة إلهية أزلية ، حرّمها الله ولم يحرمها الناس ، والمدينة المنورة أيضا محرمة تحريما قاطعا بنصوص صريحة صحيحة .

وإن تعظيم مكة المكرمة ، والأشهر الحرم ، وشعائر الحج من شعب التوحيد الخالص ومن دلائل الإيمان ، ومن علامات تقوى القلوب . وإن الفتنة فى الحرم ، والإلحاد فيه بظلم ، فجور ، لا يلتبس به قوم يعظمون ما عظم الله ورسوله .

٢ - إن الحفاظ على قدسية الحرمين الشريفين ، وسلامة الحجاج والعمار والزوار أمر منوط بمن ولّاه الله ورسوله أمر الحرمين ؛ وهم أهل الحرمين أنفسهم وذلك طبقا للأدلة الشرعية ، والقواعد الفقهية والقوانين الدولية . وقد قيض الله تعالى آل سعود للقيام بمسئولية الوصاية والحماية والخدمة للحرمين الشريفين .

ولذا فيجب التأكيد على الحقائق الآتية :

أ - أن أمن الحرمين الشريفين ضرورة لا تنفك عن أداء المناسك .

ب - أن إمامة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وحكومته الرشيدة ثابتة شرعا ، وأن إنكار حقه فى رعاية الحرمين بغى وخروج على الإمام الشرعى ، ويعاقب من يفعل ذلك بعقوبة البغاة .

ج - أن أمن الحج والحرمين الشريفين وسلامة الحجاج والعمار والزوار مسئولية حكومة المملكة العربية السعودية ، وهى مسئولية يملئها الإيمان الغامر بالله ورسوله ، وتعظيم ولاية الأمر فى المملكة العربية السعودية ، لشعائر الله وحرماته ، إذ لا يستطيع أن يخدم هذه الأماكن المقدسة حق خدمتها إلا من يعظمها حق

تعظيمها . وهى مسئولية يملئها الواجب الدينى ، وأمانة ولاية الأمر .

د - لقد جعل الله تعالى الأمن بمفهومه الواسع سمة من سمات الحرم ، وجعل من سمات الأمن فى الحرم ، أن الله يحاسب المرء على مجرد الهم بالسيئة ، وذلك لارتباط الأمن بالأماكن المقدسة ، حيث قرر سبحانه أمن الحرم بأمن جميع المخلوقات فيه ، فكفل الله تعالى الأمن فى رحاب بيته لجميع خلقه .

ولذا فقد أوجب الله تعالى إقامة الأمن فى الحرمين الشريفين وكفالتة فى تلك البقاع الطاهرة ﴿ ومن دخله كان آمناً ﴾ أى فأمناه .

هـ - واستنادا لما جاء فى التنظيم الفقهى لولاية الأمن فى الحرمين الشريفين فى مصنفات السياسة الشرعية فإن خادماً الحرمين الشريفين هو الأجدد والأولى بواجب حماية الأمن فى الحرمين ، حيث قام وحكومته الرشيدة بحقوق الحج والحجاج والأمة أبلغ قيام وأوفاه . حيث تعيش المملكة فى ظل خادماً الحرمين الشريفين عهداً جديداً فى خدمة الحرمين الشريفين ليس فى مجال توسعة الحرمين فحسب ، بل تعيش عهداً جديداً فى مجال المواصلات والاتصالات المتطورة ، وعهداً جديداً فى مجال استقبال الحجاج والعمار وتسهيل إجراءات دخولهم ، وتعيش عهداً جديداً فى مجال توفير المياه الصالحة للشرب والمبردة ، وعهداً جديداً فى مجال الصحة الوقائية والعلاجية ، وعهداً جديداً فى مجال الأمن بمفهومه الشامل الواسع .. الخ .

وإننا قياماً بشهادة الحق ، واستمساكاً بالخلق الإسلامى فى الاعتراف بالفضل لذوى الفضل ، لنشيد بالجهود الرائعة ، والخدمات الجليلة والأمن المكين الذى توفره الدولة السعودية الراحية لشئون الحرمين ، وخادماً الحرمين الشريفين الذى نذر نفسه للقيام بهذا الواجب الشريف ، وعلى دعاة الأمة ووسائل الإعلام فيها أن يبرزوا هذه الحقيقة إحقاقاً للحق ، وتكذيباً للمنكرين والجاحدين لجهود العاملين المخلصين من ولاية أمر الحرمين الشريفين الشرعيين .

و - رفض بدعة تدويل الحرمين الشريفين ، وإدانة كل من ينادى بها ، واعتبارها خروجاً على أمر الله ورسوله وجماعة المسلمين ، وعبثاً وسفهاً وخيانة لله

ورسوله وجماعة المسلمين ومقدسات الإسلام . وهى تنطوى على كل ما يهدر المسلمات الفقهية والمبادئ الشرعية والقوانين الدولية وهى تستهدف إشاعة الفوضى ، والصد عن سبيل الله ، وتعطيل الحج إلى بيت الله وضياح مصالح الدين والدنيا على أرض الحرمين الشريفين ، وستحول تلك الربوع الطاهرة إلى مرتع للهوى والشهوات والشر والفساد .

وإذا كانت النتائج محرمة ، فإن الذريعة إليها (فكرة التدويل) تأخذ حكمها فى التحريم القاطع ، كما هو ثابت : من أن للشئ حكم غايته .

ز - يؤكد المؤتمر على حرمة وقداسة الحرمين الشريفين ووجوب التزام الحجاج والزوار والعمار بآداب الحج والزيارة وعدم القيام بأية أعمال أو أقوال تتنافى مع قداسة الحرمين ولا تتصل بالحج والعمرة كالمظاهرات والمسيرات السياسية والمذهبية ، فيحرم الهتاف بأى اسم أو وصف غير ذكر الله والصلاة على رسول الله . ولا يجوز رفع الصور والشعارات ووضع الملصقات لأى أحد كائنا من كان ، حتى لا يتحول الحج إلى ميدان للصراع السياسى والطائفى .

ح - ويؤكد هذا البحث على مسئولية ولى الأمر فى وجوب حفظ الأمن ويؤيد حكومة المملكة العربية السعودية فى اتخاذ ما يكفل الحفاظ على حرمة الحرمين وسلامة الحجاج وأمنهم وراحتهم ، وتنظيم إقامتهم ومسيراتهم وتنقلاتهم فى المناسك والطرق ومداخل المملكة ومخارجها .

ك - إن كل ما اتخذته الدولة المسئولة عن الحرمين من إجراءات تجاه الفتنة التى أقدم عليها وخطط لها النظام الإيرانى فى حج عام ١٤٠٧ هـ . كما يؤيد بشدة قرار علماء المملكة بتطبيق حد الحراة على المفسدين فى الأرض استنادا إلى النصوص القرآنية والأدلة الشرعية والقواعد الفقهية ، فليس أمنع ولا أردع للجريمة من العقوبة التى شرعها الله عز وجل فى آية الحراة ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ ... ﴾ الآية .

ويوصى الباحث الدولة الراعية لأمن الحرمين الشريفين بعدم التهاون فى تطبيق هذا الحد الرادع على كل من يخالف تعاليم الدين بقصد الإفساد فى الأرض والاعتداء على الأنفس والممتلكات الخاصة والعامة .

ويناشد جميع الدول الإسلامية أن تحذو حذو المملكة في تطبيق الحدود وإقامة شرع الله في جميع شئون الحياة إن هي أرادت الخير لشعوبها وأمتها .

٣ - ويبين البحث ضرورة تأييد كافة الإجراءات التي تتخذها الدولة الراعية للحرمين الشريفين لحماية أمن الحرمين الشريفين والحج ، وسلامة الحجاج وراحتهم .

ويؤكد وقوف علماء الأمة ودعاتها وحكامها بحزم مع المملكة العربية السعودية وهي تؤدي أشرف الواجبات في حماية المقدسات .

٤ - ويقدر موقف حكام وعلماء وشعوب الأمة الإسلامية في وقوفها الرائع إلى جانب ولاية الأمر في المملكة العربية السعودية دفاعاً عن قدسية الحرمين وتأيداً للقائمين على شأنهما وخدمتهما .

ويطالب الإعلام الإسلامي بإبراز ما يلي :

- ١ - توعية المسلمين بعظمة وقدسية وحرمة الحرمين الشريفين .
- ب - إبراز واقع الأمن والأمان والراحة والخدمات التي توفرها حكومة خادم الحرمين الشريفين للمقدسات .
- ج - كشف المخططات الإيرانية المستمرة الرامية إلى تحويل الحرمين والحج إلى ساحة للصراع المذهبي والسياسي تنفيساً عن أحقاد مكبوتة للقوى المعادية للإسلام .
- د - وجوب تبصير المسلمين بما تعرض له الحرمين طوال التاريخ من اعتداءات وانتهاكات على أيدي الشيعة الباطنيين الحاقدين .

نداء .. نداء

يادعاة الإسلام :

لا يغرنكم هرطقات المنحرفين وصيحات المتخاذلين من دعاة الاستسلام الذين يدعون إلى الوحدة والتقريب بين السنة والشيعة ، ويزعمون أن السلام مع إسرائيل قاب قوسين أو أدنى وأن الولايات المتحدة هي عراب هذا السلام ، إن أصحاب هذه الأصوات المحمومة عبيد لواشنطن وموسكو وتل أبيب .

خذوا حذرکم أيها الدعاة واعلموا أن الحرب مع أعداء الله مستمرة إلى قيام الساعة كما أخبرنا ربنا في كتابه العزيز ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ وقوله : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ .

فالهدف واحد لكل من المشركين ، واليهود والنصارى وبقية أعداء الدين ، والتاريخ الإسلامي شاهد على تعاون الجميع على تحقيق هذا الهدف (استئصال شأفة الإسلام والمسلمين) وقد رفعوا جميعا شعارا واحدا (دمروا الإسلام وأبيدوا أهله) فالصراع حتمي ، والحرب مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وقد أخذت هذه الحروب أشكالا متعددة وصورا مختلفة ، منها :

١ - المعارك والاعتداءات التي يستخدم فيها العدو الأسلحة الفتاكة والمجازر البشعة .

٢ - بث روح الفرقة بين المسلمين عن طريق عملاء الماسونية في بلادنا .

٣ - دعم وتشجيع المذاهب الهدامة : كالبهائية ، والقاديانية والنصيرية ، والدرزية ، والحركات اليسارية العلمانية ، والرافضة .

٤ - البنوك الربوية ، والاحتكارات العالمية والتأميم .

٥ - نشر الفساد وتشجيع دعاة الإلحاد ، واستغلال أجهزة الإعلام لمثل هذه الأغراض .

علينا يا دعاة الإسلام :

١ - أن نعمل على قلب رجل واحد لإحباط هذه المؤامرات والتصدى لهذه الحروب بكل ما نملك دون خوف أو وجل أو تردد .
لقد اتحد أعداء الإسلام جميعا ضدنا وأعلنوا الرصاص علينا فأين الصف المرصوص المسلم الذى يواجه صفوفهم ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ وأين الوحدة الإسلامية ونحن الذين خاطبنا ربنا بقوله : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ .
﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ .
﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ .

ويجب ألا نغفل عن الوحدة الإسلامية التى ندعو إليها ، تلك الوحدة القائمة على أصول عقيدتنا ، والتى قامت على كتاب الله وسنة رسوله فلا وحدة ولا تقارب مع : أهل البدع والأهواء وعلى رأسهم :

- الذين يقدمون عقولهم الملوثة على كتاب الله وسنة رسوله ، والذين ادعوا لأنفسهم العصمة ، ورفعوا أنفسهم فوق البشر .
- الذين يكفرون صحابة رسول الله ويلعنونهم ويشتمونهم ويفسقونهم . وادعوا العصمة لغير أنبياء الله .

- أهل الغلو الذين جعلوا من أهوائهم ديناً ، وأقدموا على وضع أصول غير أصول أهل السنة والجماعة .

- الذين أظهروا النفاق ، وكانوا عوناً للعدو على إخوانهم المسلمين .

٢ - إن طريقنا لحماية مقدساتنا وتحريرها من الأرجاس والأنجاس لا يكون إلا بالجهاد فى سبيل الله ، امتثالاً لأمر الله : ﴿ وأعدوا لهم ... ﴾ الآية .

فعلى الأمة الإسلامية أن تسير على ما سار عليه رسولها ﷺ ، والذين جاهدوا معه لتحرير المقدسات وحمايتها من المعتدين والطامعين والحاquدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه أجمعين .

المؤلف

الأمين العام المساعد

لشئون الجامعات والتعليم والدراسات

أهم محتويات الكتاب

١١ - ٥	المقدمة
٣٢ - ١٣	- قدسية الحرمين الشريفين
٧١ - ٣٣	- خصائص البيت الحرام
٣٨ - ٣٦	تقديس العرب للكعبة قبل الإسلام
	الكعبة بعد ظهور الإسلام
٤٨ - ٣٩	خصائص البيت ومزاياه
٧١ - ٤٩	- حفظ الله تعالى لبيته وحمايته لأهله ومحاربه لمن أرادهم بسوء
٧٦ - ٧٢	- المسجد النبوي
	ما ورد في فضل المسجد الشريف والروضة المقدسة والمنبر العظيم
٧٧ - ٧٤	
٨٠ - ٧٨	حرمة المدينة المنورة
٨٢ ، ٨١	وعيد من أراد أهلها بسوء
٨٦ - ٨٣	خصائص المدينة
٩٢ - ٨٧	- حكم الإحداث في الحرمين الشريفين
٨٩ ، ٨٨	الأمن سمة من سمات الحرمين الشريفين
٩١ - ٨٩	مفهوم الأمن ومداه
٩٢ ، ٩١	حرمة الحرم المدني
١١٦ - ٩٢	- واجب إمام المسلمين في حفظ الأمن في الحرمين الشريفين
١٠٣ ، ١٠٢	الولاية الشرعية على الحرمين الشريفين
١٠٦ - ١٠٣	أهل الحرمين هم الأولى بالولاية
١١٠ - ١٠٦	طبيعة السيادة ومداها

١١٧ - ١١٠	سهر السعودية على أمن الحرمين
١١٤ - ١١٠	إعمار الحرمين وخدمتهما في العهد السعودي
	خدمة الحرمين ورعايتهما دليل على تعظيم شعائر
١١٦ - ١١٤	الله وحرماته
١٢٦ - ١١٧	- حكم الدعوة إلى تدويل إدارة الحرمين الشريفين
١٢٤ - ١١٨	حكم الدعوة إلى التدويل من الناحية الشرعية
١٢٦ - ١٢٤	حكم الدعوة إلى التدويل من الناحية القانونية
	- مسئولية الدولة الراعية عن حفظ الأمن وإقامة الحدود على
١٣١ - ١٢٦	المفسدين في الأرض
١٢٨ - ١٢٧	آراء الفقهاء في تطبيق حد الحراة على المفسدين
١٣١ - ١٢٨	التوسع في مفهوم الحراة عند الفقهاء
١٦٤ - ١٣٢	- أحداث ووقائع تاريخية
١٥٣ - ١٣٢	من أيام الدولة العباسية وإلى الفتنة الخمينية
١٧٤ - ١٥٤	- مقارنة بين أعمال الدولة الصفوية والدولة الخمينية
١٥٧ - ١٥٥	معاملة الشاه عباس للمسلمين السنة
١٥٨ ، ١٥٧	معاملة الشاه عباس للمسيحيين
١٥٩ ، ١٥٨	تعصب الشاه للمذهب الشيعي الاثنى عشرى
١٦١ ، ١٦٠	حروب الشاه مع العثمانيين
١٦١	عمل الصفويين على استئصال المسلمين السنة
١٦٤ - ١٦٢	محاولات الصفويين نشر مذهبهم وفرضه بالقوة
١٦٦ - ١٦٤	سب الخلفاء الراشدين ونبش القبور
١٨٣ - ١٦٧	- نهج الخميني نهج الدولة الصفوية في كل أعمالها
١٧١	نظرة الصفويين والخمينيين للحرمين الشريفين
١٧٢	الاستهانة والتحقير للحرمين

١٧٣	محاولة صرف الحج عن مكة إلى قبور الأئمة
١٧٤	الاعتداء على أرواح الحجاج وأعراضهم
١٧٥	- نماذج من محاولات الصفويين والخمينيين إلى إخراج الحج من المفهوم العبادي إلى المفهوم السياسي
١٧٦ - ١٧٨	- إعلان البراءة من المشركين وتنظيم المسيرات
١٧٨ - ١٨٣	إعطاء الحج مفهومًا سياسيًا واستقلاله للأغراض الشخصية
١٨٣ - ٢٠٠	- الرد على الصفويين والخمينيين في مسألة البراءة من المشركين من أصول المذهب الشيعي
٢٠١ - ٢٠٤	- الخاتمة
٢٠٥ - ٢٠٦	نداء ...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

رقم الإيداع ٤٨٣٣ / ١٩٨٩
الترقيم الدولي ٧ - ٣٨ - ١٤٥٠ - ٩٧٧

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيرة

☎ ٣٤٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦

المطبعة : ٢ ، ٦ ش عد الفتاح الطويل

أرض اللواء - ☎ ٣٤٥٢٩٦٣

ص . ب ٦٣ إمبابة

